الصحيح

من سيرة النبي الأعظم (ص)

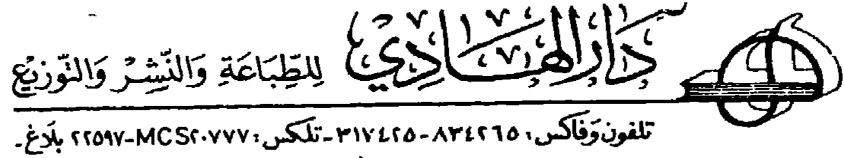
الصحيح

من سيرة النبي الأعظم (ص)

العلامة المحقق
السيد جعفر مرتضى العاملي

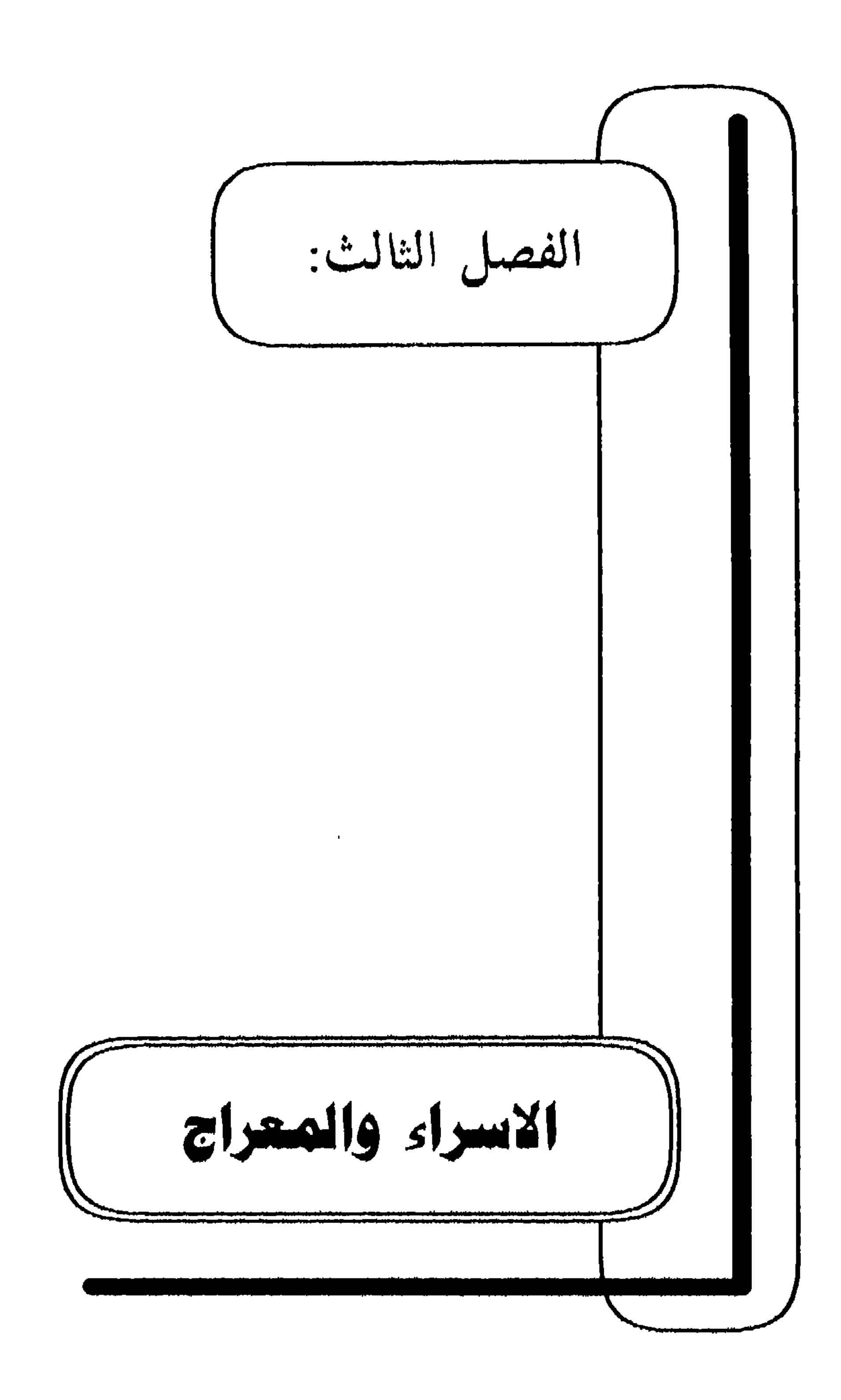
الجزء الثالث

الطبعة الرابعة
١٩٩٥م - ١٤١٥هـ





دار السيرة - بيروت لبنان - ص.ب: ٢٥/٤٩



الفصل الثالث:
الاسراء والمعراج

الإسراء والمعراج:

بعد بعثة النبي «صلى الله عليه وآله وسلم»، وفي اثناء المرحلة السرية، التي استمرت ثلاث، أو خمس سنوات، كان ـ على الارجح ـ الاسراء والمعراج: الاسراء إلى بيت المقدس، حسب نص القرآن الكريم.

والمعراج من هناك إلى السماء، الذي وردت به أخبار كثيرة.

وحيث إن التفاصيل الدقيقة لهاتين القضيتين يصعب الجزم في كثير منها إلا بعد البحث الطويل والعميق. وذلك لأن هذه القضية، وجزئياتها قد تعرضت على مر الزمان للتلاعب والتزيد فيها، من قبل الرواة والقصاصين، ثم من قبل أعداء الاسلام؛ بهدف تشويه هذا الدين، واظهاره على أنه يحوي الغرائب والعجائب، والاساطير والخرافات، لأسباب شخصية، وسياسية وغيرها. ولم يسلم من مكائد هؤلاء حتىٰ رموز الإسلام، وحفظته وأئمة المسلمين أيضاً.

وقد حذر الإمام الرضا «عليه السلام» من هؤلاء ـ حسبما رُوي عنه ـ حيث قال لإبن أبي محمود: «إن مخالفينا وضعوا أخباراً في فضائلنا وجعلوها علىٰ أقسام ثلاثة: أحدها: الغلو. وثانيها: التقصير في أمرنا.

وثالثها: التصريح بمثالب اعدائنا.

فاذا سمع الناس الغلو فينا كفّروا شيعتنا، ونسبوهم الىٰ القول بربوبيتنا. وإذا سمعوا التقصير اعتقدوه فينا. واذا سمعوا مثالب اعدائنا باسمائهم ثلبونا باسمائنا وقد قال الله عز وجل: ولا تسبوا الذين يدْعون من دون الله فيسبّوا الله عدواً بغير علم[١]».

وبعد ما تقدم، فإن التعرض لبحث التفاصيل الدقيقة لقضية الاسراء والمعراج يحتاج الىٰ توفر تام، وتأليف مستقل؛ ولذا فنحن لا نستطيع في هذه الفرصة المتوفرة لنا أن نعطي تصوراً دقيقاً عنه.

وعلىٰ هذا فسوف نكتفي بالإشارة الىٰ بعض الجوانب التي رأينا: أن من المناسب التعرض لها؛ فنقول:

متى كان الاسراء والمعراج:

إن المشهور هو أن الاسراء والمعراج قد كان قبل الهجرة بمدة وجيزة؛ فبعضهم قال: ستة أشهر، وبعضهم قال: في السنة الثانية عشرة للبعثة، أو في الحادية عشرة او في العاشرة. وقيل: بعد الهجرة[٢].

وفي مقابل ذلك نجد البعض يقول: إنه كان في السنة الثانية من البعثة[٣]، وقيل في الخامسة، وقيل في الثالثة ـ وهو الارجح عندنا ـ ولعل ابن عساكر يختار ما يقرب مما ذكرنا، حيث إنه ذكر الإسراء في أول البعثة كما ذكره عنه ابن كثير[٤]

---

(١) راجع: البحار ج٢٦ ص ٢٣٩ وعيون أخبار الرضا ج١ ص ٣٠٤.

(٢) راجع: السيرة الحلبية، وتاريخ الخميس، وغير ذلك.

(٣) البحار ج١٨ ص ٣١٩ عن العدد، ونقل ذلك عن الزهري في عدة مصادر.

(٤) البداية والنهاية ج٣ ص ١٠٨.

وقال مغلطاي، بعد أن ذكر بعض الاقوال: «وقيل: كان بعد النبوة بخمسة أعوام، وقيل: بعام ونصف عام. وقال عياض: بعد مبعثه بخمسة عشر شهراً[١]».

وقال ملا علي القاري: «وذكر النووي: أن معظم السلف، وجمهور المحدثين والفقهاء على أن الاسراء والمعراج كان بعد البعثة بستة عشر شهراً[٢]».

وقال ابن شهر آشوب: «ثم فرضت الصلوات الخمس بعد اسرائه في السنة التاسعة من نبوته[٣]». ولكنه لم يبين لنا تاريخه باليوم والشهر.

وقال الديار بكري: «فأما سنة الاسراء، فقال الزهري: كان ذلك بعد المبعث بخمس سنين. حكاه القاضي عياض، ورجحه القرطبي، والنووي. وقيل: قبل الهجرة بسنة إلخ[٤]».

الأدلة على المختار:

وأما ما يدل على أن الاسراء قد كان في السنوات الاولى من المبعث؛ فعدا عن الاقوال المتقدمة، ولا سيما ما ذكره الزهري والنووي، **نشير إلى الامور التالية:**

١ ـ ما روي عن ابن عباس أن ذلك كان بعد البعثة بسنتين[٥] وابن

---

(١) سيرة مغلطاي ص ٢٧.

(٢) شرح الشفاء للقاري ج١ ص ٢٢٢.

(٣) المناقب لابن شهراشوب ج١ ص ٤٣.

(٤) تاريخ الخميس ج١ ص ٣٠٧.

(٥) البحار ج١٨ ص ٣١٩ و٣٨١ عن المناقب لابن شهرآشوب ج١ ص ١٧٧، وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص ٢٦. حيث ذكر ذلك بعد المبعث، وقبل الانذار.

عباس كان أقرب الىٰ زمن الرسول، واعرف بسيـرته من هؤلاء المؤرخين، فاذا ثبت النص عنه قدّم علىٰ اقوال هؤلاء.

ولربما لا يكون هذا مخـالفاً لمـا تقدم عن الـزهري وغيـره، إذا كان ابن عباس لا يحسب الثلاث سنـوات الأولى، على اعتبار: أنـه «صلى الله عليه وآله وسلـم» إنما امر بانذار الناس بعدها.

٢ ـ قد ورد عن الامام أمير المؤمنين«عليه السـلام»: أن الاسراء قـد كان بعد ثلاث سنين من مبعثه[١].

وهذا هو الاصح والمعتمد.

٣ ـ ويـدل على ذلـك بشكـل قـاطـع مـا روي عن: ابن عبـاس، وسعد بن مالك، وسعد بن أبي وقاص، والإمام الصادق «عليه السلام»، وعمـر بن الخطاب، وعـائشة، من أنـه «صلى الله عليه وآلـه وسلم» قال لعائشة ـ حينما عاتبته على كثرة تقبيله ابنته سيدة النسـاء، فاطمـة «عليها السلام» ـ:

نعم يا عائشـة، لما اسـري بي الى السماء أدخلني جبـرئيل الجنـة، فناولني منها تفاحة، فأكلتها، فصارت نطفة في صلبي، فلما نـزلت واقعت خديجة، ففاطمة من تلك النـطفة؛ ففـاطمة حـوراء انسية، وكلمـا اشتقت إلى الجنة قبلتها[٢].

---

(١) البحار ج١٨ ص ٣٧٩ عن الخرائج والجرايح.

(٢) تاريخ بغداد ج٥ ص٨٧، والمواهب اللدنية ج٢ ص ٢٩، ومقتل الحسين للخوارزمي ص ٦٣/٦٤ وذخائر العقبى ص ٣٦، وميزان الاعتدال ج٢ ص ٢٩٧ و١٦٠، ومستدرك الحاكم ج٣ ص ١٦٥، وتلخيصه للذهبي، ومجمع الزوائد ج٩ ص ٢٠٢، وينابيع المودة ص ٩٧، ونزهة المجالس ج٢ ص ١٧٩، ومناقب المغازلي ص ٣٥٨ والبحار ج١٨ ص ٣١٥ و٣٥٠، ٣٦٤، ونور الأبصار ص ٤٤ و٤٥ وعلل الشرائع ص ٧٢، وتفسير القمي ونظم درر السمطين ص ١٧٦ ومحاضرة =

ومعلوم مما سبق: أن فاطمة قد ولدت بعد البعثة بخمس سنوات؛ فالاسراء والمعراج كانا قبل ذلك بأكثر من تسعة أشهر، ولعله قبل ذلك بسنتين. حتى أذن الله لتلك النطفة بالظهور، والاستقرار في موضعها.

٤ ـ إن سورة الاسراء قد نزلت في أوائل البعثة، ويدل ذلك:

ألف ـ ما رواه البخاري وغيره، من ان قوله تعالى في سورة الاسراء: «ولا تجهر بصلاتك، ولا تخافت بها» قد نزل بمكة، ورسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» مختف. كان اذا صلى باصحابه رفع صوته بالقرآن؛ فاذا سمع المشركون سبوا القرآن، ومن انزله، ومن جاء به الخ[1].

ومعلوم: أن اختفاء النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» في دار الأرقم إنما كان في أوائل البعثة.

واجاب المحقق الروحاني على ذلك، بان من الممكن ان يكون «صلى الله عليه وآله وسلم» حينئذٍ مختفياً في شعب ابي طالب.

ولكن، لنا ان نناقشه بان شعب ابي طالب لم يكن محل اختفاء لهم، وانما كانوا محاصرين فيه، فالتعبير بالاختفاء يدل على أن ذلك قد كان في اوائل البعثة.

= الأوائل ص ٨٨ وملحقات إحقاق الحق للمرعشي ج١٠ ص ١ ـ ١١ عن بعض من تقدم، وعن: أرجح المطالب ص ٢٣٩، ووسيلة المآل ص ٧٨/٧٩، وإعراب ثلاثين سورة ص ١٢٠، وكنز العمال ج١٤ ص ٩٧ وج٣ ص ٩٤، ومفتاح النجا ص ٩٨ مخطوط وأخبار الدول ص ٨٧ ـ وعن ميزان الاعتدال ج١ ص ٣٨ و٢٥٣ وج٢ ص ٢٦ و٨٤. والدر المنثور ج٤ ص ١٥٣ عن الطبراني والحاكم.

(١) صحيح البخاري طبع سنة ١٣٠٩ ج٣ ص ٩٩، والدر المنثور ج٤ ص ٢٠٦ عنه وعن: مسلم وأحمد والترمذي، والنسائي، وسعيد بن منصور، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن حبان، وابن مردويه، والطبراني والبيهقي.

ووجود هجوم في سورة الاسراء على عقائد المشركين، لا يضر؛ اذا كانت السورة قد نزلت في اوائل البعثة.

ب - ما ذكره البعض في مقال له[١] من أن سورة الإسراء قد نزلت بعد الحجر بثلاث سور[٢] وسورة الحجر قد نزلت في المرحلة السرية. وفيها جاء قوله تعالى: «فاصدع بما تؤمر، واعرض عن المشركين». الامر الذي تسبب عنه الجهر بالدعوة واظهارها.

وايراد المحقق الروحاني هنا بان في السورة ما يدل على وجود الصدام بين النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» والمشركين. وهذا الصدام إنما حصل بعد الاختفاء في دار الأرقم، وبعد الاعلان بالدعوة.

يجاب عنه بما تقدم، من أن من غير البعيد ان تكون هذه السورة قد نزلت تدريجاً؛ فبدأ نزولها في اول البعثة. ثم اكملت في فترة التحدي والمجابهة بين النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» والمشركين.

ويدل على قدم نزولها أيضاً قول ابن مسعود عن سور الاسراء، والكهف، ومريم: انهن من العتاق الاول، وهن من تلادي[٣].

وابن مسعود ممن هاجر الى الحبشة، ورجع منها، والنبي «صلى الله عليه وآله وسلم» يتجهز الى بدر[٤].

إلا أن يقال: إن ابن مسعود إنما هاجر الى الحبشة بعد الطائف، أي في الهجرة الثانية، لا في الاولى؛ فلاحظ؛ فان ذلك لايلائم قوله: انهن

---

(١) راجع: مجلة الوعي الإسلامي المغربية عدد ١٦٣ ص ٥٦.

(٢) راجع: الاتقان ج١ ص ١١، وتاريخ القرآن للزنجاني ص ٣٧.

(٣) صحيح البخاري ج٣ ط سنة ١٣٠٩ ص ٩٦ والدر المنثور ج٤ ص ١٣٦ عنه وعن ابن الضريس وابن مردويه.

(٤) فتح الباري ج٧ ص ١٤٥.

من العتاق الأول.

٥ ـ ان سورة النجم التي يذكرون انها تذكر المعراج في آياتها ـ قد نزلت هي الأخرى في اوائل البعثة؛ فانها نزلت بعد اثنتين او ثلاث وعشرين سورة، ونزل بعدها اربعة وستون سورة في مكة[١]، وسيأتي في قصة الغرانيق المكذوبة او المحرفة: أنهم يقولون: إنها انما نزلت بعد الهجرة الى الحبشة بثلاثة اشهر. والهجرة الى الحبشة إنما كانت في السنة الخامسة.

بل لقد قيل: إن سورة النجم هي اول سورة اعلن النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» بقراءتها؛ فقرأها على المؤمنين والمشركين جميعاً[٢].

وإن كان من الممكن النقاش في كون آيات سورة النجم ناظرة الى المعراج، كما سيأتي ان شاء الله تعالىٰ.

٦ ـ ويؤيد كون هذه القضية قد حصلت في اوائل البعثة: انه حين عُرج به «صلى الله عليه وآله وسلم» صار الملائكة يسألون: أو قد أرسل إليه؟[٣]. فان هذا يشير إلى أن ذلك إنما كان في أول بعثته «صلى الله عليه وآله وسلم» لا بعد عشرة أو اثنتي عشرة سنة، فان أمره «صلى الله عليه وآله وسلم» كان قد اشتهر في أهل السماوات حينئذ. بل يمكن أن يكون قد اشتهر ذلك منذ الايام الاولى من البعثة.

٧ ـ ما يدل على أن الاسراء قد كان قبل وفاة ابي طالب: فإن بعض الروايات تذكر أن أبا طالب(ره) قد افتقده ليلته، فلم يزل يطلبه حتى وجده، فذهب إلى المسجد، ومعه الهاشميون، فسل سيفه عند الحجر، وامر

---

(١) راجع الاتقان ج١ ص ١٠ ـ ١١ و٢٥.

(٢) تفسير الميزان مجلد ١٩ ص ٢٦.

(٣) مجمع الزوائد ج١ ص ٦٩/ ٧٠ عن البزار والمواهب اللدنية ج٢ ص ٦، وتاريخ الخميس ج١ ص ٣١٠.

الهاشميين باظهار السيوف التي معهم، ثم التفت إلى قريش، وقال: لو لم أره ما بقي منكم عين تطرف. فقالت قريش: لقد ركبت منا عظيماً[١]

٨ ـ ما روي من أن جبرئيل قال للنبي حين رجوعه: حاجتي أن تقرأ على خديجة من الله ومنّي السلام[٢].

٩ ـ وعن عمر: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» قال: ثم رجعت إلى خديجة، وما تحولت عن جانبها[٣].

فكل ذلك يدل على أن هذا الحدث قد كان قبل وفاة شيخ الأبطح، وأم المؤمنين خديجة «رحمهما الله» وهما قد توفيا في السنة العاشرة من بعثة النبي «صلى الله عليه وآله وسلم»، فكيف يكون الاسراء والمعراج قد حصل في الحادية عشرة أو الثانية عشرة أو بعدها؟!.

تسمية أبي بكر بالصّديق

إنه إذا تأكد لنا: أن الاسراء والمعراج كان في السنة الثالثة من البعثة. أي قبل أن يسلم من المسلمين أربعون رجلاً؛ فاننا نعرف: أن الاسراء كان قبل اسلام أبي بكر بمدة طويلة؛ لأنه كما تقدم قد اسلم بعد اكثر من خمسين رجلاً، بل إنما اسلم حوالي السنة الخامسة من البعثة، بل في السابعة أي بعد وقوع المواجهة بين قريش وبين النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» أو بعد الهجرة إلى الحبشة فهو أول من أسلم بعد هذه المواجهة أو الهجرة ـ على الظاهر.

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب ج١ ص ١٨٠، والبحار ج١٨ ص ٣٨٤.

(٢) البحار ج١٨ ص ٣٨٥ عن العياشي، عن زرارة، وحمران بن أعين، ومحمد بن مسلم، عن الباقر(ع).

(٣) تاريخ الخميس ج١ ص ٣١٥.

وإذا كان الاسراء قد حصل قبل اسلامه بمدة طويلة، فلا يبقى مجال لتصديق ما يذكر هنا، من أنه قد سُمّي صديقاً، حينما صدق رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» في قضية الاسراء[١]، ولا لما يذكرونه، من أن ملكاً كان يكلم رسول الله حين المعراج بصوت أبي بكر[٢] وقد صرح الحفاظ بكذب طائفة من تلك الروايات[٣].

والصحيح: هو أنه قد كلمه بصوت علي «عليه السلام»[٤]. وبذلك يظهر حال سائر ما يذكر هنا لهذا الرجل من فضائل ومواقف تنسب إليه في السنوات الثلاث الأولى من البعثة.

وبعد ما تقدم نقول: جاء في الشفاء عن ابي حمراء قال: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم»: لما اسري بي الى السماء إذا على العرش مكتوب: لا إله إلا الله محمد رسول الله، أيدته بعلي «عليه السلام»[٥].

الإسراء والمعراج في اليقظة أو في المنام:

يرى البعض: أن الاسراء قد كان بالروح فقط، في عالم الرؤيا،

---

(١) تاريخ الخميس ج١ ص ٣١٥، والمواهب اللدنية ج٢ ص ٤٠ مستدرك الحاكم، وابن إسحاق.

(٢) المواهب اللدنية ج٢ ص ٢٩/ ٣٠. وراجع الدر المنثور ج٤ ص ١٥٥ وراجع ص ١٥٤.

(٣) راجع: الغدير ج٥ ص ٣٠٣ و٣٢٤ و٣٢٥ فإنه قد نقل هذه الروايات وتكذيبها عن: ميزان الاعتدال ج١ ص ٣٧٠، ولسان الميزان ج٥ ص ٢٣٥، وتهذيب التهذيب ج٥ ص ١٣٨، والسيوطي في الموضوعات، وابن حبان، وابن عدي.

(٤) المناقب للخوارزمي ص ٣٧ وينابيع المودة ص ٨٣.

(٥) تاريخ الخميس ج١ ص ٣١٣.

ويحتجون بما عن عائشة: ما فقدت جسد رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم»[١].

وعن معاوية: انها رؤيا صالحة[٢]. وحكي مثل ذلك عن الحسن البصري.

ولكن الصحيح هو ما ذهب إليه الامامية ومعظم المسلمين من أن الاسراء إنما كان بالروح والجسد معاً. أما المعراج فذهب الاكثر إلى أنه كان بالروح والجسد وهو الصحيح أيضاً. ونحن نشير هنا إلى ما يلي:

أولاً: بالنسبة لعائشة، قال القسطلاني: «وأجيب: بأن عائشة لم تحدث به عن مشاهدة؛ لأنها لم تكن إذ ذاك زوجاً، ولا في سن من يضبط، أو لم تكن ولدت بعد، على الخلاف في الاسراء متى كان»[٣].

وأما معاوية فحاله معلوم مما ذكرناه في الجزء الأول: المدخل لدراسة السيرة.

وثانياً: قال تعالى: «سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى»[٤] وقال في سورة النجم ـ اذا كانت الأيات ناظرة إلى المعراج، ويرجع الضمير فيها إلى النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» لا إلى جبرئيل ـ: «فكان قاب قوسين أو أدنى. فأوحى إلى عبده ما أوحى»[٥].

---

(١) تاريخ الخميس ج١ ص ٣٠٨، والمواهب اللدنية ج٢ ص ٢، والبحار ج١٨ ص ٢٩١ وفي المناقب لابن شهرآشوب ج١ ص ١٧٧: أن الجهمية قالت بهذا.

(٢) البحار ج١٨ ص ٢٩١ عن: المقاصد وشرحه، وراجع تاريخ الخميس ج١ ص ٣٠٨.

(٣) المواهب اللدنية ج٢ ص ٢.

(٤) الإسراء: ١.

(٥) النجم ٩ ـ ١٠.

فان لفظ العبد إنما يطلق على الروح والجسد معاً، ولو كان مناماً، لكان قال: بروح عبده، وإلى روح عبده.

كما أن قوله تعالى: «ما زاغ البصر وما طغى» ظاهر في البصر الحقيقي أيضاً[١].

أضف إلى ذلك: أن آية سورة الاسراء، وآيات سورة النجم واردة في مقام الامتنان. وفيها ثناء على الله، وعجيب قدرته، وذلك لا يحسن، ولا يتم لمجرد رؤيا رآها النبي «صلى الله عليه وآله وسلم»؛ إذ ربما يرى غير النبي، وحتى الفاسق الفاجر رؤيا اعظم من ذلك.

هذا بالإضافة إلى أن الرؤيا عند عامة الناس لا تدل على عظيم قدرته تعالى، إذ ربما تفسر على أنها نوع من الاوهام والخيالات، فيفوت الغرض المقصود من الاسراء والمعراج، كما هو ظاهر[٢].

وثالثاً: انه لو كان الاسراء مجرد رؤيا صالحة؛ فلا يبقى فيه اعجاز؛ ولما أنكره المشركون والمعاندون، ولما ارتدّ ناس ممن كان قد اسلم، كما سنشير اليه.

ورابعاً: لو كان مجرد رؤيا، لم يخرج ابو طالب والهاشميون في طلبه «صلى الله عليه وآله وسلم». وكان العباس يناديه حتى اجابه من بعض النواحي، حسبما ورد في بعض الروايات.

واما لماذا ينكرون: ان يكون ذلك بالروح والجسد معاً؛ فهو إما لعدم قدرتهم على تعقل ذلك، او لأجل الحط من كرامة النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» كما تقدم في المدخل لدراسة السيرة، او لعدم قدرتهم

---

(١) راجع هذا الاستدلال في: البحار ج١٨ ص ٢٨٦ عن الرازي، والمواهب اللدنية ج٢ ص ٤، وتاريخ الخميس ج١ ص ٣٠٨.

(٢) راجع: تفسير الميزان ج١٣ ص ٢٤.

على اقناع الناس بامر مبهم كهذا.

الاسراء والمعراج في القرآن:

اننا نؤمن بالاسراء استناداً إلى قوله تعالى: «سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى، الذي باركنا حوله، لنريه من آياتنا[1]». . . فمحط النظر في الآية هو بيان الاسراء فقط.

اما المعراج، فانه لم يذكر في القرآن صراحة، إلا ما جاء في تفسير آيات سورة النجم وهي قوله تعالىٰ: «ذو مرة فاستوى. وهو بالافق الاعلى. ثم دنا فتدلى. فكان قاب قوسين او ادنى. فأوحى الى عبده ما اوحى. ما كذب الفؤاد ما رأى.»[2]، ان قلنا ان الضمير فيها يرجع إلى النبي «صلى الله عليه وآله وسلم»، لا إلى ذي المرة، الذي هو جبرئيل.

مع أن الثاني هو الظاهر، ويدل عليه رواية صحيحة السند، عالية الاسناد، عن الامام الرضا «عليه السلام». والرواية تستشهد وتستدل بنص الآيات في السورة.[3].

ويدل على ذلك ايضاً ويفسره قوله تعالى: «ولقد رآه بالافق المبين[4]» فراجع.

ولكن كثرة الاخبار الواردة في المعراج، وحتى تواترها القطعي لا يُبقي مجالاً للشك في حصول المعراج؛ فنحن نؤمن به أيضاً استناداً إلى ذلك.

---

(١) الإسراء: ١.

(٢) النجم: ٦ ـ ١٢.

(٣) راجع البرهان للبحراني ج٤ ص ٢٤٨ وستأتي الرواية تحت عنوان: لا تدركه الأبصار.

(٤) التكوير: ٢٣.

وأما القول بـوجود تعـارضٍ بين آية سـورة الاسراء، وبين الـروايات الدالة على المعراج، على اعتبار: ان الآية تدل على ان انتهـاء السير كـان في المسجد الاقصى، ولم يكن بعده سير.

فلا يصح؛ لأن هنـاك رحلتين مختلفتين من حيث الكيفية والقصـد. وقد كان انتهاء الرحلة الاولى في المسجـد الاقصى، ولم يتعلق غرض في الآية ببيان الرحلة الثانية أصلا.

سؤال هام وجوابه:

واما لماذا لم يـذكر المعـراج في القرآن صـراحة، كمـا كان الحـال بالنسبة إلى الاسراء.

فلربما يكون السـر في ذلك هـو ان الاسراء امـر قريب إلى الحس، فالتصديق به يكون ايسر وأقرب.

وإذا كانوا قد صعب عليهم التصديق بالاسراء، بل واستهزؤا وشنعوا عليه ما شاء لهم بغيهم وحنقهم. رغم أنه قد أخبرهم بما جرى للقافلة التي رآهـا في طريقـه، وبأنهـا قد اضلت بعيـراً، وكسرت فيهـا ناقـة حمراء في الوقت الفلاني، وبان لهم صدقه في ذلك. ورغم أنه «صلى الله عليه وآلـه وسلم» وصف لهم بيت المقدس وصفاً دقيقاً، يعلمون صحته وصدقه، مع علمهم بعدم رؤيته «صلى الله عليه وآله وسلم» له فيما مضى.

وأيضـاً، إذا كان بعض ضعفـاء المسلمين قد ارتـدوا، حين أخبرهم النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» بقضيـة الاسراء[1]، الـذي هو من جملة

---

(١) المصنف لعبد الرزاق ج٥ ص ٣٢٨، وتفسير ابن كثير ج٣ ص ٢١، وأخرجه أبو نعيم، ومنتخب كنز العمال هامش مسند أحمد ج٤ ص ٣٥٣ حياة الصحابة ج٣ ص ٧٣ عن بعض من تقدم. وتاريخ الخميس ج١ ص ٣٠٨ و٣١٥، والمواهب اللدنية ج٢ ص ٤٠.

المعجزات القاطعة، والبراهين الساطعة.

نعم، إذا كان ذلك كله، فكيف تكون الحال إذا أخبرهم بما هو اكثر غرابة وبعداً عن أذهانهم، وهو رحلته إلى السماوات العلى، وما شاهد فيها من عجائب الصنع، وبديع الخلق؟!.

ولهذا، فاننا نرجح: أنه «صلى الله عليه وآله وسلم» قد تدرّج في اخباره لهم بالاسراء والمعراج، فأخبرهم أولاً بالاسراء، أما المعراج؛ فأخبر به أولياءه المؤمنين القادرين على التحمل، والتعقل. ثم صار يتوسع في اخباره لغيرهم بذلك في الأوقات المناسبة، وبحسب ما تقتضيه المصلحة، ومتطلبات الدعوة إلى الله تعالى.

الداعية الحكيم:

ولعل مما تقدم يظهر: أنه اذا كان النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» إنما جاء ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ومن الضلالة إلى الهدى، فان من الطبيعي أن يهتم في الحفاظ على الركيزة الايمانية التي يحصل عليها، وأن لا يدخلها في أجواء ليس لها القدرة علىٰ استيعابها ولا علىٰ مواجهة اخطار الانحراف فيها.

ومن الواضح: أنه إذا أخبرهم بقضية المعراج، مع عدم قدرتهم على التحمل والتفاعل معها ولا على تصورها، فانهم إذا ارتدوا حينئذٍ فسيكونون معذورين، ولا سيما إذا كان التصديق بهذه القضية إنما يستند إلى المستوى الايماني لديهم بالدرجة الاولى.

وأما قضية الاسراء، فقد كان بالإمكان أن يؤدي الاخبار عنها نفس النتيجة المتوخاة، وهي الجهة الاعجازية ذات الطابع المعين مع امكان الاستناد في مقام الاقناع بها إلى أدلة تقربها إلى الحس، وتجعل القبول بها أيسر وأسهل من تلك، ولا يعتمد فيها على المستوى الايماني

وحسب. وإذن؛ فلا يبقى ثمة مبرر لارتداد هؤلاء، ولا لعناد أولئك.

لا تدركه الابصار:

ويرى البعض، استناداً إلى قوله تعالى: «أفتمارونه على ما يرى، ولقد رآه نزلة أخرى. عند سدرة المنتهى إلخ[1]»: أن النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» قد رأى الله حين المعراج بعين رأسه، ورووا ذلك عن ابن عباس. بل لقد حكى النقاش عن أحمد بن حنبل، أنه قال: أنا أقول بحديث ابن عباس: بعينه رآه، رآه، حتى انقطع نفسه، يعني نفس أحمد[2].

ونحن لا نريد أن نفيض في الحديث حول الرؤية له تعالىٰ، فلقد أثبت علماؤنا الابرار، بما لا مجال معه للشك استحالة رؤيته تعالى، سواء في الدنيا، أو في الآخرة. وقد فندوا أدلة المجسمة المثبتين للرؤية في الدنيا والآخرة، أو في الآخرة فقط بشكل علمي وقاطع.. فمن أراد الاطلاع على ذلك فعليه بمراجعة دلائل الصدق، وغيره من الكتب المعدة لذلك[3].

ونكتفي هنا بالاشارة إلى أن الرواية عن ابن عباس غير ثابتة، فقد روي عنه أيضاً خلافها[4].

وروى عن عائشة: أن مسروقاً قال لها: يا أم المؤمنين، هل رأى محمد «صلى الله عليه وآله وسلم» ربه؟ قالت: لقد قفّ شعري مما

---

(١) النجم: ١٢ - ١٤.

(٢) تاريخ الخميس ج١ ص ٣١٤.

(٣) مثل: دلائل الصدق، وغيره من الكتب الباحثة في الشأن العقائدي.

(٤) راجع في الروايات الكثيرة عنه: الدر المنثور ج٦ ص ١٢٢ - ١٢٦.

قلت. . . إلى أن قالت: من حدثك أن محمد رأى ربه فقد كذب، ثم قرأت: لا تدركه الابصار إلخ[١].

وعند مسلم: أنها أضافت: أنها سألت النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» عن ذلك، فأخبرها: أنه لم يره، وإنما رأى جبرئيل[٢].

والروايات في أن المقصود بالآيات في سورة النجم هو جبرئيل كثيرة جداً وكذلك الروايات التي تؤكد: على أنه «صلى الله عليه وآله وسلم» قد رآه بقلبه وفؤاده، لا بعينه وبصره، فانها كثيرة أيضاً.[٣]

بل إن نفس الآيات ظاهرة ـ إن لم تكن صريحة ـ في أن المقصود هو جبرئيل، بيان ذلك باختصار:

ان قوله تعالى: علمه شديد القوى يراد بشديد القوى هو جبرئيل «عليه السلام»، ثم وصف جبرئيل، الذي وصفه الله بالقوة في قوله: «ذي قوة عند ذي العرش مكين[٤]» بكونه ذا مرة، (أي شدة وحصافة في العقل والرأي)[٥]، وقوله (فاستوى) أي ان ذلك الشديد، ذا المرة. استقام أو استولى، وهو بالافق الاعلى. وقوله: ثم دنا، أي ذلك الشديد ذو المرة دنا

---

(١) المواهب اللدنية ج٢ ص ٣٤ عن البخاري ومسلم، وتاريخ الخميس ج١ ص ٣١٣، والدر المنثور ج٦ ص ١٢٤ عن عبد بن حميد، والترمذي، وابن جرير، وابن المنذر، والحاكم وابن مردويه.

(٢) المواهب اللدنية ج٢ ص ٣٥ عن مسلم.

(٣) يكفي أن يرجع الطالب إلى الدر المنثور ج٦ ص ١٢٢ ـ ١٢٦ وتاريخ الخميس ج١ ص ٣١٣/٣١٤ والمواهب اللدنية ج٢ ص ٣٦/٣٧ وغير ذلك من المصادر الكثيرة جداً.

(٤) التكوير: ٢٠.

(٥) احتمل بعض المحققين: أن يكون وصف الله تعالى لجبرئيل بالشدة في مقابل التابع من الجن الذي كان ضعيفاً بحيث يستطيع الإنسان أن يتسلط عليه.

من النبي وتدلى في الافق نحو النبي «صلى الله عليه وآله وسلم».

ثم، إن ذلك الشديد القوي ذا المرة الذي دنا فتدلى، أوحى إلى النبي الذي هو عبدالله ما أوحى.

ورجوع الضمير إلى الله مع عدم سبق ذكره، لا ضير فيه لوضوحه، كما قال العلامة الطباطبائي، أو على أن يكون ضمائر فأوحى إلى عبده ما أوحى راجعة الى الله تعالى.

ثم قال: ما كذب الفؤاد ما رأىٰ. والمرئي هو الآيات الكبرىٰ، ومنها ما تقدم من الدنوّ، والتدلي، وكون جبرئيل بالافق الاعلى.

وليس في الآية ما يدل على أن الرؤية قد كانت لله تعالى. ويدل على ما نقول قوله تعالى الآتي: «ما زاغ البصر وما طغى. لقد رأى من آيات ربه الكبرى».

ثم قال تعالى: أفتمارونه على ما يرى. أي اتجادلونه في رؤيته جبرئيل، وهل هذا أمر نظري عقلي يصح الجدال والمراء فيه؟ وهل بامكانه أن يكذب بصره ويقول: لا أراه؟! فان الكفار كانوا ينكرون الوحي له، ورؤيته الملك.

ثم قال تعالى: ولقد رآه، ـ والضمير يرجع إلى ذلك الذي لا يزال يتحدث عنه ـ، نزلة أخرى، أي في نزول آخر، والذي كان ينزل عليه «صلى الله عليه وآله وسلم» هو جبرئيل، فانه رآه والتقى معه على صورته في نزلة ثانية عند سدرة المنتهى. والسدرة نوع من الشجر.

ولا بد أن تكون هذه الرؤية الثانية في الارض، وإلا لوجب أن يقول: ولقد رآه نزلة أخرى، ثم عرج به الى السماء، حتى انتهى الى السدرة، فرآه عندها.

ويبدو: أنه كان في الارض ـ كما يراه بعض المحققين ـ شجرة سدر

كـان لقاء النبي «صلى الله عليـه وآله وسلم» بجبـرئيل عنـدها، وعنـد تلك السدرة توجد جنة المـأوى، أي جنة وبستـان يؤوى اليها، أو أن الجنـة في الآخرة ستكون في تلك المنطقة.

وبعض المحققين يـرىٰ: أن المراد بـالنزلـة الدفعـة، وأنـه قـد رأىٰ جبـرئيل بعـد العروج عنـد سدرة المنتهىٰ، وان الجنـة الحقيقيـة مـوجـودة هناك.

ونقول:

إن هذا الكلام خلاف ظاهر التعبير بنزلة. وتحقيق مكـان الجنة ليس هنا محله.

وهكذا يتضح: أن هذه الآيات ناظرة إلى رؤية النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» لجبرئيل على صورته الحقيقية مرتين في نزلتين لجبرئيل.

وهذا هو مـا أكده الامـام الرضـا «عليه السـلام» في رواية صحيحـة السند عنه، جاء فيها: قال أبو قرة: إنا روينـا: أن الله قسم الرؤيـة والكلام بين نبيين؛ فقسم الكلام لموسى، ولمحمد الرؤية.

فقـال أبو الحسن «عليـه السلام»: فمن المبلغ عن الله إلى الثقلين، من الجن والانس: «لا تدركه الابصار. ولا يحيطون به علماً. وليس كمثله شيء»؟ أليس محمد «صلى الله عليه وآله وسلم»؟

قال: بلى.

قال: كيف يجيىء رجل إلى الخلق جميعاً؛ فيخبرهم: أنـه جاء من عند الله، وأنه يدعوهم إلى الله بأمر الله، فيقـول: «لا تدركـه الابصار. ولا يحيطون به علما. وليس كمثله شيء»، ثم يقول: أنا رأيته بعيني، وأحطت علماً، وهو على صورة البشر؟! أما تستحون؟!. ما قدرت الزنادقة أن ترميه بهذا أن يكون يأتي من عند الله بشيء، ثم يأتي بخلافه من وجه آخر.

قال أبو قرة: فانه يقول: «ولقد رآه نزلة أخرى»؟

فقال أبو الحسن «عليه السلام»: إن بعد هذه الآية ما يدل على ما رأى، حيث قال: «ما كذب الفؤاد ما رأى»، يقول: ما كذب فؤاد محمد ما رأت عيناه، ثم أخبر بما رأى، فقال: «لقد رأى من آيات ربه الكبرى»؛ فآيات الله غير الله، وقد قال الله: «ولا يحيطون به علماً». فاذا رأته الابصار؛ فقد أحاطت به العلم، ووقعت المعرفة.

فقال أبو قرة: فتكذب بالروايات؟!.

فقال أبو الحسن «عليه السلام»: إذا كانت الروايات مخالفة للقرآن كذبتها. وما أجمع المسلمون عليه: أنه لا يحاط به علماً، ولا تدركه الابصار، وليس كمثله شيء[1].

وفي الرواية دلالة على حجية ظواهر الكتاب، وعلى حجية السياق القرآني ايضاً. صلوات الله وسلامه عليك يا أبا الحسن وعلى آبائك وابناءك الطاهرين، فانكم ما زلتم حصون الاسلام، والمدافعين عنه، والباذلين مهجكم في سبيله، فانتم مصابيح الدجى، والعروة الوثقى، والحجة على أهل الدنيا.

الاسراء من المسجد:

صريح القرآن: أن الاسراء كان من المسجد، وجاء في عدد من الروايات: أنه كان من بيت أم هاني[2] واحتمل السيد الطباطبائي أن يكون

---

(١) أصول الكافي ط سنة ١٣٨٨ في إيران ج١ ص ٧٤/٧٥. والبرهان للبحراني ج٤ ص ٢٤٨.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ج٢ ص ٤٣.

الاسراء حصل مرتين، إحداهما من بيت أم هاني[١].

ويحتمل أيضاً التجوز، وارادة مكة من «المسجد الحرام». وهو اطلاق متعارف، قال تعالى: «هدياً بالغ الكعبة» ويقال: هو يسكن في مشهد الرضا، مع أنه يسكن في البلد المحيطة به. وأطلق في الروايات مسجد الشجرة على ذي الحليفة. ومثل ذلك كثير، فان من المتعارف أن يطلق على المكان الذي فيه شيء معروف اسم ذلك الشيء المعروف.

ويحتمل أيضاً أن يكون «صلى الله عليه وآله وسلم» خرج تلك الليلة الى المسجد من بيت أم هاني، ثم اسري به من المسجد.

موسى، وفرض الصلوات الخمس:

هذا، وقد جاء في بعض الروايات: أن الصلوات الخمس قد فرضت حين المعراج، وأنها فرضت أولاً خمسين صلاةً في اليوم. وحين عودة الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» التقى بموسى، فأشار عليه أن يرجع إلى الله، ويسأله التخفيف، لأن الامة لا تطيق ذلك ـ كما لم تطقه بنو اسرائيل ـ فرجع، وطلب إلى الله التخفيف فخففها إلى أربعين، وعاد الرسول؛ فمر بموسى، فاشار عليه بطلب التخفيف، ففعل، فخففت إلى ثلاثين، ثم إلى عشرين، ثم إلى عشرة، ثم إلى خمسة، ثم استحيا الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» من المراجعة من جديد فاستقرت الصلوات على خمس[٢].

---

(١) الميزان ج١٣ ص ٣١.

(٢) لقد وردت هذه الرواية في مختلف كتب الحديث، والتاريخ عند غير الشيعة، ولذا فلا نرى حاجة لذكر مصادرها. فراجع على سبيل المثال: كشف الأستار عن مسند البزار ج١ ص ٤٥، ووردت أيضاً في كتب الإمامية رحمهم الله تعالى، وأعلى درجاتهم، فراجع: البحار ج١٨ ص ٣٣٠ و٣٣٥ و٣٤٨ و٣٤٩ و٣٥٠ و٤٠٨ عن: =

وهذه الرواية وإن كانت قد وردت في بعض المصادر الشيعية أيضاً، الا أننا لا نستطيع قبولها، وقال عنها السيد المرتضى «رحمه الله»: «أما هذه الرواية فهي من طريق الآحاد، التي لا توجب علماً، وهي مع ذلك مضعفة[1]».

ونحن هنا نشير الىٰ الأسئلة التالية:

لماذا يفرض الله على الامة هذا العدد أولاً، ثم يعود إلى تخفيفه بعد المراجعة، فانه إن كانت المصلحة في الخمسين، فلا معنى للتخفيف، وإن كانت المصلحة في الخمس، فلماذا يفرض الخمسين، ثم الاربعين، ثم الثلاثين وهكذا. وفي بعض الروايات: أنه كان في كل مرة يحط عنه خمساً، حتىٰ انتهىٰ الىٰ خمس صلوات.

وقد أجاب بعض المحققين عن هذا بأن ما جرىٰ هنا ما هو إلا نظير اضافة الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» الركعتين الأخيرتين في الرباعية من الصلاة اليومية؛ ونظير التكليف بعدم الفرار من الزحف، مع أنه علم أن فيكم ضعفاً. ونظير الرفث الىٰ النساء ليلة الصيام، فقد نسخت حرمته بعد وقوع المخالفات منهم؛ قال تعالىٰ: علم أنكم كنتم تختانون انفسكم؛ فتاب عليكم، وعفا عنكم؛ فالآن باشروهن[2].

ونقول: ان ما ذكره ـ حفظه الله لا يكفي لدفع ما ذكرناه، أما بالنسبة لتشريع الركعتين الأخيرتين في الرباعية من قِبَله «صلى الله عليه وآله وسلم»؛ فإن الله سبحانه قد فوّض له ذلك حينما يعلم «صلى الله

= أمالي الصدوق ص ٢٧١/٢٧٠ و٢٧٤، ٢٧٥، وتوحيد الصدوق ص ١٦٨/١٦٧، وعلل الشرائع ص ٥٦/٥٥، والخصال ج١ ص ١٢٩.

(١) تنزيه الأنبياء ص ١٢١.

(٢) البقرة: ١٨٧.

عليه وآله وسلم» بتحقق مصلحته ومقتضيه في متن الواقع.

واما بالنسبة لحكم الفرار من الزحف، وحكم الرفث الىٰ النساء، فان المقصود بـ: «علم أن فيكم ضعفاً». و«علم انكم كنتم تختانون انفسكم» هو تحقق معلوم الله سبحانه في الخارج. أي أن الحكم السابق، وهو حرمة الفرار بملاحظة قلة العدد، وحرمة الرفث قد استمر وبقي الىٰ أن حصل الضعف وحصلت الخيانة وتغير الموضوع. فنسخ الحكم الاول، فنسخت حرمة الرفث ونسخت حرمة الفرار وليس المراد علم الله بعد جهله، والعياذ بالله.

أما السيد المرتضى، فقد أجاب «رحمه الله» عن التساؤل الذي طرحناه فيما سبق بنحو آخر، وهو: أن من الممكن أن تكون المصلحة أولا تقتضي الخمسين، ثم تغيرت هذه المصلحة بسبب المراجعة، وأصبحت تقتضي الخمس[1].

ولكنه جواب منظور فيه؛ فان النبي إذا كان يعلم: أن الله تعالى لا يشرع إلا وفق المصلحة، فانه لا يبقى مجال لمراجعته أصلاً؛ لأنه كأنه حينئذٍ يطلب تشريعاً لا يوافق المصلحة.

ولو صحّت المراجعة هنا، واوجبت تبدل المصلحة صحّت في كل مورد، واوجبت ذلك ايضاً، فلماذا كانت هنا. ولم تكن في سائر الموارد.

كما أن تعليل موسىٰ للتخفيف بعدم طاقة الأمة، كأنه يدل على أنه يعتقد: أن هذا التشريع يخالف المصلحة.

وهذا محال بالنسبة الى الله تعالى. ولا يمكن صدوره لا من موسىٰ «عليه السلام» ولا من نبينا «صلى الله عليه وآله وسلم».

قال صاحب المعالم:

---

(١) تنزيه الأنبياء ص ١٢١.

«المطالبة بصحة الرواية، مع أن فيها طعناً علىٰ الأنبياء بالإقدام علىٰ المراجعة في الاوامر المطلقة»[١].

وسؤال آخر: كيف لم يعلم الله تعالىٰ: أن الأمة لا تطيق ذلك، وعلم بذلك موسىٰ؟:

وسؤال آخر، وهو: ما المراد بعدم الإطاقة؟ هل المراد بها عدم الإطاقة عقلاً؟ فيرد عليه: انه لا يمكن القول بجواز التكليف بما لا يطاق؟ أو المراد به ما كان في مستوىٰ العسر والحرج، المنفي في الشرع الاسلامي، كما دلت عليه الروايات والآيات ولا سيما قوله تعالى: «يريد الله بكم اليسر، ولا يريد بكم العسر»[٢] و«ما جعل عليكم في الدين من حرج»[٣] وغير ذلك من الآيات.

ومما ذكرناه يتضح: أنه لا يمكن أن يكون تعالى قد كلف بني اسرائيل مالا يطيقون.

واما قوله تعالىٰ: «ربنا، ولا تحمل علينا اصراً كما حملته علىٰ الذين من قبلنا»[٤].

فهو لا يدل علىٰ ذلك لعطف قوله «ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به» عليه؛ فيدل علىٰ أن المراد بالإصر هو ما يطاق، لا ما لا يطاق. ويمكن ان يكون المراد بالاصر: جزاء السيئات الثقيل والشاق، أو المبادرة بعذاب الاستيصال.

واما طلبهم أن لا يحمّلهم ما لاطاقة لهم به، فليس المراد أنه

---

(١) معالم الدين ص ٢٠٨ مبحث النسخ.

(٢) البقرة: ١٨٥.

(٣) الحج: ٧٨.

(٤) البقرة: ٢٨٦.

يحمّلهم ذلك في التكليف الابتدائي، لأن العقل لا يجيز ذلك، بل المراد مالا طاقة لهم به، مما يتسبب عن المخالفة وهو العذاب الأليم، والعقاب العظيم.

وسؤال آخر هنا، وهو:

كيف نسي الله تعالى تلك التجربة الفاشلة مع بني اسرائيل، حتى أراد أن يكررها مع أمة محمد من جديد؟!.

ولعل هذه التجربة كانت هي عذر ابراهيم الذي مر عليه محمد «صلى الله عليه وآله وسلم» ذهاباً واياباً عشر مرات، أو عشرين[1] على اختلاف النقل. ولكنه لم يسأله عن شيء، ولا أمره بشيء!!.

وإن كنا نستغرب عدم سؤاله عن سر هذه الجولات المتتالية ذهابا واياباً؟!.

ولماذا لم يلتفت نبينا الاعظم «صلى الله عليه وآله وسلم» إلى ثقل هذا التشريع على امته، والتفت إليه نبي الله موسى؟ ولماذا بقي يغفل عن ذلك خمس مرات، بل ستة أو اكثر ولا يعرف: أن هذا ليس هو الحد المطلوب، حتى يضطر موسى لأن يرصد له الطريق باستمرار، ولولاه لوقعت الأمة في الحرج والعسر؟.

ولماذا لا ينزل الله العدد إلى الخمس مباشرة من دون أن يضطر الرسول إلى الصعود والنزول المتعب والمتواصل باستمرار؟!

استبعاد الاسراء والمعراج:

وبعد، فلا بد لنا من الاشارة هنا: إلى أن استبعاد الاسراء

---

(١) لأن ابراهيم حسب نص الرواية كان في السماء السابعة، وموسى كان في السادسة وكان موسى يُرجع النبي إلى ربه، كي يسأله التخفيف، فيرجع ثم يعود إليه فيرجعه من جديد.

والمعراج؛ بدعوى عدم امكان تصور أن تقطع تلك المسافات الشاسعة، التي تعد بآلاف الاميال في ليلة واحدة ذهاباً وإياباً ـ هذا الاستبعاد ـ في غير محله.

فقد حضر عرش بلقيس لدى سليمان من اليمن إلى بلاد الشام في أقل من لمح البصر. وكان عفريت من الجن قد تكفل بأن يأتيه به قبل أن يقوم من مقامه.

وأما بالنسبة لنا اليوم فقد اصبح التصديق بالاسراء والمعراج اكثر سهولة، والاقناع به أقرب منالاً، ولا سيما بعد أن تمكن هذا الانسان العاجز المحدود من أن يصنع ما يمكنه من قطع ١٣ كيلومتراً في ثانية واحدة، ولربما يتضاعف ذلك عدة مرات في المستقبل. كما أنه قد اكتشف أن سرعة النور هي حوالي ثلاثمائة الف كيلومترفي الثانية[١]، بل يعتقد بعض العلماء: ان الموجات غير المرئية للجاذبية تستطيع أن تقطع العالم بلحظة واحدة من دون حاجة إلى الزمان..

وبعد كل هذا فإنه إذا كان قطع المسافات البعيدة بهذه السرعة المذهلة ليس مستحيلاً على هذا الانسان المحدود، الذي بقي الاعوام الطوال يفكر ويستعد، ويجمع الخبرات والامكانات، فهل يستحيل على خالق الانسان والكون، ومبدعه أن يسري بعبده الذي اصطفاه رسولاً للبشرية جمعاء، ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى، وإلى ملكوت السموات، ثم يعيده إلى مكانه الأول؟!.

من اهداف الإسراء والمعراج:

اننا اذا أردنا معرفة الأهداف والحكم، والمعجزات، والتأثيرات

---

(١) راجع حول سرعة النور: موسوعة المعارف والعلوم ص ١٠.

العميقة للإسراء والمعراج، فلا بد لنا من دراسة كل نصوصه، وفقراته، ومراحله بدقةٍ وعمقٍ. بعد تحقيق الصحيح منها. وحيث ان ذلك غير متيسِّر بل هو متعذر علينا في ظروفنا الحاضرة، فاننا لابد ان نكتفي بالإشارة الى الامور التالية:

أولاً: ان حادثة الإسراء والمعراج معجزة كبرى خالدة، ولسوف يبقى البشر الىٰ الأبد عاجزين عن مجاراتها، وادراك أسرارها ولعل اعجازها هذا اصبح اكثر وضوحاً في هذا القرن العشرين، بعد ان تعرف هذا الانسان على بعض اسرار الكون وعجائبه. وما يعترض سبيل النفوذ الى السماوات من عقبات ومصاعب.

واعجازها هذا إنما يكون بعد التسليم بنبوة النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» عن طريق الخضوع لمعجزته الخالدة، وهي القرآن، او اليقين بصدقه «صلى الله عليه وآله وسلم» عن أي طريق آخر، بحيث يكون ذلك موجباً لليقين بصدق اخباراته كلها؛ فاذا اخبر «صلى الله عليه وآله وسلم» بهذه الحادثة، فان اخباره مساوق لليقين بوقوعها. وهي حينئذٍ تكون معجزة خالدة تتحدى هذا الانسان على مدى التاريخ.

وثانياً: يلاحظ: ان هذه القضية قد حصلت بعد البعثة بقليل، وقد بين الله سبحانه الهدف من هذه الجولة الكونية؛ فقال في سورة الاسراء: «لنريه من آياتنا».

وإذا كان الرسول الأكرم «صلى الله عليه وآله وسلم» هو الأسوة والقدوة للإنسانية جمعاء، واذا كانت مهمته هي حمل اعباء الرسالة الىٰ العالم بأسره، واذا كان سوف يواجه من التحديات، ومن المصاعب والمشكلات ما هو بحجم هذهِ المهمة الكبرىٰ، فان من الطبيعي: أن يعدَّهُ الله سبحانه إعداداً جيداً لذلك، وليكن المقصود من قصة الاسراء

والمعراج هو ان يشاهد الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله وسلم» بعض آثار عظمة الله تعالى، في عمليةٍ تربوية رائعة، وتعميق وترسيخ للطاقة الإيمانية فيه، وليعدّه لمواجهة التحديات الكبرى التي تنتظره، وتحمل المشاق والمصاعب والأذايا التي لم يواجهها احد قبله، ولا بعده، حتى لقد قال حسبما نقل «ما أوذي نبي مثلما أوذيت». وعلى حسب نص السيوطي، والمناوي، وغيرهما: «ما أوذي احد ما أوذيت»[1] ولا سيما اذا عرفنا: ان عمق إدراك هذا النبي الاعظم «صلى الله عليه وآله وسلم» - وهو عقل الكل، وإمام الكل - لاخطار الانحرافات في المجتمعات، وانعكاساتها العميقة على الاجيال اللاحقة كان من شأنه أن يعصر نفسه ألماً من اجلهم، ويزيد في تأثره وعذاب روحه حتى لقد خاطبه الله تعالى بقوله: «فلا تذهب نفسك عليهم حسرات[2]».

وأيضاً، فانه بالاسراء والمعراج يفتح قلبه وعقله ليكون أرحب من هذا الكون، ويمنحه الرؤية الواضحة، والوعي الاعمق في تعامله مع الأمور، ومعالجته للمشكلات. ولا سيما إذا كان لا بد أن يتحمل مسؤولية قيادة الأمة والعالم بأسره.

وكذلك ليصل هذا النبي الأميّ إلى درجة الشهود والعيان بالنسبة إلى ما أوحي إليه، وسمع به عن عظمة ملكوت الله سبحانه، ولينتقل من مرحلة السماع إلى مرحلة الرؤية والشهود، ليزيد في المعرفة يقينا، وفي الايمان رسوخاً.

وثالثاً: لقد كان الانسان - ولا سيما العربي آنئذٍ - يعيش في نطاق ضيق، وذهنية محدودة، ولا يستطيع أن يتصور أكثر من الامور الحسية، أو

---

(١) راجع: الجامع الصغير ج٢ ص ١٤٤ وكنوز الحقائق، هامش الجامع الصغير ج٢ ص ٨٣.

(٢) فاطر/٨.

القريبة من الحس، التي كانت تحيط به، أو يلتمس آثارها عن قرب. وذلك من قبيل الفرس، والسيف، والقمر، والنجوم، والماء والكلاء، ونحوها، ويشعر بالحب، والبغض والشجاعة وغير ذلك.

فكان ـ والحالة هذهِ ـ لا بد من فتح عيني هذا الانسان على الكون الارحب، الذي استخلفه الله فيه، ليطرح على نفسه الكثير من التساؤلات عنه، ويبعث الطموح فيه للتعرف عليه، واستكناه أسراره، وبعد ذلك احياء الامل وبث روح جديدة فيه، ليبذل المحاولة للخروج من هذا الجو الضيق الذي يرى نفسه فيه، ومن ذلك الواقع المزري، الذي يعاني منه.

وهذا بالطبع ينسحب على كل أمة، وكل جيل، وإلى الابد.

ورابعاً: والأهم من ذلك: ان يلمس هذا الانسان عظمة الله سبحانه، ويدرك بديع صنعه، وعظيم قدرته، من اجل ان يثق بنفسه ودينه. ويطمئن الى أنه بإيمانه بالله، إنما يكون قد التجأ إلى ركن وثيق لا يختار له الاّ الأصلح، ولا يريد له الا الخير، قادر على كل شيء، ومحيط بكل الموجودات.

وخامساً: واخيراً، انه يريد ان يتحدى الاجيال الآتية، ويخبر عما سيؤول اليه البحث العلمي ـ من التغلب، على المصاعب الكونية، وغزو الفضاء؛ فكان هذا الغزو بما له من طابع اعجازي خالدٍ هو الأسبق والاكثر غرابة وابداعاً؛ وليطمئن المؤمنون، وليربط الله على قلوبهم، ويزيدهم ايماناً كما قلنا.

الأذان:

ونحن نعتقد: أن الأذان قد شرع في مناسبة الإسراء والمعراج كما جاء في الخبر الصحيح، ولكنهم إنما يذكرون ذلك بعد الهجرة؛ فنحن نرجيء الحديث عنه إلى هناك، إن شاء الله تعالى.

اليهود والمسجد في القرآن:

قال تعالى:

﴿وقضينا إلى بني اسرائيل في الكتاب: لتفسدن في الارض مرتين، ولتعلن علواً كبيراً. فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا، أولي بأس شديد، فجاسوا خلال الديار، وكان وعداً مفعولا. ثم رددنا لكم الكرة عليهم، وأمددناكم بأموال وبنين، وجعلناكم اكثر نفيرا. إن أحسنتم أحسنتم لانفسكم، وإن أسأتم فلها؛ فإذا جاء وعد الآخرة؛ ليسوؤا وجوهكم، وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة، وليتبروا ما علوا تتبيرا. عسى ربكم أن يرحمكم، وإن عدتم عدنا، وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا، إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات: أن لهم أجراً كبيراً. وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذاباً أليما﴾[1].

مفاد الآيات إجمالاً:

فهذه الآيات الكريمة تتضمن:

أ: أحداثاً أربعة هامة، هي التالية:

١ ـ إن بني اسرائيل سوف يفسدون في الارض، ويعلون علواً كبيرا، بعد أن كتب الله عليهم الجلاء، وضرب عليهم الذل والمسكنة، وباؤا بغضب من الله.

٢ ـ إن عباداً لله أولي بأس شديد سوف يحاربون الاسرائيليين، بعد فسادهم وعلوهم، ويطأون بلادهم، ويجوسون خلال ديارهم جزاء علىٰ بغيهم وفسادهم، ويدخلون المسجد الاقصىٰ ايضاً.

---

(١) سورة الإسراء: ٤ ـ ١٠.

٣ ـ إن بني اسرائيل سوف تكثر بعد ذلك أموالهم، وأولادهم، وذلك يحتاج إلى مدة طويلة نسبياً، ولسوف يجهزون جيشاً أعظم من جيش أولئك العباد، وتكون الكرة لهم عليهم.

٤ ـ ثم انهم بعد ان يعودوا إلى الافساد من جديد؛ في مهلة زمنية لا بأس بمقدارها يعود أولئك العباد إلى حربهم، ليسوؤا وجوههم، وليتبروا ما علوا تتبرا.

ب: إن حصول المرتين الاولى والثانية، يعني الافساد والاول من بني اسرائيل ثم إرسال الله تعالى عباداً له عليهم، أمر حتمي، لقوله تعالى: (وكان وعداًمفعولاً). أما المرتان الأخيرتان فهما تتوقفان على اعتبار بني اسرائيل بما حصل، ثم اختيارهم أحد الامرين.

فلأجل ابراز عنصر الاختيار هذا والتشكيك بصدوره منهم، عبّر بـ «ان»: ﴿إن احسنتم الخ. .﴾ لانها تستعمل في مقام الترديد والشك في صدور الإحسان منهم.

ضرب القاعدة، وإعطاء الضابطة:

ثم إنه بالنسبة للافساد الثاني قد اختار التعبير بـ «إذا» كما استعمل نفس هذه الكلمة بالنسبة لافسادهم الأول، وذلك لافادة أن اختيارهم لطريق الشر أمر حتمي. ولا شك فيه لما يعلمه الله فيهم من خصائص، وطموحات.

ولكن جواب الشرط قد جاء بصيغة المضارع لافادة حصول سَوْءِ الوجوه والتتبير بصورة تدريجية، ليكون ذلك أدعى في الاذلال، وأدلّ على المساءة ولكن هذا المضارع إنما هو بملاحظة زمان تحقق الشرط في المستقبل.

ويلاحظ هنا: كثرة المؤكدات على صدور ذلك منهم؛ فلاحظ قوله

تعالى: ﴿**قضينا**﴾ المشير الى حتمية ذلك لكن لا على سبيل الجبر، وإنما على سبيل الإخبار بما هو حتمي الوقوع بحسب ما يعلمه الله من أحوالهم.
ثم عبر بكلمة: ﴿**في الكتاب**﴾ المفيدة إلى نوع التأكيد أيضاً.

ثم أتى بلام الإبتداء في أكثر من مورد، فقال: ﴿**لتفسدن، ولتعلن**﴾. ثم أتى بنون التوكيد. مشفوعة بإذا التي تستعمل في مقام الجزم بتحقق الشرط.

وعقب على ذلك باعتاره وعداً قد جاء بصيغة التحقق والوقوع، حيث قال: ﴿**إذا جاء وعد**﴾ ولم يقل: وقت أو موعد وهو يقتضي الحصول والتحقق أيضاً، ثم الحقه بكلمة: ﴿**بعثنا**﴾، ولم يقل: سنبعث، ليشير إلى أنه أمر حاصل لامحالة، فهو يخبر عن وقوعه.

ثم عاد فكرر كونه وعداً ولكن بصيغة تؤكد وقوعه وحصوله حيث قال: ﴿**كان وعداً**﴾ ثم وصفه بقوله: ﴿**مفعولا**﴾.

ونلاحظ أيضاً أنه لم يزل يعبر بـ: «**أمددنا، بعثنا، جعلنا، رددنا**» بصيغة الخبر عن أمر حاصل، واظهاراً للثقة بحصوله أيضاً. فلاحظ الآيات.

ج: إن المستفاد من هذه الآيات هو: أن من سوف تجري لهم مع بني اسرائيل هذه الاحداث هم جماعة واحدة، يجوسون خلال ديار بني اسرائيل أولاً، ثم ترد الكرة لبني اسرائيل عليهم، ثم يعودون هم إلى ضرب بني اسرائيل ضربة تسوء لها وجوههم، ويتبّروا فيها ما علوا.

وذلك لأن الضمائر في: «جاسوا، وعليهم، وليسوؤا، وليدخلوا، ودخلوه وليتبروا» ـ كل هذه الضمائر ترجع إلى جماعة واحدة، عبر عنها بقوله تعالىٰ: ﴿**عباداً لنا**﴾، **وليس غيره في الآيات يصلح مرجعاً لهذه الضمائر ـ أصلاً.**

د: يستفاد من هذه الآيات: أن هؤلاء العباد سوف يدخلون المسجد

مرتين. وأن دخولهم هذا سوف يكون على نحو واحد في المرتين معاً، أي بالقوة والقهر، والغلبة ﴿كما دخلوه اول مرة﴾.

هـ: إنه تعالى بعد أن ذكر الأحداث الأربعة عاد فقال: ﴿وإن عـدتم عدنا﴾ وهو لبيان قاعدة كلية، وسنة إلهيـة في مواجهـة طغيان بني اسـرائيل وفسادهم، وهو لا يدل على أن ذلك سوف يقع منهم، بعـد تلك الأحداث الأربعة، بل إن ما سوف يقع جزماً هو ما ذكر. أمـا ما سـواه فلا دليـل على حدوثه، بـل إن تعبيره بـ «إن» الشـرطية، المـوضوعـة للاستعمـال في غير موارد الجزم لربما يشير إلى عدم الوقوع.

و: ان المقصود بـ: ﴿عباداً لنا﴾ قـوم مؤمنون، وذلك لاقتضاء ظاهـر قـوله: ﴿بعثنـا﴾، وقـولـه: ﴿عبـاداً لنـا﴾[1] لأن البعث، والعبـاد لـه، لم يستعملا في القرآن ـ إلا ما شذ ـ إلا في مقام المدح والثناء، ولا سيما مثل قوله تعالى: إن عبادي ليس لك عليهم سلطان، وغير ذلك.

ولا أقل من أنه قصد به ما سوىٰ الكافرين.

ولربما يشيـر إلى ذلك أيضـاً: أنه تعـالىٰ بعد أن ذكـر انتصار عبـاده على بني اسرائيل وما سوف يحيق ببني اسرائيل من سوء، وأنه جعل جهنم للكافرين حصيرا، عاد فأجمل كل ذلك على شكل قاعـدة كلية، فبين: ان سنـة الله هي أن يبشر عبـاده المؤمنين الذين يقفـون المـواقف الصـالحـة، ويدافعون عن دينـه ـ كهؤلاء العباد الـذين أرسلهم على بني اسرائيـل ـ بأن لهم أجراً عظيمـاً. وأن الذين لا يؤمنـون بالاخـرة، ويفسدون في الارض، ويعلون، علواً كبيراً، كما هو حال بني اسرائيل قد أعْتد لهم عـذابا اليمـا، فقال:

﴿إن هـذا القـرآن يهـدي للتي هي أقـوم، ويبشـر المؤمنين الـذين

---

(١) الميزان للعلامة الطباطبائي ج١٣ ص ٣٩.

يعملون الصالحات: أن لهم أجراً عظيما. وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذاباً أليما﴾.

ثم دخل في موضوع آخر.

ويرىٰ العلامة المحقق البحاثة السيد الطباطبائي «رحمه الله»: أنه لا دليل في الكلام ـ أي في قوله تعالىٰ: ﴿بعثنا عليكم عباداً لنا﴾ يدل علىٰ كون المبعوثين (مؤمنين)؛ إذ لا ضير في عدّ مجيئهم إلى بني اسرائيل، مع ما كان فيه من القتل الذريع، والاسر، والسبي، والنهب، والتخريب، بعثاً إلهياً؛ لأنه كان على سبيل المجازاة على إفسادهم في الأرض، وعلوّهم، وبغيهم بغير الحق؛ فما ظلمهم الله ببعث أعدائهم، وتأييدهم عليهم، ولكن كانوا هم الظالمين لأنفسهم[1].

ونقول:

إننا لا نستطيع ـ بدورنا ـ أن نقبل: أن الله تعالى يؤيد الظالمين والمجرمين بأي وجه. نعم، هو يخلي بينهم وبينهم، ويوقف تاييداته لهم، وهذا غير تأييده لأولئك، وبعثهم على هؤلاء.

إلا أن يُدّعى أن المراد هو التسليط عليهم. وذلك بالتخلية فيما بينهم، ووقف التأييدات للفئة المؤمنة بسبب ما فعلته.

لكن يرد عليه: أن نسبة البعث ـ والحالة هذهِ الىٰ الله سبحانه ـ تصبح غير ظاهرة، ولا مقبولة.

كما أننا قد أشرنا فيما سبق إلى وجود بعض القرائن المشيرة إلى إيمان المبعوثين. فالأظهر هنا: هو أن أولئك العباد سوف يدفعهم أمر الله تعالى والتكليف الشرعي إلى القيام بذلك العمل؛ فيصح أن يقال: إن الله هو المحرك والباعث لهم.

---

(١) تفسير الميزان ج١٣ ص ٣٩.

هذا ما يستفاد من الآيات بشكل عام.

بقي الكلام في تطبيقها الخارجي؛ فهل حصل وتحقق مفادها كله في السابق؟ أو أنه لسوف يحصل ذلك كله في الآتي! . أو أن بعض ذلك قد حصل؟. والبعض الآخر متوقع الحصول؟!.

أقوال الرواة والمفسرين:

لقد راجعنا عدداً من كتب الحديث والتفسير، فوجدنا الروايات والانظار مختلفة ومتباينة في ذلك. .

ونحن نذكر موجزاً عن تلك الروايات، والآراء بتلخيص منّا، وذلك علىٰ النحو التالي:

١ ـ عن ابن مسعود: إن الفساد الاول هو قتل زكريا، فبعث الله عليهم ملك النبط، ثم عادوا هم فغزوا النبط، فأصابوا منهم.

٢ ـ عن عطية العوفي: بعث الله عليهم أولا جالوت، ثم قتله طالوت على يد داود، ثم قتلوا يحيى؛ فبعث عليهم بخت نصر. وكذا عن ابن عباس.

٣ ـ عن علي: الفساد الاول قتل زكريا، والثاني قتل يحيى، مع عدم بيان من بعث عليهم في المرتين.

٤ ـ عن حذيفة: المرة الأولى بخت نصر، ثم ردّهم كورش، ثم عادوا في المعاصي، فسلط عليهم ابطنا نحوس، ثم عادوا في المعاصي، فسلط عليهم ثالثاً اسبيانوس.

٥ ـ عن ابن زيد: الاولى قتل زكريا ويحيى، فسلط عليهم سابور ذا الاكتاف، الفارسي، من قبل زكريا، وبخت نصر من قبل يحيى.

٦ ـ عن مجاهد: ان ملك فارس بعث جنداً إليهم ليتجسسوا

أخبارهم ويسمعوا حديثهم. ثم رجعت فارس، ولم يكثر قتال، ونصرت عليهم بنو اسرائيل، ثم بعث عليهم ملك فارس ببابل جيشاً، أمر عليه بخت نصر؛ فدمروهم.[1]

رأي العلامة الطباطبائي:

قال العلامة البحاثة المحقق الطباطبائي أيده الله تعالى:
«... والذي يظهر من تاريخ اليهود: أن المبعوث أولا لتخريب بيت المقدس هو بخت نصر، وبقي خراباً سبعين سنة. والمبعوث ثانياً هو قيصر الروم اسبيانوس، سيّر إليهم وزيره طوطوز، فخرب البيت، وأذل القوم قبل الميلاد بقرن تقريباً.

وليس من البعيد: أن يكون الحادثتان هما المرادتان في الآيات؛ فان الحوادث الأخرى لم تفن جمعهم، ولم تذهب بملكهم واستقلالهم بالمرة، لكن نازلة بخت نصر ذهبت بجمعهم، وسؤددهم إلى زمن كورش، ثم اجتمع شملهم بعد برهة، ثم غلب عليهم الروم، وأذهبت بقوتهم، وشوكتهم، فلم يزالوا على ذلك إلى زمن ظهور الاسلام».

قال هذا سلمه الله بعد أن ذكر: أنه كالمسلّم: أن إحدى هاتين النكايتين كانت على يد بخت نصر[2].

ولكنه عاد فأورد على نفسه بأن في الآيات إشعاراً بأن المبعوث إلى بني إسرائيل هم قوم بأعيانهم في كلا المرتين.

---

(١) راجع هذه الروايات في الدر المنثور للسيوطي ج٤ ص ١٦٣ - ١٦٥ عن ابن جرير، وابن عساكر، وابن أبي حاتم، متفرقاً. وراجع: تفسير الطبري، وتفسير ابن كثير، وفتح القدير، وغير ذلك من التفاسير، في تفسير الآيات في سورة الإسراء.
(٢) تفسير الميزان ج١٣ ص ٤٤/٤٥.

وأجاب عن ذلك بأنه مجرد إشعار؛ من دون تصريح.

ونقول: إن الضمائر حسبما تقدم ليس لها مرجع في الكلام سوى قوله: «عباداً لنا». وهذا يدل دلالة واضحة على وحدة القوم المرسلين على بني اسرائيل وليس مجرد إشعار.

ومرادنا بالوحدة هو أن يكون لهم رابطة تجمعهم ككونهم فُرساً، أو مسلمين مثلاً. ويرد على كلامه سلمه الله، وعلى جميع الروايات المتقدمة، عن الدر المنثور وغيره ما يلي:

١ - إننا لم نجد لبني اسرائيل كرة على بخت نصر، ولا على سابور ولا غيرهما. بل إن كورش قد أرجعهم إلى بلادهم بعد حوالي مئة سنة من اسر بخت نصر لهم. مع أن الآية تكاد تكون صريحة بأن لبني اسرائيل كرّة علىٰ أولئك العباد المبعوثين.

٢ - إن النبط لم يدخلوا المسجد مرتين وكذلك بخت نصر، وقيصر، وغيرهم ممن ذكر جميعاً. وقد أشارت الآية الى أن المبعوثين سوف يدخلون المسجد مرتين.

٣ - إن جميع أولئك ما كانوا من المؤمنين، بل كانوا من الطغاة والمتجبرين.

٤ - إن بخت نصّر كان قبل الميلاد بست مئة سنة تقريباً[1] وكان يحيىٰ معاصراً للمسيح «عليه السلام»[2] فكيف ينتقم له بخت نصّر؟ كما أن سابور متأخر عن بخت نصر، لا مقدم عليه كما في الرواية.

---

(١) تفسير الميزان ج١٣ ص ٤٤ وفي تاريخ الخميس ج١ ص ١٧٣: من وقت تخريب بخت نصر بيت المقدس إلىٰ مولد يحيىٰ أربع مئة وإحدىٰ وستون سنة.

(٢) راجع: قصص الأنبياء للنجّار ص ٣٦٩.

٥ - هذا كله عدا عن الاشكال في أسانيد تلكم الروايات[١].

٦ - إن افسادهم في منطقة محدودة، لا يعني كون ذلك هو المقصود من الآية التي تتحدث عن افساد كبير، وعلوّ لهم في الارض. ولا شك انهم كانوا على مدى التاريخ أضعف من ان يكون لهم علو في الارض كلها، بل وحتى على سابور، أو بخت نصّر او غيرهما.

رأي آخر في الآيات:

ويحتمل البعض: أن الفساد الأول كان في منطقة الحجاز، فبعث الله النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» عليهم، وضربهم الضربة القاصمة، وكان دخول عمر إلى المسجد الأقصى، الذي يمثل دخول المسلمين، هو المعني في الآيات. وتبقى المرة الثانية ستأتي. كما ويحتمل أن تكون هي ضربة بخت نصر لهم هي الأولىٰ، والثانية هي ضربة عمر لهم.

ولكن ذلك لا يمكن قبوله؛ لأن عمر حينما دخل المسجد الأقصى لم يكن في بيت المقدس أحد من اليهود، وإنما كان تحت سيطرة النصارى، الذين استولوا عليه قبل ذلك بعقود من الزمن. وكانوا يجعلون الاقذار والاوساخ على (الصخرة)، التي هي قبلة اليهود، بل كانت المرأة ترسل بخرقة حيضها من بلاد الروم إلى بيت المقدس لتلقى على الصخرة، مبالغة في امتهانها، وإذلالا لليهود واحتقاراً لهم[٢].

كما أنه لا معنى لارادة بخت نصّر؛ ليكون هو بطل المرة الأولى، وذلك لما أشرنا إليه في النقاط الست الآنفة الذكر.

---

(١) هذه النقاط أشار إليها الأخ العلامة الشيخ ابراهيم الأنصاري حفظه الله تعالى في مقاله، في مجلة الهادي.

(٢) تقدم ذلك في تمهيد الكتاب.

رأي آخر:

وثمة رأي آخر يقول: إن الفساد الأول هو انكارهم نبوة نبينا «صلى الله عليه وآله وسلم»، مع أنهم يعرفونه كما يعرفون ابناءهم، واتفقوا مع المشركين ضده.

وإرسال عباد الله على هؤلاء المفسدين هو ما جرى في صدر الاسلام. فأرسل الله النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» والمسلمين عليهم؛ فضربوهم في خيبر وقريظة؛ وقينقاع، وغير ذلك، وجاسوا خلال ديارهم، ثم دخل المسلمون المسجد الاقصى في زمن عمر.

والفساد الثاني هو ما جرى ويجري منهم في فلسطين ولبنان، والمنطقة بشكل عام، في هذا القرن الرابع عشر، ولسوف يأتي المهدي «عجل الله فرجه» لينتقم منهم. ويدخل المسلمون المسجد، كما دخلوه أول مرة في عهد عمر.

وقد قرّر بعض الاعلام هذا، وطبق الآيات عليه، على النحو التالي:

إنه ليس في الآيات ما يدل على أن الغلبة على اليهود، وغلبة اليهود على أولئك العباد تكون في مكان واحد محدد. وقوله تعالى: **﴿كما دخلوه أول مرة﴾** يشعر، بل يدل على أن قوله: **﴿جاسوا خلال الديار﴾**، هو غير دخولهم المسجد، اي انهما أمران متغايران، كما يدل على أن الجوس خلال الديار متقدم على دخولهم المسجد، وذلك لمكان اللام في قوله: **﴿ليدخلوا﴾ التي هي لام العاقبة وقد تحقق ذلك في زمن عمر. كما أن عدم ذكر دخول العباد بيت المقدس حينما بعثهم أولاً يدل على أن دخول المسجد لمّا يتحقق لهم عند ذلك.**

وتدل الآية على أن دخول المسجد في الثانية يكون أشد على اليهود لقوله وليتبروا ما علوا تتبيراً، ففسادهم الثاني يكون في غلبتهم على البلاد

المقدسة، وقتلهم المسلمين، وهذا ما يحصل في هذا العصر. وجزاؤهم سيكون عاجلاً على يد أهل قم إن شاء الله تعالى، أو المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه، أو بامارته مع كون الجيش من أهل قم، والله العالم.

ونقول:

هذا رأي لا يمكن المساعدة عليه، لأن ما ذكر في تطبيق الآيات عليه مخالف لظاهرها.

فأولاً: إن الظاهر: هو أن دخول المسجد سيكون عنوة وقهراً ورغماً عن بني اسرائيل. وحينما دخل المسلمون المسجد في عهد عمر لم يكن في بيت المقدس أحد من اليهود، وإنما كان النصارى هم المسيطرون.

فلم يحارب المسلمون اليهود ليدخلوا المسجد بالرغم عنهم، من جهة، ومن جهة أخرى فان عمر قد دخل بيت المقدس صلحاً وليس عنوة، وظاهر الآية: هو أن الدخول سيكون عنوة، معه سوء الوجوه، وفيه القهر والغلبة على اليهود انفسهم، **﴿ليسوؤا وجوهكم، وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة، وليتبروا ما علوا تتبيرا﴾**.

وثانياً: ما ذكر من أن اللام في «ليدخلوا» تدل على أن الدخول سيتأخر عن الجوس خلال الديار، وأن التفريق بين الجوس خلال الديار، ودخول المسجد، يدل على ذلك أيضاً. وكذا عدم ذكر الدخول للمسجد في المرة الأولى.

إن هذا الذي ذكر، لا يدل على ذلك؛ لأن ظاهر الآيات: أنه قد اكتفي في المرة الأولى عن ذكر دخول المسجد، بذكر الجوس خلال الديار، لأنه مستبطن له ويكون في ضمنه، ثم اوضحه بقوله: كما دخلوه أول مرة وقوله: ليدخلوا معطوف على ليسوؤا بالواو، التي لا تدل على الترتيب الزماني.

بل لعل ذكر دخول المسجد بين التتبير لما علوا، وبين سوء الوجوه للإشارة الى أن دخول المسجد سيكون في وسط المعركة، في المرة الثانية، وكذلك سيكون في المرة الأولى لقوله تعالى؛ **﴿كما دخلوه أول مرة﴾**.

وإلا، فلو صح ما ذكره صاحب هذا الرأي، لوجب أن يكون الدخول الثاني للمسجد صلحاً، لا عنوة، كما كان دخول عمر بن الخطاب في السابق. وحينئذٍ فلا يبقى معنى لذكر دخول المسجد فيما بين قوله: **﴿ليسوؤا وجوهكم﴾**، وبين قوله: **﴿ليتبروا ما علوا تتبيراً﴾**.

وثالثاً: إنه لم يكن لليهود في زمن النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» فساد في الارض، وعلو كبير فيها، وإنما كانوا في محيط ضيق جداً محصورين في نواحي المدينة، وكانوا مقهورين من قبل الأوس والخزرج، ويمالئون مشركي مكة، وسائر القبائل في المنطقة، فلا يصح أن يقال: إن لهم **﴿علواً كبيراً﴾**. فضلاً عن إضافة قوله: **﴿في الارض﴾** سواء قلنا: إن المراد: الأرض المقدسة، يعني فلسطين، أو قلنا: بان المراد الارض مطلقاً اي معظمها، أو السيطرة على مراكز القوة والنفوذ فيها.

وثمة رأي آخر أيضاً:

وهو أن الحروب التي جرت بين العرب واسرائيل تمثل المراحل الثلاث الأولى، وبقيت المرحلة الأخيرة، التي أشارت إليها الآية بالقول: **﴿فاذا جاء وعد الآخرة، ليسوؤا وجوهكم إلخ. . .﴾** وهي سوف تأتي إن شاء الله تعالى[١].

وهذا أيضاً رأي لا يمكن المساعدة عليه؛ لأن العرب الذين حاربوا إسرائيل لم يجوسوا خلال ديار بني اسرائيل في حروبهم تلك، ولا دخلوا

---

(١) هذا رأي الشيخ ابراهيم الأنصاري في مجلة الهادي.

المسجد عنوة، بل إنهم ليسوا من عباد الله المؤمنين؛ لأنهم قد تخلوا عن دينهم، وجروا خلف شهواتهم، واستبدت بهم انحرافاتهم بشكل واضح لكل أحد.

والروايات ماذا تقول:

لقد وردت بعض الروايات ـ التي ليس لها أسانيد ـ معتبرة ـ تفيد: أن الفساد الأول هو قتل علي، وطعن الحسن «عليه السلام»، والعلو الكبير هو قتل الحسين، ووعد أولاهما نصر دم الحسين، والمبعوثون أولاً هم قوم قبل خروج القائم، وكان وعداً مفعولا: خروج القائم. وثم رددنا لكم الكرة عليهم: خروج الحسين في سبعين من أصحابه[1].

وفي تفسير القمي: الفساد الأول: فلان وفلان، ونقضهم العهد، والعلو الكبير: ما ادّعوه من الخلافة. ووعد أولاهما: الجمل. وجاسوا خلال الديار: طلبوكم، وقتلوكم، ورددنا لكم الكرة: بنو أمية. ووعد الآخرة: القائم «عليه السلام»، وكما دخلوه أول مرة: رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم».

وواضح: أن مفاد هذه الروايات ليس هو محط نظر الآيات صراحة، وإنما هي ـ إن صحت ـ من باب الاشارة إلى أن ما يجري لبني إسرائيل، يجري مثله لهذه الأمة أيضاً؛ إذ من الواضح: أن ما ذكرناه في مفاد الآيات لا ينسجم مع ما جاء في هذه الروايات، كما يظهر بالملاحظة، والمقارنة.

الرأي الأمثل:

وإذ قد عرفنا معنى الآيات إجمالاً، وعرفنا: أن مفادها لم يحصل ولم يقع لبني إسرائيل بعد، لا في تاريخهم القديم، ولا الحديث، فاننا

---

(١) راجع: البحار ج٥١ ص ٥٦ وتفسير البرهان، وتفسير نور الثقلين.

نعلم: أن مفادها سيقع في المستقبل، ومفادها هو:

١ - أن يفسد بنو اسرائيل في الارض (ولتلاحظ كلمة في الارض)، فانه لا يصدق ذلك على بلد أو قرية صغيرة في نواحي الحجاز مثلاً، بل لا بد أن يكون فسادهم وعلوهم في الارض المقدسة، أو في الأرض بصورة عامة. أو على الاقل في مراكز هامة، بحيث يرون انفسهم لا غالب لهم، ولا شيء يقف في وجههم. ثم يعلون علوا كبيراً (ولتلاحظ هذه الجملة بدقة ايضاً).

٢ - أن يبعث الله عليهم عباداً له أتقياء مؤمنين، فيجوسون خلال ديارهم، ويدخلون المسجد. (والتعبير بالجوس لربما يشير إلى عدم المكث طويلاً فيها)؛ لأن الجوس هو الوطء الخفيف، وهو وطأ خلال الديار او فيما بينها من دون ثبات وتحكم فيها نفسها أو لعله إشارة إلى الدخول السري للمجاهدين.

٣ - ثم يمد الله بني اسرائيل بأموال وبنين، ويصير جيشهم أعظم، ويردّ لهم الكرة على السابقين.

٤ - ثم يعود أولئك المؤمنون لإحتلال بلاد الاسرائليين، ويدخلون المسجد من جديد، ويسوؤون وجوههم إلخ.

كل ذلك سوف يحصل في المستقبل، حسبما تفيده الآيات الكريمة، مع العلم بأنه لم يحصل من ذلك شيء في الماضي.

ويبقى ان نشير الى المؤيدات التالية:

القميّون يقاتلون الاسرائيليين:

ويؤيد ما تقدم: ما رواه المجلسي عن كتاب تاريخ قم، تأليف: الحسن بن محمد بن الحسن القمي:

«روى بعض أصحابنا قال: كنت عند أبي عبدالله «عليه السلام» جالساً؛ إذ قرأ هذه الآية: حتى[1] إذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا، أولى بأس شديد؛ فجاسوا خلال الديار، وكان وعداً مفعولاً .

فقلنا: جعلنا فداك، من هؤلاء؟

فقال ـ ثلاث مرات ـ هم والله أهل قم» .[2]

ولقد قال هذا «عليه السلام» قبل ان تخلق اسرائيل باكثر من اثني عشر قرناً، وفي حين لم يكن لليهود أية قوة في منطقة بيت المقدس.

وقوله «عليه السلام» هذا يعني: أن أهل قم باعتبارهم مسلمين، او قادة للمسلمين هم الذين سوف يقودون الحرب ضد بني اسرائيل في المرة الأولىٰ. وهم المعنيون بقوله: ﴿عباداً لنا﴾ وباقي الحديث يفهم من الأيات الكريمة؛ حيث تعود لإسرائيل الكرة عليهم بجيش أعظم. ثم يعود المسلمون بقيادة أهل قم أو بقيادة غيرهم (المهدي مثلاً) ليسوؤا وجوه الإسرائيليين وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة.

الغرب واسرائيل:

وثمة رواية ضعيفة أيضاً تقول: «وتشب نار بالحطب الجزل من غربي الارض، رافعة ذيلها، تدعو يا ويلها لرحلة ومثلها؛ فإذا استدار الفلك، قلتم مات أو هلك بأي واد سلك، فيومئذٍ تأويل هذه الآية: «ثم رددنا لكم الكرة عليهم، وامددناكم بأموال وبنين، وجعلناكم اكثر نفيرا» .[3]

---

(١) الموجود في القرآن: (فإذا) فلعل كلمة (حتى) من كلام الراوي.

(٢) البحار ج٦٠ ص ٢١٦.

(٣) البحار ج٥٢ ص ٢٧٢/٢٧٣. وراجع ج٥١ ص ٥٧.

فهذهِ الرواية تشير الىٰ أن المرة الثالثة وهي علّو الإسرائيليين وكرتهم علىٰ «عباداً لنا» لسوف تكون بمعونة غربية، تمدهم بالمال والجيوش حتىٰ يصبحوا اكثر نفيراً وجندا. ولسوف تكون حرباً ضروساً وقاسية، كما يفهم من لحن الرواية المشار اليها، لوصحت.

الحروب الطويلة والصعبة:

وهذه دولة الاسلام قد ظهرت، وهي بقيادة أهل قم، ولكنها تواجه الحروب المدمرة، والمؤامرات الصعبة من قبل قوى الاستكبار العالمي.

وقد جاء في الرواية المروية عن: علي بن عيسى، عن أيوب بن يحيى الجندل، عن أبي الحسن الأول «عليه السلام»، أنه قال:

«رجل من أهل قم، يدعو الناس إلى الحق، يجتمع معه قوم كزبر الحديد، لا تزلهم الرياح العواصف، ولا يملون من الحرب، ولا يجبنون، وعلى الله يتوكلون، والعاقبة للمتقين». (١)

ولربما يمكن أن نستفيد من قوله: «لا تزلّهم الرياح العواصف»: أن دولة الاسلام هذهِ سوف تواجه مشكلات صعبة، لا يثبت أمامها الرجال العاديون.

ومن قوله: «لا يملون من الحرب»: أنهم سوف يواجهون حروباً طويلة، يمل منها الانسان العادي. ولكنهم سوف يصمدون، وفي النهاية سوف ينتصرون إن شاء الله، وذلك لقوله: «والعاقبة للمتقين».

---

(١) البحار ج٦٠ ص ٢١٦. ويلاحظ وجود بعض الاختلاف بين هٰذا النص وبين ما في الترجمة الفارسية لكتاب تاريخ قم. فلعل المترجم قد تصرف في العبارة. ولعل نسخة المجلسي تختلف عن النسخة المتداولة لكتاب تاريخ قم، فليلاحظ ذلك.

الفلسطينيون و الأرض:

وبعد كل ما تقدم، فـاننا لا بـد أن نشير هنـا إلى أن الفلسطينيين قـد هبـوا للدفاع عن شـرفهم وكرامتهم، وتحـرير أرضهم، والـدفاع عن دينهم واسلامهم.

وإننا في نفس الوقت الـذي نحيي فيه الشعب الفلسـطيني المسلم، ونحيي المقاتلين الشرفاء والغيارى من هذا الشعب الأبي.

فاننا نجد بعض المنظمـات، التي لا تمثل الشعب الفلسـطيني، ولا اكثرية المناضلين من أجل حقهم ووطنهم، قـد اعرضت عن هـذا الاسلام العظيم، ولـم تتخذه عقيدة ومنطلقاً لها، بل هي لا تعرف منه الا اسمه، بل هي تحاول الابتعاد عنه، والتبري منه، وتعتبره رجعياً ومتأخراً. وذلك لأنها تسعى وراء الحصـول على مكـاسب دنيـويـة، مـاديـة. بـل لقـد اتخـذت الماركسية وغيرها مذهباً وعقيدة لها؛ فبئس للظالمين بدلاً.

والأنكىٰ من ذلـك والأشد مـرارةً: أننا نشهـد من هـذهِ المنـظمـات محـاولات جادة لاجهـاض الثورة الاسـلامية الفلسـطينيـة، وتضييـع ثمـرة جهودها وجهادها. فقاتل الله الخونة الافاكين أنىٰ يؤفكون.

ولكن شـذوذ هؤلاء وانحـرافهم لا يعني أنـه يجب تشـويـه صـورة الفلسطينيين جميعاً في أذهان الشعوب المسلمة المؤمنة؛ فـان ذلك سـوف يكون ظلماً آخر لهذا الشعب، كما أنه سـوف يحرم القضيـة من قوة دافعـة لها أهميتها. وذلك لأن أية قضية إذا أفرغت من محتواها الانسـاني؛ فانهـا تفقد زخمها وقوتها، ودافعها العاطفي وذلك لأن هذا الانسان العادي ربمـا يخـطر له: انـه لمـاذا يقـاتـل ويضحي، مـا دام أن الارض يمكن أن تبـاع وتشترى، ويقايض عليها، والانسان وحده هو الاعلى والأغلى؛ فلماذا إذن تـزهق النفـوس والارواح في سبيـل قـطعـة من الأرض، مـا دام يمكن

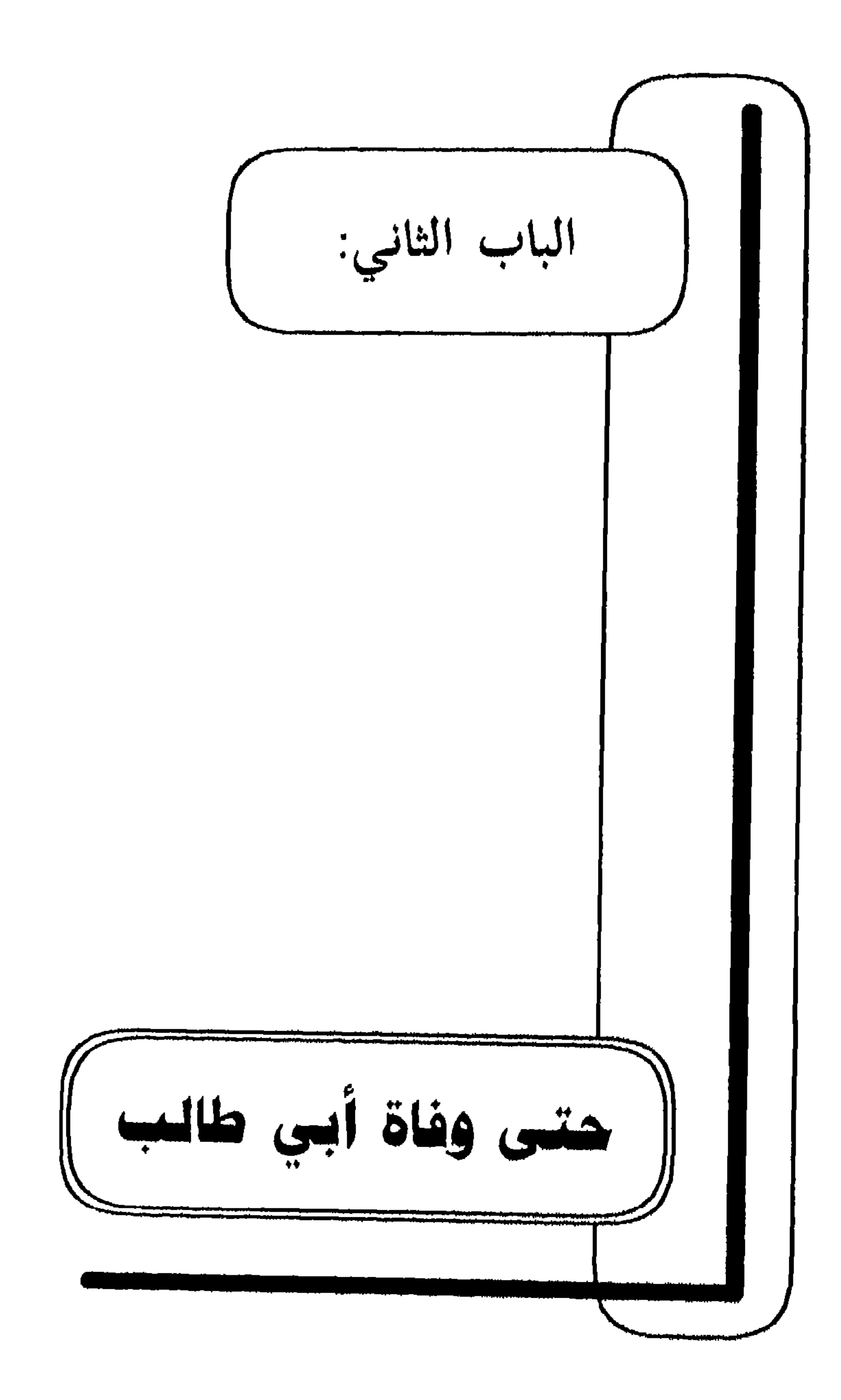
الاستعاضة عنها بثمنها، ثم الاحتفاظ بهذا الانسان ومواهبه وطاقاته لما هو أهم، ونفعه أعم.

وحتى المسجد أيضاً، فليكن لأنصاف الحلول فيه مجال، ولن يمانع الاسرائيليون في وصول المسلمين إلى مسجدهم في كل حين، وممارسة عباداتهم فيه بحرية، إذا كانوا هم الحكام، أو كان تحت مظلة الامم المتحدة.

نعم، يمكن أن يخطر كل هذا في ذهن الانسان العادي. ولربما يؤثر هذا الخاطر على تعامله مع أقدس قضية، فيما إذا فصل الجانب الإنساني والعاطفي والاسلامي عن الأرض، فيضعف الدافع لتحريرها. وهناك الكارثة الحقيقية والخيانة والجريمة الكبرىٰ.

إذن، فلا بد وأن تبقى المآسي والمظالم التي تعرّض ويتعرض لها الشعب الفلسطيني ماثلة للعيان أمام المقاتل المسلم والمؤمن بعدالة قضيته، ليندفع إلى التضحية والفداء في سبيل قضيته المقدسة، بروح رضية، ونفس أبية، وليمتزج من ثم. الوعي بالعاطفة، وكلاهما بالايمان.

مع التأكيد علىٰ أنه ليس للمسؤولين والسياسيين أن يربطوا مصيرهم ومصير أمتهم بأولئك المنحرفين، ولا أن يثقوا بهم، لأن أولئك المنحرفين سوف يدفعونهم في النهاية ثمناً لمصالحهم، ويساومون عليهم وبهم.



الباب الثاني:

حتى وفاة أبي طالب

الفصل الأول:

حتى الهجرة الى الحبشة

أهداف الإسلام:

إن من الواضح : أن أهـداف الإسلام القصـوى ليست هي مجرد تحقيق العـدل، ولو بمفهـومه الأوسـع، إذ لو كـان كذلـك لم يبق معنى لـلأوامـر الـداعية إلى الجهـاد والتضحية بـالنفوس في سبيـل الله والمستضعفين، إذ لمـاذا يتخلى هذا الشخص عن نفسـه وعن حياتـه في حين يبقى الآخرون يتمتعون بالحياة، وبمباهجها ولذائذها؟! .

كما أنه لو كان العدل هو الهـدف فلا يبقى معنى لمحبـوبية الإيثـار على النفس ومطلوبيته له تعالى . ثم مدح من يفعل ذلك من الناس كمـا في قوله تعالى :

﴿**ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة**﴾[1] .

كما أنه لا معنى لنهي الإنسان عن الحقد والحسـد، وغير ذلـك مما لا يمكن تتبعه واسقصاؤه.

فـإن ذلك كله وسـواه ليدل على أن الهـدف ليس هـو مجـرد تحقيق العدل، وإنما هو فوق، وأهم، وأقدس من ذلك.

إنه تجسيد إنسانية الإنسان، وإظهار كنوزها، والإرتفاع بهذا الإنسان إلى مستوى الجدارة الحقيقيـة لأن يمثل النـوذج الذي يـريده الله لـلإنسان

---

(١) سورة الحشر : ٩ .

الكامل، وليس العدل وسواه من كمالات وفضائل، إلا واحداً من تلك المراحل والوسائل الموصلة إلى ذلك الهدف المقدس والأسمى، الذي يستبطن في داخله: كل العدل، وكل الكمالات وكل الفضائل، وأخيراً كل السعادة، والفوز والنجاح.

هذا هو هدف الإسلام، وهذا ما يسعى إليه، ويعمل من أجل الوصول والحصول عليه.

وليس أدل على ذلك من الآية الكريمة التي تحدد مهمة النبي الرسول، بأنه يعلم الناس الحكمة، ويطهرهم، ويزكيهم، بالإضافة إلى تبليغ رسالة الله لهم، قال تعالى: **﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم، يتلو عليهم آياته، ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾**[1].

وليلاحظ: أيضاً قوله تعالى: **﴿ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج، ولكن يريد ليطهركم. وليتم نعمته عليكم، لعلكم تشكرون﴾**[2].

ومن يراجع الآيات القرآنية يجد الكثير الكثير مما يدل على ذلك دلالة واضحة، حتى إن ذلك لا يحتاج إلى أي بيان أو توضيح، ولا إلى المزيد من الدلالات والشواهد.

الحاجة إلى الوزير والوصي:

وبعد أن عرفنا حقيقة هدف الإسلام، فإننا نعرف: أن مهمته شاقة وعسيرة جداً لأنها تصطدم أولاً وبالذات بالإنسان الفرد، حيث لا بدّ له من السيطرة على غرائزه وشهواته وطموحاته، ليوجهها ويستفيد منها في مجال بناء الشخصية الإنسانية المثالية والفضلى.

كما أنها تهدف إلى التغيير الجذري في البنية الإجتماعية والسياسية

---

(١) سورة الجمعة/٢.
(٢) سورة المائدة/٦.

وغيرها للمجتمع، ليقتلع كل جذور الشر، ويستأصل كل عوامل الإنحراف؛ ليغرس عوضاً عنها كل معاني الخير والصلاح، والبركة والفلاح.

نعم، إنها مهمة شاقة وعسيرة جداً، ولا أشق ولا أعسر منها، وهي تحتاج لإنجازها ثم إلى استمرارها إلى جهد هائل ومستمر، ما دام أن الإنسان يحمل في داخله عوامل التغيير والتحول، التي منحه الله إياها لتكون عوامل لبقائه وسعادته ولراحته، وأعطاه أيضاً وسائل ضبطها والهيمنة عليها وتوجيهها.

ولكن تلك الوسائل كثيراً ما تضعف عن السيطرة على تلك العوامل. ولسوف يبقى هذا الخطر قائماً، ما دام ذلك الصراع قائماً. وإذا كان الصراع مستمراً باستمرار وجود الإنسان على مدى الزمان، وكان خطر الشذوذ والإنحراف مستمراً أيضاً: فإن الأنبياء سيكونون بحاجة إلى مواصلة القيام بمهمة التربية والتزكية، وغرس الفضائل الإنسانية والأخلاقية في نفوس الناس، بالإضافة إلى الإستمرار في تلاوة الآيات القاهرة للعقل؛ والمرضية للوجدان، وبالإضافة إلى تعليم الشريعة والاحكام، ثم الإشراف على تطبيقها، والرقابة المستمرة على ذلك.

ومن هنا تبرز الحاجة إلى الوزير والوصي، والنصير والأخ والولي، والخليفة للنبي «صلى الله عليه وآله وسلم»، فجاء تنصيب علي «عليه السلام» من قبل الرسول الأكرم صلوات الله عليه وآله هو الحركة السليمة والطبيعية في خط الجهاد والدعوة إلى الله سبحانه.

وما يوم الدار، وما جرى من تنصيب علي «عليه السلام» فيه خليفة ووزيراً ووصياً للرسول إلا واحداً من تلك المناسبات الكثيرة التى جرى فيها التأكيد على هذا الأمر، وترسيخه بصورة قوية وحاسمة. فإلى حديث الدار في ما يلي من مطالب.

وأنذر عشيرتك الأقربين:

إنه بعد السنوات الثلاث الأولى بدأت مرحلة جديدة وخطيرة وصعبة، هي مرحلة الدعوة العلنية إلى الله تعالى.

وقد بدأت أولاً على نطاق ضيق نسبياً، حيث نزل عليه صلى الله عليه وآله قوله تعالى: ﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين**﴾[1] فيقول المؤرخون، (والنص للطبري)، ما ملخصه:

أنه لما نزلت هذه الآية دعا علياً «عليه السلام»؛ فأمره أن يصنع طعاماً، ويدعو له بني عبد المطلب ليكلّمهم، ويبلغهم ما أُمر به.

فصنع علي عليه السلام صاعاً من طعام، وجعل عليه رجل شاة، وملأ عسّاً من لبن، ثم دعاهم، وهم يومئذٍ أربعون رجلاً، يزيدون رجلاً، أو ينقصونه، فيهم أعمامه: أبو طالب، وحمزة والعباس، وأبو لهب. فأكلوا

قال علي «عليه السلام»: فأكل القوم، حتى مالهم بشيء من حاجة، وما أرى إلا موضع أيديهم، وأيم الله الذي نفس علي بيده، وإن كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدّمت لجميعهم.

ثم قال: إسق القوم؛ فجئتهم بذلك العس؛ فشربوا منه حتى رووا منه جميعاً، وأيم الله، إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله، فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وآله أن يكلمهم بدره أبو لهب فقال: لقِدْماً سحركم صاحبكم، فتفرق القوم، ولم يكلمهم الرسول صلى الله عليه وآله.

فأمر «صلى الله عليه وآله وسلم» علياً في اليوم الثاني: أن يفعل كما فعل آنفاً، وبعد أن أكلوا وشربوا قال لهم رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم»: يابني عبد المطلب، إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه

---

(١) الشعراء/٢١٤.

بأفضل مما قد جئتكم به، إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة. وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه؛ فأيكم يوازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي، ووصيي، وخليفتي فيكم.

قال: فأحجم القوم عنها جميعاً، وقال علي: أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه، فأخذ برقبتي، ثم قال:

إن هذا أخي، ووصيي، وخليفتي فيكم؛ فاسمعوا له وأطيعوا.

قال: فقام القوم يضحكون، ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لإبنك وتطيع.

وفي بعض نصوص الرواية: أنه لما قام علي «عليه السلام» فأجاب، أجلسه النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» .

ثم أعاد الكلام، فأجابه علي، فأجلسه، ثم أعاد عليهم، فلم يجيبوا، وأجاب علي «عليه السلام»، فقال له «صلى الله عليه وآله وسلم» ذلك.

وعلى حسب نص الإسكافي: أنه «صلى الله عليه وآله وسلم» قال: هـذا أخي، ووصيي، وخليفتي من بعدي. وأنهم قالوا لأبي طالب: أطع إبنك، فقد أمره عليك(١).

---

(١) راجع هذه القضية في: تاريخ الطبري ج ٢ ص٦٣، ومختصر تاريخ أبي الفداء ج ٢ ص١٤ط دار الفكر بيروت وشواهد التنزيل ج ١ ص ٣٧٢ و ٤٢١ وكنز العمال الطبعة الثانية ج ١٥ ص ١٦/١١٧ و١١٣ و١٣٠ عن ابن اسحاق، وابن جرير، وصححه وأحمد، وابن ابي حاتم، وابن مردويه، وأبي نعيم، والبيهقي معاً في الدلائل، وتاريخ ابن عساكر، ترجمة الامام علي بتحقيق المحمودي ج ١ ص٨٧ و٨٨، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٤٤ عن الاسكافي، وحياة محمد لهيكل الطبعة الأولى ص ٢٨٦ . ومسند أحمد ج ١ ص ١٥٩ وراجع أيضاً المصادر التالية: كفاية الطالب ص ٢٠٥ عن الثعلبي ومنهاج السنة ج ٤ ص٨٠ عن البغوي وابن أبي حاتم والواحدي والثعلبي وابن جرير، ومسند أحمد ج ١ ص ١١١، وفرائد =

التعصب الأعمى:

ولا بـد أن نشير هنـا: إلى أن الطبـري، قد ذكـر هـذا الحـديث في تاريخه على النحو المتقدم. ولكنه ندم على ذلـك ـ على ما يـظهر ـ فـذكر نفس هذا الحديث في تفسيـره برمّتـه حرفيـاً، متناً وسنـداً، ولكنه غيّـر فيه عبارة واحدة، فذكرها على النحو التالي:

«فأيكم يوازرني على هذا الأمر، على أن يكون أخي، وكذا وكـذا. إلى أن قال: ثم قال: إن هذا أخي وكذا وكذا[١]»!!

وقد تبعه على هذا إبن كثير الشامي أيضاً؛ فلم تسمح نفسه بذكر مـا في تاريخ الطبري. بل نقل خصوص ما في التفسير، مع أن تاريخ الطبري هو مصدره ومعتمده في تاريخه[٢]!!

كما أن محمد حسنين هيكل بعد أن ذكر في كتابه حياة محمـد، في الطبعة الأولى ص ١٠٤ نص الطبري في التاريخ. عـاد فحذف من الطبعة

= السمطين، بتحقيق المحمودي ج ١ ص ٨٦، واثبات الوصية للمسعودي ص ١١٥/١١٦، والسيرة النبوية لابن كثير ج ١ ص٤٦٠/٤٥٩. والغدير ج ٢ ص ٢٧٨ ـ ٢٨٤ عن بعض من ذكرنا وعن: انباء نجباء الابناء ص ٤٦ ـ ٤٧، وشرح الشفاء للخفاجي ج ٣ ص ٣٧، وتفسير الخازن ج ص ٣٩٠، وكتاب سليم بن قيس وغيرهم. وخصائص النسائي ص ٨٦ الحديث ٦٣.

وراجع: البحار ج ٣٨ والدر المنثور ج ٥ ص ٩٧ عن مصادر كنز العمال لكنه حرف فيه ومجمع الزوائد ج٨ ص٣٠٢ عن عدد من الحفاظ باسقاط منـه أيضاً، وينـابيع المودة ص ١٠٥ وغاية المرام ص ٣٢٠ وابن بطريق في العمدة، وتفسير الثعالبي، وتفسير الطبري ج ١٩ ص ٧٥، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٤٠، وتفسير ابن كثير ج ٣ ص ٣٥٠ و٣٥١.

(١) راجع تفسير الطبري ج ١٩ ص ٧٥.

(٢) راجع: تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٣٥١، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٤٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج ١ ص٤٥٩.

الثانية ص ١٣٩ ط سنة ١٣٥٤ هـ . قوله: «وخليفتي فيكم» واقتصر على قوله: «ويكون أخي ووصيي» وذلك لقاء خمسمأة جنيه، أو لقاء شراء ألف نسخة من كتابه[١].

إبن تيمية، وحديث الدار:

أما إبن تيمية، فقد انكر ـ على عادته ـ في إنكار فضائل سيد الأوصياء أمير المؤمنين «عليه السلام» ـ حديث الدار، وأورد عليه بما ملخصه:

أولاً: إن في سند رواية الطبري أبو مريم الكوفي، وهو مجمع على تركه، وقال أحمد: ليس بثقه، واتهمه إبن المديني بوضع الحديث الخ.

وثانياً: تنص الرواية على أنه قد جمع بني عبد المطلب وهم أربعون رجلاً.

ومن الواضح: أنه حين نزول الآية لم يكن بنو عبد المطلب بهذه الكثرة.

وثالثاً: قول الرواية إن الرجل منهم ليأكل الجذعة، ويشرب الفرق من اللبن، كذب، إذ ليس في بني هاشم من يعرف بأنه يأكل جذعاً، ويشرب فرقاً.

ورابعاً: إن مجرد الإجابة للمعاونة على هذا الأمر لا يوجب أن يكون المجيب وصياً وخليفة بعده صلى الله عليه وآله؛ فإن جميع المؤمنين أجابوا إلى الإسلام، وأعانوه على هذا الأمر، وبذلوا أنفسهم وأموالهم في سبيله. كما أنه لو أجابه الأربعون؛ أو جماعة منهم فهل يمكن أن يكون الكل خليفة له.؟

وخامساً: إن حمزة، وجعفراً، وعبيدة بن الحرث قد أجابوا إلى ما

---

(١) راجع: فلسفة التوحيد والولاية ص ١٧٩ و ١٣٢ وسيرة المصطفى ص ١٣١ و ١٣٠.

أجاب إليه علي، بل حمزة أسلم قبل أن يصير المؤمنون أربعين رجلاً[١].

الرد على ابن تميمية:

ولكن كل ما ذكره إبن تيمية لا يصح، ولا يلتفت إليه، وذلك لما يلي:

ألف ـ فأما بالنسبة لما ذكره أولاً عن أبي مريم، فقد قال إبن عدي: سمعت إبن عقدة يثني على أبي مريم ويُطريه، وتجاوز الحد في مدحه[٢] وأثنى عليه شعبة[٣].

وقال عنه الذهبي: كان ذا اعتناء بالعلم وبالرجال[٤].

وعدا عن ذلك فقد صرحوا بسبب تضعيفهم له، وهو كونه شيعياً. ونحن نرى أن ذلك لا يضره؛ فقد روى أصحاب الصحاح، ولا سيما البخاري ومسلم عن عشرات الشيعة[٥].

ومع غض النظر عن ذلك؛ فإن المتّقى الهندي قد نقل عن الطبري: أنه قد صحح هذا الحديث[٦].

كما وصححه الإسكافي المعتزلي[٧] وصححه أيضاً: الخفاجي في شرح الشفاء[٨].

وقد رواه أحمد بسندٍ جميع رجاله رجال الصحاح بلا كلام، وهم:

---

(١) منهاج السنة ج ٤ ص ٨١ ـ ٨٣.

(٢) راجع: الغدير ج ٢ ص ٢٨٠، ولسان الميزان ج ٤ ص ٤٣.

(٣) لسان الميزان ج ٤ ص ٤٢.

(٤) و(٥) ميزان الاعتدال للذهبي ج ٢ ص ٦٣١ و ٦٤٠، ولسان الميزان ج ٤ ص ٤٢.

(٦) كنز العمال ج ١٥ ص ١١٣.

(٧) راجع: شرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٤٤.

(٨) راجع: الغدير ج ٢ ص ٢٨٠.

شريك، والأعمش، والمنهال، وعباد، وعلي «عليه السلام»[١].

ولو سلم كل ذلك؛ فإن طرق الحديث مستفيضة، يقوى بعضها بعضاً؛ فلا يضر ضعف بعض الرجال في بعض الأسانيد.

وأعجب من ذلك دعوى أن لا تكون قضية الخلافة بعده صلى الله عليه وآله مذكورة في المسانيد، فإن من راجع المصادر التي ذكرناها للحديث آنفاً؛ يعرف أنها موجودة في عشرات المصادر والمسانيد.

وأما الطعن في رواية إبن أبي حاتم باشتمال سندها على عبد الله بن عبد القدوس. وقد ضعفه الدار قطني، وقال النسائي: ليس بثقة. وقال إبن معين: ليس بشيء، رافضي خبيث.

أما هذا ـ فقد قال الشيخ المظفر: «رحمه الله» تعالى في جوابه:

«وفيه: أن تضعيفهم معارض بما في تقريب ابن حجر: أنه صدوق.

وفي تهذيب التهذيب: قال محمد بن عيسى: ثقة.

وذكره إبن حبّان في الثقات.

وقال البخاري: هو في الأصل صدوق، إلا أنه يروي عن أقوام ضعاف. مع أنه أيضاً من رجال سنن الترمذي.

ومدح هؤلاء مقدم؛ لعدم العبرة في قدح أحد المتخالفين في الدين في الآخر، ويقبل مدحه فيه. وهم قذفوه بذلك؛ لأنهم رموه بالتشيع، ولا نعرفه في رجالهم.

لكن قد ذكر ابن عدي: أن عامة ما يرويه في فضائل أهل البيت. ولعل هذا هو سر تهمتهم له[٢].

---

(١) راجع: المصدر السابق، ومسند أحمد ج ١ ص ١١١.

(٢) دلائل الصدق ج ٢ ص ٢٣٤.

٢ ـ وأما ذكره إبن تيمية ثانياً: فإن الظاهر هو أن كلمة (عبد) زيادة من الرواة، بدليل: أن عدداً من الروايات يصرح بأنه قد دعا بني هاشم[١] وجاء في روايات أخرى: انه دعا بني عبد المطلب، ونفراً من بني المطلب[٢] فلعل الأمر قد اشتبه على الراوي وأضاف كلمة «عبد»، وهذا كثير. وعليه فلا يلزم من ذلك كذب أصل الواقعة المتفق عليها إجمالاً.

كما أن أبناء عبد المطلب إذا كانوا عشرة، وكان أصغرهم يصل عمره حينئذٍ إلى ستين عاماً؛ فلماذا لا يكون لهم من الولد ما لو انضموا إليهم لبلغوا أربعين رجلاً، بل اكثر من ذلك بكثير، وما وجه الإستعباد لذلك؟

٣ ـ وأما ما ذكره ثالثاً: فقد أجاب عنه الشيخ المظفر: بأن عدم معروفيتهم بالأكل لا تدل على عدم كونهم كذلك، فلعلهم كذلك في الواقع.

ولو سلّم؛ فإنه يلزم منه مبالغة الراوي في إظهار معجزة النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» في إطعامهم رجل الشاة، وعسّ اللبن الواحد[٣].

٤ ـ وأما ما ذكره إبن تيمية رابعاً: فجوابه ما ذكره الشيخ المظفر من أن قوله هذا ليس علة تامة للخلافة، ولم يدّع ذلك النبي صلى الله عليه وآله، ليشمل حتى من لم يكن من عشيرته، بل أمره الله بإنذار عشيرته؛

---

(١) كما في السيرة النبوية لابن كثير ج ١ ص ٤٥٩ عن ابن أبي حاتم وكذا في البداية والنهاية ج ٣ ص ٤٠، راجع كنز العمال ج ١٥ ص ١١٣، ومسند أحمد ج ١ ص ١١١ وتفسير ابن كثير ج ٣ ص ٣٥٠ وابن عساكر ترجمة الامام علي بتحقيق المحمودي ج ١ ص ٨٧، واثبات الوصية للمسعودي ص ١١٥، وتاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢٧، ومسند البزار مخطوط في مكتبة مراد رقم ٥٧٨.

(٢) الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٦٢ ط صادر.

(٣) دلائل الصدق ج ٢ ص ٢٣٥.

لأنهم أولى بالدفع عنه ونصره؛ فلم يجعل هذه المنزلة إلا لهم، وليعلم من أول الأمر: أن هذه المنزلة لعلي «عليه السلام» لأن الله ورسوله يعلمان: أنه لا يجيب النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» ويوازره غير علي «عليه السلام»؛ فكان ذلك من باب تثبيت إمامته، بإقامة الحجة عليهم. ومع فرض تعدد المجيبين يعين الرسول الأحق بها منهم[١].

وقد أوضح ذلك المحقق البحاثة السيد مهدي الروحاني: بأن الخطاب إنما هو للجميع، لكن النبي صلى الله عليه وآله كان يعلم من خلقهم وعلاقاتهم، وطبائعهم: أنهم سوف لا يجيبون إلا علي «عليه السلام»، هذا بالإضافة إلى إعلام الله له بذلك.

ونقول نحن: ويؤيد ذلك النص الذي سوف يأتي نقله عن البحار، عن ابن طاووس، تحت عنوان: «ماذا قال النبي صلى الله عليه وآله يوم الانذار». وقد قلنا هناك: إن ذلك النص هو المنسجم مع الآية الكريمة، وقد جاء فيه: «إن الله لم يبعث رسولاً إلا جعل له أخاً، ووزيراً، ووصياً، ووارثاً من أهله، وقد جعل لي وزيراً كما جعل للأنبياء من قبلي.. إلى أن قال: وقد والله أنبأني به، وسماه لي، ولكن أمرني أن أدعوكم وأنصح لكم، وأعرض عليكم لئلا تكون لكم الحجة فيما بعد»[٢].

واحتمل صديقنا المحقق الروحاني: أن يكون الخطاب لواحد منهم على سبيل البدل، ولذا قال لهم: أيكم يؤازرني الخ.. فالمجيب أولاً هو الذي يستحق ما وعد به «صلى الله عليه وآله وسلم»، وإجابة أكثر من واحد بعيدة الوقوع جداً، ولا يعتنى باحتمالها عرفاً. لا سيما وأن الذي يضرّ هو التقارن في الإجابة، وذلك أبعد وأبعد. هذا مع علمه صلى الله عليه وآله بأنه لا يجيب سوى واحد منهم.

---

(١) دلائل الصدق ج ٢ ص ٢٣٦.

(٢) البحار ج ١٨ ص ٢١٥/٢١٦، عن: سعد السعود ص ١٠٦.

ولكن قد ذكر بعض الأعلام: أن كون المراد هو المؤازرة في الجملة بعيد؛ لكون المسلمين على اختلاف مراتبهم قد وازروه في الجملة. فالمراد هو المؤازرة في جميع الامور والاحوال. والموازرة الكاملة في الدين تحتاج إلى أعلى درجات الوعي، والعلم، والسمو الروحي إلى درجة العصمة. الأمر الذي يعني: أن شخصاً كهذا هو الذي يستحق الإمامة، ولا يستحقها سواه؛ ممن تلبس بالظلم، كما قال تعالى: «لا ينال عهدي الظالمين». وليس ذلك سوى علي «عليه السلام».

أضف إلى ذلك: أن إمامة وخلافة علي «عليه السلام»، إنما هي بجعل من الله سبحانه وتعالى، لا بجعل من النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» لتترتب على المؤازرة المنشودة، والمرغّب بها، مع علم النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» بعدم إجابة غير علي «عليه السلام»، فيكون ما جرى في يوم الإنذار لأجل إقامة الحجة، وقطع كل عذر. فكلام المظفر هو الأولى والأقرب انتهى.

وأما ما ذكره ابن تيمية خامساً، وأخيراً فهو لا يصح أيضاً بأي وجه:

أولاً: لأن وجود حمزة إنما يضر، لو كان قد اسلم قبل نزول آية الانذار، ونحن لم نستطع: أن نحتمل ذلك، فضلاً عن أن نجزم به؛ إذ من القريب جداً، بل هو ظاهر، إن لم يكن صريح ما ورد في كيفية إسلام حمزة: أن يكون إسلامه بعد الإعلان بالدعوة، وبعد وقوع المواجهة بين النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» وقريش، وبعد مفاوضاتها لأبي طالب.

وثانياً: لو سُلِّم فإن إنذار عشيرته يمكن أن يكون أثناء الدعوة السرية، وقبل إسلام حمزة، حتى لو كان قد أسلم في الثانية من البعثة، ويكون ما جرى بين حمزة وأبي جهل، بمثابة إعلان جزئي للدعوة. وتكون قريش قد بدأت تتعرض لشخص النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» حتى في الدعوة السرية، وأما بالنسبة لسائر من أسلم فقد كان ثمة محدودية في

التعامل معهم، وسرية بالنسبة لمن يدخل في الإسلام منهم. ويدل على ما ذكرناه: أنهم يذكرون: أن قوله تعالى: «فاصدع بما تؤمر» كان هو السبب في إخراج الدعوة من السر إلى العلن. ولا ريب أن إنذار العشيرة كان قبل ذلك.

وثالثاً: إن وجود حمزة، إن كان قد أسلم آنئذٍ، كوجود أبي طالب بينهم، فلعلهما كانا يريان أنهما غير مقصودين بهذه الدعوة. ولا سيما إذا كانا يدركان: أن بقاءهما إلى ما بعد وفاة النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» أبعد احتمالاً؛ فإن سنّ حمزة كان يقارب سن النبي «صلى الله عليه وآله وسلم»، كما يدّعون، ولكننا نعتقد: أنه كان أكبر من النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» بأكثر من عشرين سنة، لأنه كان أكبر من عبدالله، والد النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» والذي كان أصغر أولاد عبد المطلب.

وهكذا يقال بالنسبة للعباس أيضاً.

وأما ابو طالب؛ فإنه كان شيخاً هرماً لا يحتمل البقاء إلى ما بعد وفاته صلى الله عليه وآله، فلا معنى لأن يقدّم أي منهما نفسه على أنه خليفته من بعده، أو على الأقل هكذا فكرا آنئذٍ.

وهكذا يتضح: أن جميع ما جاء به إبن تيمية إنما كان كسراب بقيعة، أو كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف.

نقاط هامة في حديث الإنذار

الف ـ روايات لا يمكن أن تصح:

هذا، وقد حاول إبن تيمية أن يقوي جانب روايات أخرى تبعد علياً وأهل البيت عن الأنظار، بل وتستبعد الهاشميين منه عموماً أيضاً كتلك الروايات التي في الصحيحين، والتي تقول: إنه «صلى الله عليه وآله

وسلم» جمع قريشاً ـ حين نزل قوله تعالى : ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ فاجتمعوا، فخصّ وعمّ، فقال: يا بني كعب بن لؤي، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار الخ[1].

وفي رواية أخرى: إنه «صلى الله عليه وآله وسلم» جمع بني هاشم وأجلسهم على الباب، وجمع نساءه فأجلسهم في البيت. ثم كلّم بني هاشم، وبعد ذلك أقبل على أهل بيته؛ فقال: يا عائشة بنت أبي بكر، ويا حفصة بنت عمر، ويا أم سلمة، ويا فاطمة بنت محمد، ويا أم الزبير عمة رسول الله، اشتروا أنفسكم في الله، واسعوا في فكاك رقابكم؛ فاني لاأملك لكم من الله شيئاً، ولا أغني؛ فبكت عائشة وقالت. . ثم تذكر الرواية محاورة لها معه «صلى الله عليه وآله وسلم»[2].

وثمة نصوص أخرى كلها تؤكد على دعوته قريشاً وإنذاره لها.

وهذه الروايات لا يمكن أن تصح.

فأولاً: لقد تقدم: أن فاطمة صلوات الله وسلامه عليها لم تكن حينئذٍ قد ولدت.

---

(١) راجع: منهاج السنة ج ٤ ص ٨٣، والدر المنثور ج ٥ ص ٩٥و ٩٦ عن: أحمد، وعبد بن حميد، والبخاري، ومسلم، والترمذي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه والبيهقي عن عائشة، وأنس، وعروة بن الزبير، والبراء، وقتادة، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٢٨٧.

(٢) الدر المنثور ج ٥ ص ٩٦ عن: الطبراني، وابن مردويه، عن أبي أمامة، وهذه الروايات موجودة في مصادر كثيرة أخرى ولا سيما تلك التي ذكرناها في أوائل هذا البحث كمصادر للنص الأول.

وثانياً: إن عائشة[١] وحفصة، وأم سلمة لم يكنَّ من أزواجه حينئذٍ، ولاكنّ من أهله، وإنما صرن من أهله في المدينة بعد ذلك بسنين كثيرة..

وثالثاً: إن هذه الروايات تناقض ما ورد من أنه «صلى الله عليه وآله وسلم» إنما دعا قريشاً وبادءها حين نزل قوله تعالى: فاصدع بما تؤمر. وليس حين نزل قوله تعالى: ﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين**﴾.

ورابعاً: ان هذه الروايات تناقض نص الآية نفسها، فانها تأمره بانذار العشيرة الأقربين، لا مطلق عشيرته، ولا مطلق الناس، وعشيرته الأقربون إما هم بنو هاشم، أو بنو عبد المطلب، والمطلب.

والقول بتعدد الإنذار: لا يدفع الإشكال، بعد تصريح الروايات: بأن مفادها قد وقع حين نزول الآية عليه «صلى الله عليه وآله وسلم».

وهذا كله مع غض النظر عما في أسانيد هذه الروايات، فإن جميع رواتها ـ كما يقولون ـ لم يدركوا زمان إنذار عشيرته «صلى الله عليه وآله وسلم».

ب ـ ما المراد بكونه خليفته في أهله:

وقد ذكر الشيخ المظفر (ره): أن من الواضح: أن قوله: خليفتي فيكم، أو في أهلي لا يضر، ما دام أن ثمة إجماعاً على عدم جواز وجود خليفتين: خاص، وعام. فخلافته الخاصة تقتضي خلافته المطلقة. ولعل الأصح هو: أنه قال ـ كما في الروايات الأخرى ـ: «من بعدي»، أو أنه قال: «فيكم»، باعتبار أنهم من المسلمين.

---

(١) والغريب في الأمر: أنهم يعتقدون: أن عائشة إنما ولدت في الخامسة من البعثة، والانذار للعشيرة كان في الخامسة، فهم يناقضون أنفسهم مناقضة صريحة، وإن كنا نحن نعتقد: أن عائشة قد ولدت قبل البعثة بسنوات، كما سنشير إليه إن شاء الله تعالى.

وأما القول بأن المقصود: هو أنه القائم بشؤونهم الدنيوية؛ فيكذبه الواقع؛ فإن علياً «عليه السلام» لم يكن كذلك بالنسبة لأي من الهاشميين. ولو كان المقصود هو خصوص الحسنين عليهما السلام، وفاطمة صلوات الله وسلامه عليها، فإن من الواضح أنهما وكذلك أمهما ما كانوا قد وُلدوا بعد. كما أن نفقة هؤلاء واجبة عليه بالأصالة لا بالخلافة، وأما غيرهم فلم يكن «عليه السلام» مكلَّفاً بالإنفاق عليه، ولا كان يفعل ذلك[1].

أضف إلى ذلك كله: أنه بعد أن يصبح الإنسان رجلاً عاقلاً وكاملاً، فإنه لا يبقى بحاجة إلى وليّ يدبّر شؤونه، بل يستقل هو نفسه في ذلك. وعلى هذا، فلا يبقى للولي وللخليفة معنى. إذا كان هذا هو المراد.

ونشير هنا إلى أن الدواعي كانت متوفرة لتحريف هذه الواقعة، وجعلها خاصة بالخلافة على الأهل، ولا تشمل الخلافة العامة التي هي موضع الأخذ والرد كما هو معلوم.

ج ـ لماذا تخصيص العشيرة بالدعوة؟!:

هذا ولا يخفى أن الإهتمام بدعوة عشيرته الأقربين كان خير وسيلة لتثبيت دعائم دعوته، ونشر رسالته؛ لأن الإصلاح يجب أن يبدأ من الداخل، حتى إذا ما استجاب له أهله وقومه، اتجه إلى غيرهم بقدم ثابتة، وعزم راسخ ومطمئن.

كما أن دعوته لهم سوف تمنحه الفرصة لاكتشاف عوامل الضعف والقوة في البنية الداخلية، من حيث ارتباطاته وعلاقاته الطبيعية، وليعرف مقدار الدعم الذي سوف يلاقيه؛ فيقدر مواقفه، وإقدامه، وإحجامه على أساسه.

---

(١) راجع: دلائل الصدق ج ٢ ص ٢٣٩.

أضف إلى ذلك: أنه حين يبدأ بالأقربين من عشيرته، ولا يبدو أنه على استعداد لتقديم أي تنازل أو مساومة حتى بالنسبة إلى هؤلاء، فإن معنى ذلك هو أن على الآخرين أن يقتنعوا بأنه منسجم مع نفسه، ومقتنع بصحة ما جاء به، ويريد لأحب الناس إليه، الذين لا يريد لهم إلا الخير، أن يكونوا في طليعة المؤمنين الذين يضحون بكل غالٍ ونفيس في سبيل هذا الدين. وقد رأينا: أن النصارى قد تنبهوا إلى ذلك في قضية المباهلة. فراجع.

ومن الجهة الأخرى: فإنه يعيش في مجتمع يقيم علاقاته على أساس قبليّ؛ ـ فحين يريد أن يقدم على مواقف أساسية ومصيرية ـ وحين لا يكون هو نفسه يرضى بالإعتماد على القبلية كعنصر فعال في حماية مواقفه، وتحقيق أهدافه؛ فإن من اللازم: أن يتخذ من ذوي قرباه موقفاً صريحاً، ويضعهم في الصورة الواضحة؛ وأن يهيء لهم الفرصة ليحددوا مسؤولياتهم، بحرّية، وصراحة، وصفاء، بعيداً عن أي ضغط، وابتزاز ولو كان هذا الضغط من قبيل العرف القبلي في ما بينهم؛ لأنه عرف مرفوض إسلامياً.

وهنا تبرز واقعية الإسلام في تعامله مع الأمور، وفي معالجته للقضايا، الإسلام الذي لا يرضى أن يستغل جهل الناس وبساطتهم، وحتى أعرافهم ـ الخاطئة ـ التي ارتضوها لأنفسهم في سبيل منافعه، وتحقيق أهدافه.

نعم، إن الإسلام يعتبر الوسيلة جزءاً من الهدف، فلا بد أن تنسجم وتتلاءم معه ـ كما لا بد أن تنال من الطهر والقداسة بالمقدار الذي يناله الهدف نفسه.

وفقنا الله للسير على هدى الإسلام، والإلتزام بتعاليمه؛ إنه خير مأمول، وأكرم مسؤول.

وعلى كل حال، فقد خرج «صلى الله عليه وآله وسلم» من ذلك الإجتماع بوعدٍ أكيد من شيخ الأبطح، أبي طالب (ره) بالنصر والعون؛ فإنه لما رأى موقف أبي لهب اللاإنساني، واللامعقول، قال له:

«يا عورة، والله لننصرنه، ثم لنعيننه. يا ابن أخي، إذا أردت أن تدعو إلى ربك فأعلمنا، حتى نخرج معك بالسلاح[1]».

د ـ علي «عليه السلام» في يوم الإنذار:

ونجد في يوم الإنذار: أن إختيار النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» يقع على أمير المؤمنين «عليه السلام»، ليكون المضيف لجماعة يناهز عددها الأربعين رجلاً، فيأمره بأن يصنع طعاماً، ويدعوهم إليه والظاهر: أن ذلك قد كان في بيت النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» نفسه، لأن علياً «عليه السلام» كان عند رسول الله صلوات الله عليه وآله في بيته على ما يظهر ـ وقد كان بإمكانه «صلى الله عليه وآله وسلم» أن يطلب من خديجة أن تصنع لهم الطعام. هذا، مع وجود آخرين، أكثر وجاهة ومعروفية من علي «عليه السلام»، كأبي طالب، وكجعفر، الذي كان يكبر عليّاً في العمر، وغيرهما ممن يمكن أن يستفيد من نفوذه وشخصيته في التأثير على الحاضرين.

ولكنه قد اختار علياً بالذات ليتفادى أي إحراج يبعد القضية عن مجالها الطبيعي، الذي يرتكز على القناعة الفكرية والوجدانية بالدرجة الأولى، ولأن علياً ـ وإن كان حينئذٍ صغير السن، إلا أنه كان في الواقع كبيراً في عقله، وفي فضائله وملكاته، كبيراً في روحه ونفسه، كبيراً في آماله وأهدافه. ـ ولا أدل على ذلك من كونه هو المجيب للرسول، دون كل من حضر، ليؤازره ويعاونه على هذا الأمر. وقد رآه النبي «صلى الله

---

(١) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢٧/٢٨ ط صادر.

عليه وآله وسلم» منذئذٍ أهلاً لأن يكون أخاه، ووصيه، وخليفته من بعده. وهي الدرجة التي قصرت همم الرجال عن أن تنالها، بل وحتى عن أن يدخل في وهمها: أن تصل ولو في يومٍ مّا إليها، وتحصل عليها.

ولكن علياً كان منذ نعومة أظفاره هو السبّاق إليها دون كل أحد؛ لأنه عاش في كنف الرسول، وكان «صلى الله عليه وآله وسلم» كفيله ومربيه، وكان يبرد له الطعام، ويشمه عرفه، وكان يتبع الرسول اتباع الفصيل أثر أمه، وكان كأنه ولده[١]. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

هـ ـ موقف أبي لهب:

ولقد أدرك أبو لهب مغزى تلك الدعوة، ورأى أن الأمر قد بلغ مرحلة الجد. وها هو يرى بأم عينيه معجزة أخرى، تضاف إلى الكثير مما رآه من معاجز وكرامات للنبي «صلى الله عليه وآله وسلم»، طيلة السنوات الكثيرة التي عرف فيها النبي وأحواله ـ فيرى أن فخذ شاة، وعسّاً من لبن، يكفي أربعين رجلاً.

وأبو لهب هو ذلك الرجل الذي يعرف طبيعة وأهداف هذا الدين الذي يبشر فيه محمد «صلى الله عليه وآله وسلم». وأنه لا يقيم وزناً لأي امتياز أو مكسب شخصي حصل عليه الإنسان من طريق الإبتزاز والظلم، وسائر أنواع التعدي والإنحراف. إذن، فلا بد لأبي لهب، بحسب منطقه

---

(١) وليس في كفالة النبي «صلى الله عليه وآله» لعلي غضاضة على أبي طالب شيخ الأبطح ـ كما يقول البعض ـ لأن عبدالله وأبا طالب كانا من أم واحدة بخلاف سائر أبناء عبد المطلب، وقد ربي النبي «صلى الله عليه وآله» في حجر أبي طالب وكان «صلى الله عليه وآله» يخاطب فاطمة بنت أسد بيأماه، وكانت عناية أبي طالب وزوجته به «صلى الله عليه وآله» فائقة جداً. وكان علي «عليه السلام» كأنه إبن لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، مع ملاحظة التفاوت في السن فيما بينهما.

اللامنطقي: أن يقف في وجه هذا الدين، ويمنعه من تحقيق أهدافه بكل وسيلة ممكنة. ولا بد من تضييع الفرصة على النبي «صلى الله عليه وآله وسلم»، وذلك حفاظاً على ما يراه أنه مصلحته أولاً، وليرضي حقده وحسده الذي يعتمل في صدره ثانياً؛ ذلك الحقد الذي لا مبرر له إلا أنه: يرى في شخصية النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله وسلم» الصفات الحميدة، والأخلاق الرضية الكريمة، والسجايا الفاضلة، فإن ذلك يعتبر عنده ذنباً، وأي ذنب.

فبادر إلى المواجهة الصريحة، والوقحة والقبيحة، حيث استغل معجزة الطعام التي يراها الجميع بأم أعينهم، فرمى النبي الأكرم بالسحر وقال: لقِدماً سحركم صاحبكم. فتفرق الجمع في اليوم الأول، ولم يستطع الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» أن يقول كلمته حتى اليوم التالي؛ حيث استطاع النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» أن يصدع بما أمره الله تعالى، ويقيم عليهم الحجة، كما تقدم بيانه.

و ـ الإنذار أولاً:

وما دمنا في الحديث عن إنذار عشيرته الأقربين؛ فإننا نسجل هنا: أنه «صلى الله عليه وآله وسلم» قد أُمر من قبل الله تعالى بالإنذار أولاً لعشيرته، فقال تعالى: ﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين**﴾[1]. وكذلك الحال بالنسبة لغيرهم من سائر الناس، فإنه تعالى قد قال لنبيه، كما في سورة المدثر، التي هي من العتائق النازلة في أوائل البعثة: ﴿**قم فأنذر**﴾[2].

فقد جاء الإنذار أولاً، مع أنه «صلى الله عليه وآله وسلم» قد أُرسل مبشراً ونذيراً، ومع أن القرآن هدى وبشرى أيضاً.

---

(١) الشعراء/٢١٤.

(٢) المدثر/٢.

وسر ذلك واضح؛ فإن الناس كانوا في أول البعثة كفاراً، ومنغمسين في الظلم والإنحراف إلى أبعد مدى. فلا بد من إنذارهم أولاً؛ ليلتفتوا إلى الواقع السيّء الذي يعيشونه، وإلى العواقب المدمرة والمرعبة، التي تنتظرهم نتيجة لذلك. والتفاتهم هذا لسوف يؤثر فيهم التطلع، ثم الحركة نحو الخروج من ذلك الواقع، والتخلص منه.

ثم يأتي بعد ذلك دور تخليص المجتمع من رواسبه، ومن حركاته، وأعماله، ومواقفه السيئة، على مستوى الفرد، وعلى مستوى الجماعة، وتطهيره من كل غريب ومريض.

ومعه جنباً إلى جنب تكون عملية وضع الأسس المتينة والسليمة لبناء الهيكل العام للمجتمع المسلم في عواطفه، وفي علاقاته، وفي روابطه. والأهم من ذلك؛ في فكره وثقافته، وإعطائه المفهوم الحقيقي والواقعي عن الكون، وعن الحياة، وبالذات عن هذا الإنسان القوي الضعيف، وليطرد قدماً في عملية بناء الإنسان من الداخل، وتربيته وتزكيته، كما هو وظيفة النبي والإمام، وكل داعية إسلامي على الإطلاق.

وقد أشرنا في أول هذا الفصل إلى هذا، مستفيدين من قوله تعالى: **﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾**.

وهذا الذي ذكرناه عن أسلوب الإسلام في دعوته، هو التحرك الطبيعي لأية دعوة، تستهدف الإصلاح الجذري، والتغلب على مشاكل الحياة. والتخطيط لمستقبل مشرق سعيد.

ز ـ ماذا قال النبي «صلى الله عليه و آله وسلم» في يوم الإنذار:

وقد جاء في بعض النصوص أنه «صلى الله عليه وآله وسلم» قال لهم: «يا بني عبد المطلب، إني لكم نذير من الله جل وعز، إني أتيتكم

بما لم يأت به أحد من العرب، فإن تطيعوني ترشدوا، وتفلحوا، وتنجحوا، إن هذه مائدة أمرني الله بها؛ فصنعتها لكم، كما صنع عيسى بن مريم «عليه السلام» لقومه؛ فمن كفر بعد ذلك منكم، فإن الله يعذبه عذاباً شديداً، لا يعذبه أحداً من العالمين، واتقوا الله، واسمعوا ما أقول لكم، واعلموا يا بني عبد المطلب: أن الله لم يبعث رسولاً إلاّ جعل له أخاً، ووزيراً، ووصياً، ووارثاً من أهله. وقد جعل لي وزيراً كما جعل للأنبياء من قبلي، وإن الله قد أرسلني إلى الناس كافة، وأنزل علي: ﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين**﴾ ورهطك المخلصين[١]، وقد والله أنبأني به، وسماه لي. ولكن أدعوكم، وأنصح لكم، وأعرض عليكم؛ لئلا يكون لكم الحجة فيما بعد، وأنتم عشيرتي وخالص رهطي، فأيكم يسبق إليها على أن يؤاخيني في الله، ويوازرني»، إلى آخر كلامه «صلى الله عليه وآله وسلم»، الذي ينسجم مع النص الذي ذكرناه في أوائل هذا الفصل فراجعه[٢].

وهذا النص هو الأوفق والأنسب لموقف كهذا، وهو ينسجم تماماً مع أمر الآية بالإنذار، فإن الإنذار أولاً هو الخطوة الطبيعية لأية دعوة، كما ذكرنا آنفاً.

ح ـ التبشير والإنذار:

ويقول المحقق البحاثة المرحوم الشيخ مرتضى المطهري: إن من يريد إقناع إنسان مّا بعمل مّا، فله طريقان: أحدهما: التبشير، بمعنى تشويقه، وبيان فوائد ذلك العمل. الثاني: إنذاره ببيان ما يترتب على تركه من مضار، وعواقب سيئة.

---

(١) هذا توضيح منه «صلى الله عليه وآله» وتفسير للمراد من الآية.

(٢) البحار: ج ١٨ ص ٢١٥/٢١٦ عن سعد السعود لابن طاووس: ص ١٠٦.

ولذلك قيل: الإنذار سائق، والتبشير قائد.

والقرآن والإسلام يرى: أن الإنسان يحتاج إلى هذين العنصرين معاً، وليس ـ كغيره ـ يكفيه أحدهما.

بل ويرى الإسلام: أنه لا بد وأن ترجح كفة التبشير على كفة الإنذار. ولذلك قدّم الأول على الثاني في أكثر الآيات القرآنية.

ومن هنا، فقد قال «صلى الله عليه وآله وسلم» لمعاذبن جبل، حين أرسله إلى اليمن: «يسّر ولا تعسّر، وبشّر ولا تنفر».

فهو هنا لم يستبعد الإنذار، بل هو جزء من خطته. وإنما اهتم بجانب التبشير إذ يمكن بواسطته إدراك مزايا الإسلام وخصائصه الرائعة، وليكون إسلامهم من ثم عن قناعة حقيقية، وقبول تام.

وأما قوله «صلى الله عليه وآله وسلم»: ولا تنفّر، فهو واضح المأخذ، فإن روح هذا الإنسان شفافة جداً، وتبادر إلى ردة الفعل بسرعة، ومن هنا فإننا نجد النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» يأمر بالعبادة ما دامت النفس مقبلة، ولا يقبل بالضغط عليها، وتحميلها مالا تطيق. ولهذا شواهد كثيرة في الشريعة السهلة السمحاء[1].

ومما تقدم نستطيع أن ندرك: لماذا اشتملت دعوته «صلى الله عليه وآله وسلم» لعشيرته على التبشير أيضاً؛ بأن من يؤازره سوف يكون خليفة بعده، وأنه قد جاءهم بخير الدنيا والآخرة، تماماً كما بدأت بالإنذار، فإن ذلك ينسجم مع ما تشتاق إليه نفوسهم، ويتلاءم مع رغباتهم. ويأتي من قبل من لا يمكن اتهامه لديهم بأي وجه.

---

(١) راجع: جريدة جمهوري اسلامي الفارسية رقم ٢٥٤ سنة ١٣٥٩ هـ. ش في مقالات للمطهري رحمه الله تعالى.

ط ـ أخي ووصيي:

ويلفت نظرنا هنا قوله «صلى الله عليه وآله وسلم»: على أن يكون أخي الخ. فإن ذلك يؤكد لهم على مدى التلاحم والمحبة بينه وبين ذلك الذي يؤازره ويعاونه، إلى حد أنه يعتبره أخاً له، فليست العلاقة بينهما علاقة رئيس ومرؤوس، وآمر ومأمور، ولا عالٍ بدانٍ، وإنما هي علاقة بين متكافئين في الإنسانية، كما أنها علاقة تعاون وتعاضد على العمل البنّاء والمثمر، وعلاقة أخ مع أخيه، تغمرها المحبة، والثقة والصفاء، بكل ما لهذه الكلمات من معنى.

أضف إلى ذلك، ما في ذلك من دلالة على المستوى السامي الذي كان قد بلغه أمير المؤمنين «عليه السلام» حتى يستحق وسام الأخوة فيما بينه وبين سيد البشر، من مضى منهم، ومن غبر.

فاصدع بما تؤمر:

وبعد أن أنذر «صلى الله عليه وآله وسلم» عشيرته الأقربين. وبعد أن انتشر أمر نبوته «صلى الله عليه وآله وسلم» في مكة، بدأت قريش تتعرض لشخص النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» بالإستهزاء والسخرية، وأنواع التهم، كما يظهر؛ إذ أنهم قد عرفوا جدية القضية، وأدركوا أبعادها. فبادروا إلى تلك الأساليب بهدف الحط منه «صلى الله عليه وآله وسلم» أمام الرأي العام، وابتذال شخصيته. على الرغم من أنه«صلى الله عليه وآله وسلم» لم يطلب منهم بعد أن يؤمنوا بما جاء به، كل ذلك حسداً وبغياً منهم، وتخوفاً من المستقبل، ليس إلا.

وكان لذلك الإستهزاء تأثير على إقبال الناس على الدخول في الإسلام؛ فاغتم النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» لذلك جداً، واعتبر ذلك عائقاً في سبيل انتشار دعوته، وأداء مهمته؛ فأنزل الله عليه يأمره بإظهار

الدعوة، والطلب حتى من قريش: أن تسلم لربها، مشفوعاً ذلك بوعدٍ أكيد. بأن الله سوف يكفيه المستهزئين؛ فيجب أن لا يهتم لهم، وأن يتجاهلهم.

وذلك حين نزل قوله تعالى:

﴿فاصدع بما تؤمر، وأعرض عن المشركين. إنّا كفيناك المستهزئين﴾[1].

هذا إذا كان المقصود أنه سوف يكفيه أولئك الذين صدر منهم فعل الإستهزاء. أما إذا كان المراد: مَنْ سوف يصدر منهم هذا الأمر، فإن الآية لا تكون ناظرة إلى ما سبق كما هو ظاهر لا يخفى.

وقد بيّن الله تعالى له: خطة العمل المستقبلية، فأمره أن يأخذ بالصفح الجميل، وبالإعراض عن المشركين، وأن لا يحزن عليهم، ولا يضيق صدره بما يقولون؛ فإن جزاءهم على الله المطلع على كل صغيرة وكبيرة.

فامتثل النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» أمر الله، وأظهر دعوته، وطلب من الناس جميعاً: أن يسلموا لربهم.

ويقولون: إنه قام على الحجر، فقال: يا معشر قريش، يا معشر العرب أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، وآمركم بخلع الأنداد والأصنام؛ فأجيبوني تملكون بها العرب، وتدين لكم العجم، وتكونون ملوكاً في الجنة.

فاستهزؤا به، وقالوا: جُنّ محمد بن عبد الله، ولم يجسروا عليه لموضع أبي طالب[2].

---

(١) الحجر/٩٤ ـ ٩٥.

(٢) راجع: تفسير نور الثقلين ج ٣ ص ٣٤ عن تفسير القمي.

وجاء أيضاً: أنه «صلى الله عليه وآله وسلم» قام على الصفا، ونادى قريشاً؛ فاجتمعوا له، فقال لهم: أرأيتم لو أخبرتكم: أن خيلاً في سفح هذا الجبل قد طلعت عليكم، أكنتم مصدقيّ؟

قالوا: نعم، أنت عندنا غير متّهم، وما جرّبنا عليك كذباً قط.

فقال: إني نذير لكم من عذاب شديد. إلى أن قال: فنهض أبو لهب، وصاح به: تبّاً لك سائر اليوم، ألهذا جمعت الناس؟ وتفرقوا عنه. فأنزل الله تعالى: تبّت يدا أبي لهب وتب إلى آخر السورة[1].

المفاوضات الفاشلة:

قال ابن إسحاق وغيره: فلما بادى رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» قومه بالإسلام، وصدع به، كما أمره الله، لم يبعد منه قومه، ولم يردّوا عليه ـ فيما بلغني ـ حتى ذكر آلهتهم وعابها، فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه، وأجمعوا على خلافه وعداوته، إلا من عصم الله تعالى منهم بالإسلام، وهم قليل مستخفون.

وحدب على رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» عمه أبو طالب، ومنعه، وقام دونه. ومضى رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» على أمر الله مظهراً لا يرده شيء.

فلما رأت قريش: أن رسول الله لا يعتبهم من شيء أنكروه عليه، من فراقهم، وعيب آلهتهم، ورأوا أن عمه أبا طالب قد حدب عليه، وقام دونه، فلم يسلّمه لهم، حاولوا مفاوضة أبي طالب. وهذه المفاوضات

(١) هذا الحديث يرويه المفسرون والسيوطي في الدر المنثور، وكذلك المؤرخون من غير الشيعة حين الحديث عن إنذار عشيرته الأقربين، ولكن قد بيّنا: أن المقصود ليس هو مطلق عشيرته في الآية بل عشيرته الأقربون ليس إلا؛ فالرواية تناسب قوله تعالى (فاصدع بما تؤمر) فقط.

ـ كما يرى إبن إسحاق وغيره ـ قد مرت بثلاثة مراحل، إنتهت كلها بالفشل الذريع.

الأولى: إنه مشى رجال من إشراف قريش إلى أبي طالب. ذكر المؤرخون أسماءهم، فقالوا: يا أبا طالب، إن ابن أخيك قد سب آلهتنا، وعاب ديننا، وسفه أحلامنا، وضلل آباءنا، فإما أن تكفه عنا، وإما أن تخلي بيننا وبينه، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه، فنكفيكه، فقال لهم أبو طالب قولاً رفيقاً، وردّهم رداً جميلاً، فانصرفوا عنه.

الثانية: إنهم حين رأوا أن رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» قد استمر على ما هو عليه، يظهر دينه، ويدعو إليه، حتى شرى الأمر بينه وبينهم، وحتى تباعد الرجال، وتضاغنوا، وأكثرت قريش ذكر رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» بينها، ذهبوا إلى أبي طالب، فتهددوه: إن لم يكف إبن أخيه عن شتم أبائهم، وتسفيه أحلامهم، وشتم آلهتهم، فلسوف ينازلونه وإياه حتى يهلك أحد الفريقين، ثم انصرفوا.

فأرسل أبو طالب إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» فأخبره، وطلب إليه أن يبقي على نفسه وعليه، ولا يحمله ما لا يطيق. ، فظن أنه قد بدا لعمّه فيه بداء، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام دونه، فقال له «صلى الله عليه وآله وسلم»: يا عم، والله، لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله، أو أهلك فيه، ما تركته. فوعده أبو طالب النصر.

الثالثة: عرضوا على أبي طالب: أن يتخذ عمارة بن الوليد ولداً له، ويسلمهم النبي، الذي فارق دين أبي طالب ودين آبائه، وفرق جماعتهم وسفه أحلامهم ليقتلوه. فإنما هو رجل برجل.

فقال أبو طالب: والله، لبئس ما تسومونني أتعطونني إبنكم أغذوه لكم، وأعطيكم إبني تقتلونه، هذا والله ما لا يكون أبداً.

فقال المطعم بن عدي: والله يا أبا طالب، لقد أنصفك، قومك وجهدوا على التخلص مما تكرهه؛ فما أراك تريد ان تقبل منهم شيئاً.

فقال أبو طالب: والله ما أنصفوني، ولكنك قد أجمعت على خذلاني، ومظاهرة القوم علي؛ فاصنع ما بدالك؟. أو كما قال.

فحقب الأمر، وحميت الحرب، وتنابذ القوم، وبادى بعضهم بعضاً[1].

وربما تكون هذه المراحل متداخلة، أو مترتبة. فإن ما ذكرناه لا يعدو عن أن يكون فهماً منّا للسير الطبيعي للأحداث، ـ لا أكثر ولا أقل ـ وقبل المضي في الحديث؛ نسجل النقاط التالية:

الف: قريش لم تصل إلى نتيجة:

لقد رأينا: أن مشركي مكة ما كانوا يرغبون باديء ذي بدء: في توريط أنفسهم في مواجهة أبي طالب والهاشميين؛ فحاولوا: أن يحملوا أبا طالب نفسه على حسم الموقف، والقضاء على ما يعتبرونه مادة متاعبهم، ومصدر مخاوفهم، وحاولوا أن يثيروا هذا الرجل، ويشحنوه نفسياً ضد ابن أخيه، على اعتبار أن ابن أخيه قد جاء بما يضر بمصالح، ويجرح كرامة وعاطفة عمه نفسه، فضلاً عن غيره، ولذا، فإن من الطبيعي أن يبادر أبو طالب نفسه لوضع حد لتصرفات ابن أخيه، ويكفيهم مؤونة ذلك.

ولكنهم حينما وجدوا: أن أبا طالب لم يستجب لأي من أباطيلهم، ولم يحرك ساكناً في سبيل وضع حدٍ لمصدر الخطر عليهم وعلى مصالحهم، لجأوا إلى التهديد والوعيد، ثم إلى أسلوب المكر والخداع كما في قضية عرض عمارة على أبي طالب ليتخذه ولداً، ويسلمهم محمداً

---

(١) راجع: سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٨٢ ـ ٢٨٦، والبدء والتاريخ ج ٤ ص ١٤٧ ـ ١٤٩ وتاريخ الطبري ج ٢ ص ٦٥ ـ ٦٨.

ليقتلوه. الأمر الذي كشف عن حقيقة ما يكنّونه في صدورهم، وتشتمل عليه نفوسهم واتضح لأبي طالب ولغيره أن هدفهم ليس إلا القضاء على الدين الحق، وإطفاء نور الله، الأمر الذي زاد في تصلب أبي طالب في الدفاع عن الحق والدين، وعن نبي الإسلام الأعظم «صلى الله عليه وآله وسلم».

ب: سر استكبار قريش:

ولعل سر استكبار مشركي مكة، ومحاولاتهم اطفاء نور الله تعالى يرجع إلى:

١ ـ انهم كانوا يستغلون أولئك الفقراء، والعبيد، والضعفاء في مكة وغيرها في مصالحهم؛ فجاء الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم»، وبث في هؤلاء الفقراء روحاً جديدة، وبدأ يؤكد لهم مفهوم كرامة الإنسان، وحريته. ثم هو يناصرهم، ويعيش قضيتهم وآلامهم، ويفتح أعينهم على واقعهم. ويبث فيه تعاليم الإسلام، وفي مقدمتها وجوب تحررهم من سيطرة وغطرسة أولئك الطغاة المتجبرين.

٢ ـ لقد أدرك أولئك المتجبرون، مما عرفوه من طبيعة الدعوة وأهدافها: أنهم سوف لن يتمكنوا في ظلها من الإحتفاظ بتلك الإمتيازات الظالمة، التي جعلوها لأنفسهم؛ والتي كان يرفضها النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله وسلم»، ويؤكد على أن الناس كلهم سواسية أمام عدالة السماء، وفي ميزان الحكم والقضاء.

وسوف لن يتمكنوا أيضاً في ظل هذا الدين الجديد، الذي جاء ليتمم مكارم الأخلاق؛ من الإستمرار في ممارساتهم اللاأخلاقية، واللاإنسانية أيضاً، والتي كانوا يحرصون عليها كل الحرص، أكثر من حرصهم على آلهتهم التي كانوا يدّعون أنهم يحافظون عليها، مع أننا رأينا

بعض العرب يأكل إلهه الذي صنعه من الحيس حين جاع!![1].

٣ ـ ما أشارت إليه الآية الكريمة: ﴿**وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا**﴾[2] أي أنهم اعتذروا عن عدم إيمانهم أنهم: إن آمنوا فإن العرب المشركين سوف لا يرضون بإيمانهم، ورفض أوثانهم، فرد عليهم القرآن، فقال: ﴿**أو لم نمكّن لهم حرماً آمناً يجبى إليه ثمرات كل شيء، رزقاً من لدنّا**﴾[3]، فلا موجب إذن لخوفهم هذا.

مع أن اختيارهم الشرك خوفاً من ذلك، لا يمنع ذلك؛ فكم أهلك الله من قرية بطرت معيشتها، فتلك مساكنهم لم تُسكن من بعدهم. بل ربما كان ذلك هو سبب هلاكهم في الدنيا، حيث ينشأ عنه المنازعات والإستكبار، وغير ذلك من انحرافات مدمرة للمجتمعات وللأمم، إن لم يكن ثمة ضوابط وروادع معينة تجعل كل تلك الإمكانات في مجراها الصحيح، وفي الجهة النافعة للفرد وللمجتمع، حاضراً ومستقبلاً.

على أن الأمر لله تعالى فليس لأحدٍ أن يتمرد عليه، ويخرج على أوامره، فإنه يعرّض نفسه والحالة هذه إلى الهلاك الدنيوي والأخروي، ثم ضرب لهم مثالاً بقارون، الذي كان لديه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة، فلما استكبر وطغى، وتمرد على أوامر الله، خسف الله به وبداره الأرض.

وفي آيات السورة ـ سورة القصص ـ دقائق عجيبة ومعانٍ رائعة في هذاالمجال، تحتاج إلى دراسة مستقلة ومعمقة، لا مجال لها هنا. ونكتفي هنا بهذه الإشارة الإجمالية إليها. والله هو الموفق والمعين.

---

(١) الأعلاق النفيسة: ص ٢١٧، والحيس هو تمر ينزع نواه ويدق مع أقط ويعجنان بالسمن ثم يدلك باليد حتى يبقى كالثريد. مجمع البحرين: ج ٤ ص ٦٤.

(٢) القصص/٥٧.

(٣) القصص/٥٧.

ماذا بعد فشل المفاوضات؟

وبعد فشل المفاوضات، فقد ظهر لأبي طالب:

أن السيل قد بلغ الزبى، وأنه على وشك الدخول في صراع مكشوف مع المشركين. فلا بد من الحذر والإحتياط للأمر؛ فجمع بني هاشم، وبني المطلب، ودعاهم إلى منع الرسول، والقيام دونه، فأجابوه، وقاموا معه، باستثناء أبي لهب لعنه الله تعالى.

ومنع الله عز وجل رسوله، فلم يكن لهم إلى أن يضروه في شعره وبشره سبيل، غير أنهم يرمونه بالجنون، والسحر، والكهانة، والشعر، والقرآن ينزل عليه «عليه السلام» بتكذيبهم. ورسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» قائم بالحق، ما يثنيه ذلك عن الدعاء إلى الله عز وجل سراً وجهراً.

وذلك لأن المشركين بعد أن أدركوا:

أن الاعتداء على شخصه «صلى الله عليه وآله وسلم» سوف يتسبب في صراع مسلح لم يُعدوا له عدّته، وليسوا على يقين من أن تكون نتائجه لصالحهم، خصوصاً مع ما كان لبني هاشم من علاقات، ومن أحلاف مع القبائل، كحلف المطيبين، وحلف عبد المطلب مع خزاعة التي كانت تقطن خارج مكة. بل قد توجب هذه الحرب ـ لو نشبت ـ التمكين لمحمد «صلى الله عليه وآله وسلم» من نشر دعوته[1]. فمن أجل كل ذلك آثر المشركون أن يبتعدوا عن الحرب، ويتبعوا أساليب أخرى لتضعيف أمر محمد «صلى الله عليه وآله وسلم»، والوقوف في وجه دعوته؛ فنجدهم:

ألف: ينهون الناس عن الالتقاء بالنبي «صلى الله عليه وآله وسلم»،

---

(١) ويرى بعض المحققين: أن من المحتمل: أن أبا طالب كان يستعمل أسلوب اللين تارة والشدة أخرى؛ بهدف إثارة حرب كهذه، تهدف إلى تمكين النبي من نشر دعوته، كما أشير إليه.

وعن أن يسمعوا ما جاء به من قرآن، قال تعالى: **﴿وهم ينهون عنه، وينأون عنه﴾**[١]. وقال تعالى: **﴿وقال الذين كفروا: لا تسمعوا لهذا القرآن، والغوا فيه، لعلكم تغلبون﴾**[٢].

ب: يتبعون أسلوب السخرية والإستهزاء، وإلصاق التهم الباطلة، بهدف:

١ ـ التأثير على شخص النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله وسلم» علّه ينهزم نفسياً، وجعله يعيش عقدة الحقارة والضعة، فلربما يتخلى عن هذا الأمر، ويكذب نفسه.

٢ ـ الحط من كرامة النبي «صلى الله عليه وآله وسلم»، وابتذال شخصيته، بهدف تنفير أصحاب النفوس الضعيفة من متابعته، وصرفهم عن الدخول فيما جاء به. ولهذا نجدهم: يُغرون سفهاءهم بايذائه وتكذيبه، وأحياناً كان يتولّى ذلك منه سادتهم وكبراؤهم. بل لقد رأيناهم يأمرون غلاماً منهم بأن يلقي عليه سلا جزور وفرثه، وهو قائم يصلي، فيلقيه بين كتفيه، فيغضب أبو طالب، ويأتي فيُمر السلا على سبالهم جميعاً. وقد ألقى الله الرعب في قلوبهم[٣].

وكانوا أيضاً يلقون عليه التراب[٤]، ورحم الشاة[٥]، وغير ذلك.

---

(١) الأنعام/٢٦.

(٢) فصلت/٢٦.

(٣) الكافي: ج ١ ص ٤٤٩ نشر مكتبة الصدوق، ومنية الراغب: ص ٧٥. وراجع: الغدير: ج ٧ ص ٣٥٩ و٣٨٨ و.ج ٨ ص ٤، وأبو طالب مؤمن قريش: ص ٧٣ عن مصادر كثيرة.

(٤) راجع: السيرة الحلبية: ج ١ ص ٢٩١ و٢٩٢، والسيرة النبوية لدحلان (بهامش الحلبية): ج ١ ص ٢٠٨ و٢٠٢ و٢٣١.

(٥) راجع: البداية والنهاية: ج ٣ ص ١٣٤.

وقد أثر ذلك إلى حدّ ما في صرف الناس، وإبعادهم عن الدخول في الإسلام، حتى ليقول عروة بن الزبير وغيره: «. . وكرهوا ما قال لهم، وأغروا به من اطاعهم؛ فانصفق عنه عامة الناس[١]».

المعذبون في مكة:

كما أنهم قد تذامروا بينهم على من في القبائل منهم، من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» الذين أسلموا معه، فوثبت كل قبيلة على من فيهم من المسلمين يعذبونهم، ويفتنونهم عن دينهم، يعذبونهم. بالحبس، والضرب، والجوع، وبرمضاء مكة، وبغير ذلك من الأساليب الوحشية، واللاإنسانية.

مع المعذبين أيضاً:

وقد عذب المشركون عدداً من المسلمين؛ فعذب عمر بن الخطاب جارية بني مؤمل - حي من بني عدي - وكانت مسلمة؛ فكان يضربها، حتى إذا مل، قال: إني أعتذر إليك، إني لم أتركك إلا ملالة[٢].

ولعل بني مؤمل كانوا قد سمحوا لعمر بن الخطاب أن يتولّى تعذيب جاريتهم، وإلا فإن وضعه الإجتماعي لم يكن يسمح له بأمر من هذا القبيل.

وعذب المشركون أيضاً خباب بن الأرتّ، وأم شريك، ومصعب بن عمير، وغيرهم ممن لا مجال لذكرهم، وبيان ما جرى عليهم.

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٢ ص ٦٨.

(٢) سيرة ابن هشام: ج ١ ص ٣٤١، والسيرة الحلبية: ج ١ ص ٣٠٠، وراجع: السيرة النبوية لابن كثير: ج ١ ص ٤٩٣، والمحبر: ص ١٨٤.

وقد ضرب هؤلاء لنا المثل الأعلى في الصمود والجهاد من أجل المبدأ والعقيدة، مع معرفتهم بأنهم لا يملكون قوة تستطيع أن ترد عنهم، غير إرادة الله تعالى، وأنهم إنما يتحدّون بإسلامهم العالم كله، الذي كان بكل ما فيه ضدهم. وهنا تكمن عظمتهم، وهذا هو سر امتيازهم على غيرهم.

المعذبون الذين أعتقهم أبو بكر:

وممن عُذب في سبيل الله بلال الحبشي، وعامر بن فهيرة، ويقولون: إن أبا بكر قد اشتراهما وأعتقهما، فكانت نجاتهما من العذاب بسببه.

ولكنا نشك في أن يكون أبو بكر هو الذي اشتراهما، وذلك:

أولاً: لما ذكره الإسكافي، الذي قال: «أما بلال، وعامر بن فهيرة، فإنما أعتقهما رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم»، روى ذلك الواقدي، وابن إسحاق[1]».

وعد ابن شهر آشوب بلالاً من موالي النبي «صلى الله عليه وآله وسلم»[2].

وثانياً: إنهم يروون روايات متناقضة في هذا المجال، حتى لا تكاد تلتقي رواية مع أخرى، ويكفي أن نذكر اختلافها في الثمن الذي أعطاه أبو بكر.

فرواية تقول: إنه أعطى ثمنه غلاماً له أجلد منه.

---

(١) راجع: شرح النهج للمعتزلي: ج ١٣ ص ٢٧٣، وقاموس الرجال: ج ٥ ص ١٩٦ وج ٢ ص ٢٣٨.

(٢) المناقب لابن شهر اشوب: ج ١ ص ١٧١.

وأخرى: إنه أعطى غلاماً وزوجته، وابنته، ومائتي دينار.

وثالثة: اشتراه بسبع أواق.

ورابعة: بتسع.

وخامسة: بخمس.

وسادسة: برطل من ذهب.

وسابعة: إنه اشتراه بعبده قسطاس، الذي كان صاحب عشرة آلاف دينار، وجوارٍ، وغلمان، ومواش.

وثامنة: ببردة، وعشر أواق من فضة، إلى غير ذلك من وجوه الإختلاف والتناقض[1].

وثالثاً: إنهم يقولون: إن قوله تعالى: ﴿فأما من أعطى واتقى. وصدّق بالحسنى. فسنيسّره لليسرى﴾[2] نزل في أبي بكر بهذه المناسبة[3].

ونقول:

١ ـ لقد رد الإسكافي على ذلك: بأن هناك من يقول: إن هذه الآية نزلت في مصعب بن عمير[4].

---

(١) راجع ما تقدم في: السيرة الحلبية: ج ١ ص ٢٩٨/٢٩٩، وقاموس الرجال: ج ١ ص ٢١٦، وسير أعلام النبلاء: ج ١ ص ٣٥٣، والسيرة النبوية لابن هشام: ج ١ ص ٣٤٠، وحلية الأولياء: ج ١ ص ١٤٨، وغير ذلك كثير.

(٢) سورة الليل ٥ ـ ٧.

(٣) الدر المنثور ج ٦ ص ٣٥٨ ـ ٣٩٠ عن عدد من المصادر والسيرة الحلبية ج ١ ص ٢٩٩، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٧٣ عن الجاحظ والعثمانية ص ٣٥.

(٤) شرح النهج ج ١٣ ص ٢٧٣.

ويروي الشيعة: أن الآية نزلت في علي «عليه السلام».

ويورد الحلبي عليهم: بأن علياً كان للنبي «صلى الله عليه وآله وسلم» عليه نعمة تُجزى، وهي تربيته له، والآية تقول: ﴿**وما لأحد عنده من نعمة تجزى**﴾ وبمثل ذلك أورد الرازي عليهم أيضاً[1].

ولكن قد فات الرازي والحلبي: أن المقصود هو أن هذا المال الذي ينفقه لا يريد أن يجازي بانفاقه له نعمة من أحد عليه، وإنما ينفقه لوجه الله، ولوجه الله فقط.

لا أنه تعالى يريد وصف الأتقى بأنه ليس لأحد عليه نعمة.

٢ - قد ورد: عن ابن عباس وغيره، وحتى عن النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» نفسه، تفسيرها بمعنى عام لا يختص بأحد فراجع كتب التفسير للاطلاع على ذلك.

٣ - وأخرج ابن أبي حاتم ما ملخصه: أن هذه السورة قد نزلت في رجل (هو سمرة بن جندب) الذي كان له نخلة فرعها في دار رجل، فكان إذا جاء ليأخذ عنها الثمر، وصعد عليها ربما تقع تمرة، فيأخذها صبيان الفقير؛ فينزل من نخلته؛ فيأخذ الثمرة من أيديهم، وإن وجدها في فم أحدهم أدخل إصبعه، حتى يخرج التمرة من فيه؛ فشكاه الفقير إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم»، ثم لقي الرسول صاحب النخلة؛ فطلب منه أن يعطيه النخلة وله مثلها في الجنة، فقال. لقد أعطيت، وإن لي لنخلاً كثيراً؛ وما فيه نخل أعجب إلي ثمرة منها.

فسمع رجل ما دار بين النبي وبينه؛ فجاء إلى الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» فقال: أعطني ما أعطيت الرجل إن أنا أخذتها، قال: نعم، فذهب الرجل، ولقي صاحب النخلة، وفاوضه واشتراها منه بأربعين نخلة. ثم ذهب إلى النبي، فوهبها له، فذهب رسول الله «صلى الله عليه

---

(١) السيرة الحلبية ج ١ ص ٢٩٩.

وآله وسلم» إلى صاحب الدار، فقال: النخلة لـك ولعيالـك، فأنـزل الله: والليل إذا يغشى إلى آخر السورة[١].

ولأجل هذا نجـد السيوطي يقـول عن: «سورة الليـل: الأشهر أنهـا مكية؛ وقيل: مدنية لما ورد في سبب نزولها من قصة النخلة، كما أخرجناه في اسباب النزول»[٢].

وهذه القضية هي المنـاسبة لـلآيات؛ لأنهـا تذكـر أن بعضهم أعطى واتقى، وبعضهم بخل واستغنى.

إلا أن يكونوا ـ والعيـاذ بالله ـ يقصـدون بمن بخل، النبي «صلى الله عليـه وآله وسلم» نفسـه. مع أن فـرض عدم مـال له ينـافي صـدق البخـل عليه. ويشير إلى عدم المال عنده قولهم: إنه «صلى الله عليه وآلـه وسلم» هو الذي قال: لو كان عنده مال لاشترى بلالاً.

أو يقصدون بمن بخل، العبـاس، الذي تقـول الروايـات: إنه ذهب فاشترى بلالاً، فأرسله إلى أبي بكر، فأعتقه.

٤ ـ لسوف يأتي إن شاء الله في حديث الغار، قول عـائشة: إنـه لم ينـزل في آل أبي بكـر شيء من القـرآن، إلا أن الله أنـزل عـذرهـا. يعني الآيات المرتبطة بالإفك، والتي هي في سورة النـور. وحتى عذرهـا هذا؛ فإنه لم ينزل فيها، كما حققناه في كتابنا: حديث الإفك فراجع.

ورابعاً: لم نفهم معنى قوله «صلى الله عليه وآلـه وسلم» إنه لـو كان عنده مال لاشترى بلالاً، وكيف نوفق بين هذا وبين قـولهم: إنه «صلى الله

---

(١) الدر المنثور ج ٦ ص ٣٥٧ عن ابن ابي حاتم عن ابن عباس، وتفسير البرهان ج ٤ ص ٤٧٠ عن علي بن ابراهيم، باختلاف مع ما عن الدر المنثور. وستأتي بقية المصادر في حرب أحد في فصل: قبل نشوب الحرب، حين الكلام حول إرجاع الصغار، والريب فيما ينقل عن سمرة.

(٢) الإتقان: ج ١ ص ١٤.

عليه وآله وسلم» طلب من أبي بكر الشركة في بلال فأخبره أنه اعتقه[١]؟!.

ثم أو ليست أموال خديجة تحت تصرفه «صلى الله عليه وآله وسلم»؟! ألم يكن هو الذي ينفق على المسلمين في مكة، كما قالت أسماء بنت عميس لعمر حينما عيّرها بأنها لا هجرة لها، حيث قالت له: إنه ومن معه من المسلمين كانوا مع رسول الله يطعم جائعهم، ويعلّم جاهلهم؟!![٢]. وستأتي هذه القضية في موضعها إن شاء الله.

واحتمال أن تكون قصة بلال في أواخر سني ما قبل الهجرة، لا يقبل به المؤرخون؛ فإن النووي يذكر: أنه أسلم أول النبوة، وهو من أول من أظهر اسلامه[٣].

إلا أن يقال: إن إسلامه، وإن كان متقدماً، لكن شراءه وعتقه يمكن أن يتأخرا لعدة سنوات.

هذا كله عدا عما تذكره بعض الروايات من أن العباس هو الذي ذهب فاشتراه، ثم أرسله إلى أبي بكر فأعتقه[٤]! وروايات أخرى تقول: بل اشتراه نفس أبي بكر مباشرة، وأعتقه.

وفي بعض الروايات: أنه لما توفي رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» قال بلال لأبي بكر: إن كنت إنما اشتريتني لنفسك فأمسكني، وإن

---

(١) طبقات ابن سعد: ج ٣ ص ١٦٥.

(٢) تقدمت من المصادر لذلك في الجزء السابق من هذا الكتاب في آخر فصل: بحوث تسبق السيرة.

(٣) تهذيب الأسماء واللغات: ج ١ ص ١٣٦.

(٤) السيرة النبوية لدحلان: ج ١ ص ١٢٦، والسيرة الحلبية: ج ١ ص ٢٩٩، وراجع: المصنف: ج ١ ص ٢٣٤ وغيره.

كنت إنما اشتريتني لله فذرني[١].

وهذا يشير إلى أنه لم يكن قد أعتقه حتى وفاته «صلى الله عليه وآلـه وسلم»!!.

وبالنسبة لشراء العباس له؛ فإن العباس إن كان قد اشتـراه لنفسه، فلماذا لم يعتقه هو نفسه؟ وإن كـان إنما اشتـراه لأبي بكر فـلا ندري: متى كـان العباس وكيـلاً لأبي بكر؟ ومتى كـان العباس يهتم بـأمور كهـذه، وهو الذي لم يسلم إلا عام الفتح، أو في بدر، كما يقولون؟.

وحـاول بعضهم أن يدعي: أن العبـاس فـاوض أميـة بن خلف، ثم جاء أبو بكر فاشتراه[٢]! وهذا أعجب!! وما عشت أراك الدهر عجباً!!.

وأيضاً، فإن حالة أبي بكـر الإقتصاديـة لم تكن تسمح لـه بأن يـدفع تلك المئـات من الدنـانير، فضـلاً عن أن يكون أحـد مواليـه يملك عشـرة آلاف دينـار، وجوار، ومـواش، وغير ذلـك، لـو فـرض أن العـرب كـانـوا يملّكون عبيدهم الأموال.

حيث إن أبا بكر لم يكن تـاجراً، وإنمـا كان معلّمـا، فمن أين تأتيـه تلك الآلاف أو حتى المئـات من الدراهم والـدنانيـر لشراء سبعـة أو تسعـة وإعتاقهم؟! ولسوف يأتي إن شاءالله البحث عن ثروة أبي بكر حين الكـلام حول قضية الغار. بل لقـد شك البعض في أن يكـون كثير ممن ذكـروا في مواليه شخصية حقيقية أو خيالية، ولا سيما مثل «زنيرة»، التي قال السهيلي عنها: «ولا تعرف زنيرة في النساء[٣]».

---

(١) طبقات ابن سعد: ج ٣ ص ١٧٠.

(٢) السيرة النبوية لدحلان: ج ١ ص ١٢٦، والسيرة الحلبية: ج ١ ص ٢٩٩، وراجع المصنف للصنعاني ج ١ ص ٢٣٤، وغيره.

(٣) الروض الانف ج ٢ ص ٧٨.

ويقول العلامة السيد الحسني: «إن قريشاً كانت تعذب من آمن؛ من أجل أن لا ينتشر الإسلام، وكانت تودّ أن تبذل لمحمد كل غال ونفيس، ليتراجع عما جاء به، ودعا إليه؛ فكيف تتنازل قريش عن ملكيتهم لأبي بكر، وتترك تعذيبهم بهذه السهولة[1]؟! .»

إلا أن يقال: إن حبها للمال، ثم اليأس من محمد «صلى الله عليه وآله وسلم» هو الذي يدفعها إلى ذلك كما يقوله البعض.

هل عذب المشركون أبا بكر؟!

هذا ويذكرون: أن أبا بكر قد تعرض للعذاب في سبيل الإسلام حيث إن عمر بن عثمان أخذه وقرنه مع طلحة بن عبيد الله التيمي في حبل حين اسلما، وعذبهما نوفل بن خويلد، وفتنهما عن دينهما، فلذلك سمي أبو بكر وطلحة بـ «القرينين».

ويرى البعض أن الذي قرنهما وعذبهما هو نوفل فقط، وليس لعمر بن عثمان ذكر في شيء[2].

ونحن نسجل هنا ما يلي:

١ ـ إنهم يقولون: إن أبا بكر قد منعه الله بقومه[3]، وهذا يتناقض

---

(١) سيرة المصطفى ص ١٤٩.

(٢) راجع في ذلك: العثمانية للجاحظ ص ٢٧/٢٨، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٥٣، وسيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٠١، ونسب قريش لمصعب الزبيري ص ٢٣٠، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٢٩، والبيهقي، ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣٦٩ والبدء والتاريخ ج ٥ ص ٨٢.

(٣) البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٨، ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ٢٨٤، وصححه هو والذهبي في تلخيصه بهامشه، وحلية الاولياء ج ١ ص ١٤٩، والاستيعاب ج ١ ص ١٤١ وأحمد، وابن ماجة، والسيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ١٢٦، والسيرة =

تماماً مع قولهم: إنه قد عذب. كما أنه يناقض قوله الآتي لابن الدّغنّة: إن قومه قد أخرجوه.

٢ ـ إنه يظهر من مراجعة كتب السيرة: أن كل قبيلة كانت تتولى تعذيب من يدخل في الاسلام منها، ولم يكن منهم من يجرؤ على تعذيب من كان من قبيلة أخرى، كما سنرى.

٣ ـ لقد قال الأسكافي: «إنا لا نعلم: أن العذاب كان واقعاً إلا بعبد أو عسيف. (وهو الأجير)، ولمن لا عشيرة له تمنعه[1]».

مع أنهم يقولون: إن أبا بكر كان رئيساً متبعاً، وكبيراً مطاعاً[2] ينتظره عظماء قريش ولا يقطعون أمراً دونه، حتى يأتيهم ليبتّوا في أمر محمد صلى الله عليه وآله، (كما تقدم في حديث إسلام أبي بكر). وعلى حسب تعبيراتهم: كان ذا مكانة عليّة، وصدراً معظماً، ورئيساً في قريش مكرماً[3] فكيف يعذب أبو بكر من قبل جماعة ليسوا من قبيلته؟ وكيف يترك قومه رئيسهم، وصاحب مجدهم الباذخ؟ يتعرض للمهانة من قبل هؤلاء؟ .

وعلى حد تعبير ابن هشام وغيره: كان «مآلفاً لقومه، محبباً، سهلاً. إلى أن قال: وكان رجال قومه يأتونه، ويألفونه لغير واحد من الأمر»[4].

وعلى حد التعبير المزعوم لابن الدغنة: «لا يخرج مثله. أتخرجون رجلاً يكسب المعدوم، ويصل الرحم، ويحمل الكل، ويقري الضيف،

= النبوية لابن كثير ج ١ ص ٤٣٦ وعن كنز العمال ج ٧ ص ١٤ عن ابن أبي شيبة، والطبقات الكبرى لابن سعد ط صادر ج ٣ ص ٢٣٣.

(١) شرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٥٥.

(٢) راجع: شرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٥٥، والسيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ١٢٣، والسيرة الحلبية ج ١ ص ٢٧٣.

(٣) السيرة النبوية لابن كثير ج ١ ص ٤٣٣، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٢٦.

(٤) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٦٧ والسيرة النبوية لابن كثير ص ٤٣٧.

ويعين على نوائب الحق؟[١]».

ويلاحظ: أن هذه الكلمات هي ـ تقريباً ـ نفس الكلمات التي تنسب إلى خديجة في وصف النبي صلى الله عليه وآله حين بعثته، قالها إبن الدغنة حين هجرة أبي بكر إلى الحبشة ـ وسيأتي عدم صحتها ـ فاقرأ، واسمع، واعجب ما بدالك!!

ملاحظة: هل كان أبو بكر رئيسا؟!:

إننا إنما ذكرنا هذا الذي سبق آنفاً، لبيان تناقض كلماتهم، إذ لو صح هذا لم يمكن أن يصح ذاك، وإلا فنحن نشك في أن يكون أبو بكر رئيساً، معظماً، وكبيراً مطاعاً، ويدل على ذلك:

١ ـ إن أبا بكر حج، ومعه أبو سفيان، فرفع صوته عليه، فقال أبو قحافة: إخفض صوتك يا أبا بكر عن ابن حرب، فقال أبو بكر: يا أبا قحافة، إن الله بنىٰ في الإسلام بيوتاً كانت غير مبنية، وهدم بيوتاً كانت في الجاهلية مبنية، وبيت أبي سفيان مما هدم[٢].

٢ ـ وحين بويع أبو بكر نادى أبو سفيان: «غلبكم على هذا الأمر أذل أهل بيت في قريش»،

وفي نص الحاكم: «ما بال هذا الأمر في أقل قريش قلة، وأذلها ذلة، يعني أبا بكر[٣]».

---

(١) السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٠١. وسيأتي العديد من المصادر لذلك حين الكلام عن هجرة أبي بكر ان شاء الله.

(٢) راجع: النزاع والتخاصم للمقريزي ص ١٩ والغدير ج ٣ ص ٣٥٣ عنه.

(٣) راجع المصنف لعبد الرزاق ج ٥ ص ٤٥١، ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ٧٨، عن ابن عساكر، وأبي أحمد الدهقان، وراجع الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٣٢٦، وتاريخ الطبري ج ٢ ص ٩٤٤. والنزاع والتخاصم: ص ١٩، وكنز العمال: ج ٥ =

وعلى حد تعبير البلاذري: إن أبا سفيان جاء إلى علي «عليه السلام» فقال: يا علي، بايعتم رجلاً من أذل قبيلة من قريش؟[١].

٣ ـ ويقول عوف بن عطية:

وأما الألأمان بنو عدي	وتيم حين تزدحم الأمور
فلا تشهد بهم فتيان حرب	ولكن أدن من حلب وعير
إذا رهنوا رماحَهُمُ بزبد	فان رماح تيم لا تضير[٢].

ملاحظة أخيرة:

وأخيراً، فإن ما يذكرونه: من أن أبا بكر هو أول من أظهر إسلامه، فمنعه قومه. أو أنه ضُرب حتى كاد يموت[٣].

يكذبه الكثير مما قدمناه، ونزيد هنا: أن النبي كان أول من أعلن الدعوة. وليس أبا بكر.

هذا عدا عن أنهم يذكرون تارة: أن ابن مسعود هو أول من أعلن، وأخرى عمر بن الخطاب، وهنا يذكرون: أبا بكر.

كما أن الرواية تنص على أن إظهار أبي بكر للإسلام قد كان حينما كان المسلمون ثمانية وثلاثين رجلاً والنبي صلى الله عليه وآله في دار الأرقم.

= ص ٣٨٣ و٣٨٥، عن ابن عساكر وعن أبي أحمد الدهقان في حديثه.

(١) أنساب الأشراف للبلاذري (قسم حياة النبي «صلى الله عليه وآله» ص ٥٨٨.

(٢) طبقات الشعراء لابن سلام ص ٣٨.

(٣) السيرة النبوية لابن كثير ج ١ ص ٤٣٩/٤٤٩ والبداية والنهاية ج ٣ ص ٣٠، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٢٩٤ والغدير ج ٧ ص ٣٢٢ عنه وعن الرياض النضرة ج ١ ص ٤٦.

وقد تقدم: أن أبا بكر لم يكن قد أسلم بعد. لأنه إنما أسلم بعد أكثر من خمسين رجلاً.

إلا أن يكون المقصرد هو بلوغ المسلمين الذين أسلموا بعد الهجرة إلى الحبشة ثمانية وثلاثين رجلاً.

لكن ذلك لا يتلاءم مع تصريح الرواية بأن ذلك قد كان يوم إسلام حمزة، حينما كان النبي صلى الله عليه وآله في دار الأرقم.

أول شهيد في الإسلام من آل ياسر:

وعلى كل حال؛ فلقد عُذّب آل ياسر أشد العذاب، واستشهدت سميّة أم عمار على يد فرعون قريش أبي جهل لعنه الله، فكانت أول شهيدة في الإسلام[١] ثم استشهد ياسر رحمه الله تعالى.

ولكنهم ذكروا: أن أول قتيل في الإسلام هو الحارث بن أبي هالة، حيث إنه لما أُمر رسول الله صلى الله عليه وآله أن يصدع بما يؤمر، قام صلى الله عليه وآله في المسجد، فقال: قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا؛ فوثبت إليه قريش؛ فأتى الصريخ أهله؛ فكان أول من أتاه الحارث هذا؛ فضرب في القوم فصرفهم عنه وعطفوا عليه حتى قتلوه[٢].

وهذا لا يصح؛ لما تقدم؛ من ان الله قد منع النبي صلى الله عليه وآله بأبي طالب وقومه، ولم يجرؤا على أن ينالوه بسوء في شعره وبشره.

---

(١) الاستيعاب هامش الاصابة ج ٤ ص ٣٣١ و ٣٣٠ و ٣٣٣، والاصابة ج ٤ ص ٣٣٥ و ٣٣٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج ١ ص ٤٩٥، واسد الغابة ج ٥ ص ٤٨١، وتاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢٨.

(٢) نور القبس ص ٢٧٥ عن الشرقي ابن القطامي، والاصابة ج ١ ص ٢٩٣ عن الكلبي، وابن حزم وعن العسكري والاوائل ج ١ ص ٣١٢/٣١١.

وكذلك الحال بالنسبة إلى من أسلم من بني هاشم، حيث لم يعذب جعفر، ولا علي ولا غيرهما، وذلك لمكان أبي طالب رحمه الله، كما قلنا.

وأيضا فإن كلمة المؤرخين تكاد تكون متفقة على أن أول شهيد في الاسلام كان سمية وزوجها.

أضف إلى ذلك: أن كل ما يقال في كيفية إعلانه بالدعوة يتنافى ويتناقض مع ما ذكروه هنا (راجع ما تقدم تحت عنوان: فاصدع بما تؤمر).

والذي يمكن أن نفهمه: هو أنه ربما يكون الهدف من وضع هذه القضية هو أن يثبتوا أن خديجة قد تزوجت قبل النبي صلى الله عليه وآله برجل أو أكثر، وولد لها منهما. وقد تقدم ما يوجب الشك في ذلك، حين الكلام على زواجها بالرسول الاعظم صلى الله عليه وآله...

عمار بن ياسر:

وعذب عمار أيضاً عذابا شديداً من قبل بني مخزوم، حتى أُكره على التفوُّه بما يعجب المشركين، فتركوه؛ فأتى النبي «صلى الله عليه وآله» باكياً، وقال له: لم أُترك يا رسول الله، وقد أكرهوني حتى نلت منك، وذكرت آلهتهم بخير.

فقال له النبي «صلى الله عليه وآله»: كيف تجد قلبك يا عمار؟

قال: إنه مطمئن بالايمان يا رسول الله

قال: لا عليك، فإن عادوا إليك فعد لما يريدون؛ فقد أنزّل الله فيك: «إلا من أُكره وقلبه مطمئن بالايمان[1]».

---

(١) النحل/١٠٦ راجع: حلية الاولياء ج ١ ص ١٤٠ وتفسير الطبري ج ٤ ص ١١٢ وتفسير النيسابوري بهامشه وغير ذلك كثير جداً.

التقية في الكتاب والسنة:

ونقول:

١ -إن ما جرى لعمار ونزول الآية فيه دليل على مشروعية التقية، إذا خاف الإنسان على نفسه وماله.

وقد صرحوا بجواز التقية وإظهار الموالاة حتى للكفار، إذا خيف على النفس التلف، أو تلف بعض الأعضاء، أو خيف من ضرر كبير يلحق الإنسان في نفسه[١].

بل لقد قال محمد بن عقيل: «التقية مما أجمع المسلمون على جوازه، وإن اختلفت تسميتهم لها، فسماها بعضهم بالكذب لأجل الضرورة أو المصلحة، وقد عمل بها الصالحون، فهي من دين المتقين الأبرار. وعكس القول فيها كذب ظاهر»[٢].

٢ - ويدل على ذلك أيضاً قوله تعالى: **﴿ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء، إلا أن تتقوا منهم تقاةً﴾**[٣].

٣ - قال تعالى: **﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم. قالوا: فيم كنتم؟ قالوا: كنا مستضعفين في الأرض.. إلى قوله: واجعل لنا من لدنك نصيراً﴾**.

قال البخاري: «فعذر الله المستضعفين الذين لا يمتنعون من ترك ما أمر الله، والمكره لا يكون إلا مستضعفاً غير ممتنع من فعل ما أمر به». [٤]

---

(١) راجع على سبيل المثال: احكام القرآن للجصاص ج ٢ ص ٩.

(٢) تقوية الايمان ص ٣٨.

(٣) آل عمران/٢٨.

(٤) صحيح البخاري ط الميمنية ج ٤ ص ١٢٨.

ملاحظة:

الآية موجودة كما في سورة النساء الآية ٩٧ ولكن الفقرة الأخيرة غير موجودة فيها ولا في الآيات بعدها لكن البخاري قد ذكرها كذلك. فذكرناها حسبما هي فيه رعايةً لامانة النقل عنه.

٤ ـ وقال تعالى **﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه: أتقتلون رجلاً ان يقول ربي الله﴾**[1].

والقول بأن هذه الآية قد نسخت لا مثبت له، بل لقد روي عن الامام الباقر عليه السلام ما يدل على خلاف ذلك، فقد روى الكليني عن عبدالله بن سليمان، قال: «سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول ـ وعنده رجل من أهل البصرة، يقال له: عثمان الأعمى، وهو يقول: إن الحسن البصري يزعم: أن الذين يكتمون العلم يؤذي ريح بطونهم أهل النار. فقال ابو جعفر عليه السلام: فهلك إذاً مؤمن من آل فرعون، ما زال العلم مكتوماً منذ بعث الله نوحاً عليه السلام؛ فليذهب الحسن يميناً وشمالاً؛ فوالله ما يوجد العلم إلا هاهنا[2]».

فاستدلال الإمام بالآية يدل على أن عدم كونها منسوخة كان متسالماً عليه لدى العلماء آنئذٍ.

وأما من السنة، فنذكر:

١ ـ عن أبي ذر، عنه صلى الله عليه وآله: ستكون عليكم أئمة يميتون الصلاة، فان أدركتموهم فصلوا الصلاة لوقتها، واجعلوا صلاتكم

---

(١) غافر/٢٨.

(٢) الكافي (الاصول) ج ٢ ص ٤٠ ـ ٤١ منشورات المكتبة الاسلامية، و الوسائل ج ١٨ ص ٨.

معهم نافلة[١] وثمة حديث آخر بهذا المعنى فليراجع[٢].

٢ ـ ما جاء: أن مسيلمة الكذاب أتي برجلين، فقال لأحدهما: تعلم أني رسول الله؟ قال بل محمد رسول الله. فقتله. وقال للآخر ذلك، فقال: أنت ومحمد رسول الله؛ فخلى سبيله. فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: أما الأول فمضى على عزمه ويقينه. وأما الآخر، فأخذ برخصة الله فلا تبعة عليه[٣].

٣ ـ ما رواه السهمي عنه صلى الله عليه وآله: لا دين لمن لا ثقة له[٤]. وهو تصحيف على الظاهر، والصحيح: «لا تقية» كما يدل عليه ما رواه شيعة أهل البيت عنهم عليهم السلام[٥].

٤ ـ قصة عمار بن ياسر المعروفة، وقول النبي صلى الله عليه وآله له: إن عادوا فعد. وهي مروية في مختلف كتب الحديث والتفسير. وفي هذه المناسبة نزل قوله تعالى: «من كفر بالله بعد إيمانه، إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان»[٦].

٥ ـ استعمال النبي صلى الله عليه وآله نفسه للتقية، حيث بقي ثلاث أو خمس سنوات يدعو إلى الله سرا، وهذا مجمع عليه، ولا يرتاب فيه أحد، وإن كنا قد ذكرنا: أن الحقيقة ليست هي ذلك.

---

(١) مسند أحمد ج ٥ ص ١٥٩.

(٢) مسند أحمد ج ٥ ص ١٦٠ و ١٦٨.

(٣) محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني: ج ٤ ص ٤٠٨ ـ ٤٠٩ واحكام القرآن للجصاص ج ٢ ص ١٠ وسعد السعود ١٣٧.

(٤) تاريخ جرجان: ص ٢٠١.

(٥) راجع: الكافي (الأصول): ج ٢ ص ٢١٧ ط الآخندي، ووسائل الشيعة: ج ١١ ص ٤٦٥. وراجع: ميزان الحكمة: ج ١٠ ص ٦٦٦ و ٦٦٧.

(٦) النحل/١٠٦. وراجع: فتح الباري: ج ١٢ ص ٢٧٧ ـ ٢٧٨.

٦ ـ إن الاسلام يخير الكفار في ظروف معينة بين الإسلام والجزية، والسيف. وواضح: أن ذلك إغراء بالتقية، لأن دخولهم في الإسلام في ظروف كهذه لن يكون إلا لحقن دمائهم، وليس عن قناعة راسخة.

وهذا نظير قبول المنافقين في المجتمع الإسلامي، وتألفهم على الإسلام، على أمل أن يتفاعلوا مع هذا الدين، ويستقر الإيمان في قلوبهم.

٧ ـ وحين فتح خيبر قال حجاج بن علاط للنبي «صلى الله عليه وآله»: ان لي بمكة مالاً وان لي أهلاً واني أريد أن آتيهم فانا في حلّ إن أنا نلت منك وقلت شيئاً؟! فاذن له رسول الله أن يقول ما شاء[١].

وأما التقية في التاريخ:

فنذكر على سبيل المثال:

١ ـ إن رجلاً سأل ابن عمر فقال: «أدفع الزكاة إلى الأمراء؟ فقال ابن عمر: ضعها في الفقراء والمساكين. قال: فقال لي الحسن: ألم أقل لك: إن ابن عمر إذا أمن الرجل قال: ضعها في الفقراء والمساكين؟؟[٢]».

٢ ـ وقد ادّعوا: أن أنس بن مالك قد روى حديث القنوت قبل الركوع تقية من بعض أمراء عصره[٣].

٣ ـ وحين شاور العباس بن الحسن كتّابه وخواصه فيمن يولّون الخلافة بعد موت المكتفي، أشار عليه ابن الفرات بأن ينفرد بكل واحد منهم فيعرف رأيه وما عنده «فأما أن يقول كل واحد رأيه بحضرة الباقين

---

(١) دراسات في الكافي والصحيح ص ٣٣٨ عن السيرة الحلبية.

(٢) المصنف للصنعاني ج ٤ ص ٤٨.

(٣) راجع: المحلّىٰ ج ٤ ص ١٤١.

فربما كان عنده ما يسلك سبيل التقية في كتمانه وطيّه.

قال: صدقت. ثم فعل ما أشار به عليه[١]».

٤ ـ تقية النبي «صلى الله عليه وآله» والحمزة في بيعة العقبة. وستأتي نصوصها في فصل مستقل.

٥ ـ عن أيوب قال: ما سألت الحسن عن شيء قط ما سألته عنها (أي عن الزكاة). قال: فيقول لي مرة: أدّها إليهم. ويقول لي مرة: لا تؤدّها إليهم[٢] أي للأمراء.

إلا أن يقال: إن هذا التردد من الحسن، إنما هو لأجل عدم وضوح الحكم الشرعي له، جوازاً أو منعاً.

٦ ـ وفي خطبة لمحمد بن الحنفية: «لا تفارق الأمة، اتق هؤلاء القوم (يعني الامويين) بتقيتهم. ولا تقاتل معهم. قال: قلت: وما تقيتهم؟ قال: تحضرهم وجهك عند دعوتهم؛ فيدفع الله بذلك عنك، وعن دمك ودينك وتصيب من مال الله الذي انت أحق به.[٣]»

٧ ـ استفتي مالك بالخروج مع محمد بن عبدالله بن الحسن، وقيل له: في اعناقنا بيعة لأبي جعفر المنصور. فقال: إنما بايعتم مكرهين. وليس على مكره يمين[٤].

٨ ـ ونقل القرطبي، عن الشافعي، والكوفيين: القول بالتقية عند الخوف من القتل، وقال: «أجمع أهل العلم على ذلك[٥]».

---

(١) الوزراء للصابي ص ١٣٠.

(٢) المصدر السابق.

(٣) طبقات ابن سعد ج ٥ ص ٧٠.

(٤) مقاتل الطالبين ص٢٨٣، والطبري ط أوربا ج ٣ ص ٢٠٠.

(٥) تفسير القرطبي ج ١٠ ص ١٨١.

٩ ـ عن حذيفة قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: احصوا لي كم يلفظ الإسلام. قال: فقلنا: يا رسول الله، أتخاف علينا ونحن ما بين الستمائة إلى السبعمائة؟ قال: إنكم لا تدرون لعلكم أن تبتلوا.

قال: فابتلينا حتى جعل الرجل منا لا يصلي إلا سراً[1].

وحذيفة قد مات بعد البيعة لعلي «عليه السلام» باربعين يوماً، فهذا النص يدل على أن الناس المؤمنين كانوا قبل ذلك يعيشون في ضغط شديد، وأن الذين يسيطيرون على الشارع هم الناس الذين كانوا يحقدون على الدين والمتدينين، ويهزؤون ويحاربون كل شيء يمت إلى الدين بصلة.

١٠ ـ لقد اتقى عامة أهل الحديث، وكبار العلماء واجابوا إلى القول بخلق القرآن، وهم يعتقدون بقدمه، ولم يمتنع منهم الا أحمد بن حنبل، ومحمد بن نوح[2].

وحتى أحمد؛ فانه قد تاقى في ذلك، فكان إذا وصل إلى المخنق قال: ليس أنا بمتكلم. كما أنه حين قال له الوالي: ما تقول في القرآن أجاب: هو كلام الله، قال: أمخلوق هو؟ قال: هو كلام الله لا أزيد عليها[3].

بل قال **اليعقوبي**: إنه لما سئل أحمد عن ذلك قال: «أنا رجل علمت علماً ولم أعلم فيه بهذا. وبعد المناظرة وضربه عدة سياط، عاد

---

(١) صحيح مسلم: ج ١ ص ٩١، وصحيح البخاري ط سنة ١٣٠٩ هـ.ق:ج ٢ ص ١١٦ ومسند أحمد ج ٥ ص ٣٨٤.

(٢) تجارب الامم المطبوع مع العيون والحدائق ص ٤٦٥.

(٣) تاريخ الطبري ج ٧ ص ٢٠١ وراجع: آثار الجاحظ ص ٢٧٤، ومذكرات الرماني ص ٤٧.

اليه إسحاق بن إبراهيم فناظره، قال له: فيبقى عليك شيء لم تعلمه

قال: بقي علي

قال: فهذا مما لم تعلمه؛ وقد علّمكه أمير المؤمنين.

قال: فإني أقول بقول أمير المؤمنين.

قال: في خلق القرآن؟ قال: في خلق القرآن. قال: فأشهد عليه، وخلع عليه، وأطلقه الى منزله[1].

مع أنه هو نفسه يقول: إن من قال: القرآن كلام الله، ووقف؛ فهو من الواقفة الملعونة[2].

وقد عمل ابن الزبير بالتقية في مواجهة الخوارج[3].

واتقى ايضاً الشعبي ومطرف بن عبدالله من الحجاج.

واتقى عرباض بن سارية ومؤمن الطاق من الخوارج وصعصعة بن صوحان من معاوية[4].

وممن استعمل التقية في قضية خلق القرآن إسماعيل بن حماد، وابن المديني، وكان إبن المديني يلزم مجلس القاضي أبي دؤاد المعتزلي، ويقتدي به في الصلاة، ويجانب أحمد بن حنبل وأصحابه[5].

١١ - ويقولون: إن إبراهيم عليه السلام عندما سأله ذلك الحاكم

---

(١) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص ٤٧٢.

(٢) بحوث مع أهل السنة والسلفية ص ١٨٣ و ١٨٤ عن: الرد على الجهمية لابن حنبل في كتاب الدومي ص ٨٢.

(٣) راجع العقدالفريد لإبن عبد ربه ج ٢ ص ٣٩٣

(٤) العقدالفريد ج ٢ ص ٤٦٤ ـ ٤٦٥.

(٥) راجع لسان الميزان ج ١ ص ٣٣٩ ـ ٤٠٠ متناً وهامشاً.

الجبار عن امرأته قال: «هذه أختي» وذلك في الله[١] فراجع.

١٢ ـ وعن عبيد الله بن معاذ العنبري، عن أبيه قال: «كتبت إلى شعبة أسأله عن أبي شيبة، قاضي واسط، فكتب إلي: لا تكتب عنه، ومزّق كتابي[٢]».

١٣ ـ وقد عمل صعصعة بالتقية في خطبته في قصة خروج المستورد أيام معاوية[٣].

١٤ ـ وفي غارة بسر بن أبي أرطاة على المدينة، وشكوى جابر بن عبدالله الأنصاري لأم سلمة زوج النبي: أنه خشي أن يقتل، وهذه بيعة ضلال، قالت: إذن، فبايع؛ فإن التقية حملت أصحاب الكهف على أن كانوا يلبسون الصلب ويحضرون الأعياد مع قومهم[٤].

١٥ ـ وقد خطب الإمام الحسين عليه السلام مؤبناً أخاه الحسن السبط عليه السلام حينما توفي، فكان مما تمدّحه به: انه قد آثر الله عند مداحض الباطل، في مكان التقية بحسن الروية[٥].

١٦ ـ والإمام الحسين عليه السلام لم يستجب لأهل الكوفة حينما طلبوا منه القيام ضد معاوية بعد سم الإمام الحسن عليه السلام.

وله موقف آخر عليه السلام يؤيد فيه موقف أخيه القاضي بعدم الثورة

---

(١) صحيح البخاري ط الميمنية: ج ٤ ص ١٢٩ ومسند احمد ج ٢ ص ٤٠٣ وأخرجه ابو داود والترمذي، وقصص الانبياء للنجار: ص ٩٨ ـ ٩٩ ومسند ابي يعلى ج ١٠ ص ٤٢٧.

(٢) صحيح مسلم: ج ١ ص ١٨ ومعرفة علوم الحديث ص ١٣٦.

(٣) راجع: بهج الصباغة: ج ٧ ص ١٢١.

(٤) تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ١٩٨.

(٥) راجع: تهذيب تاريخ دمشق: ج ٤ ص ٢٣٠ وعيون الأخبار لابن قتيبة: ج ٢ ص ٣١٤، وحياة الإمام الحسن «عليه السلام» للقرشي: ج١ ص ٤٣٩.

على معاوية ما دام حياً. فراجع[١].

١٧ ـ قال الحسن (البصري): التقية إلى يوم القيامة[٢].

١٨ ـ وقال البخاري: «وقال إبن عباس: في من يكرهه اللصوص، فيطلق، ليس بشيء. وبه قال إبن عمر، وابن الزبير، والشعبي، والحسن»[٣].

١٩ ـ وقال البخاري أيضاً: «يمين الرجل لصاحبه: أنه أخوه، إذا خاف عليه القتل أو نحوه، وكذلك كل مكروه يخاف، فإنه يذب عنه الظالم، ويقاتل دونه ولا يخذله، وإن قاتل دون المظلوم فلا قود عليه ولا قصاص. وإن قيل له: لتشربنّ الخمر، أو لتأكلنّ الميتة، أو لتبيعنّ عبدك، أو تقر بدَيْن، أو تهب هبة أو تحل عقدة، أو لتقتلنّ أباك، أو أخاك في الإسلام وسعه ذلك. . إلى أن قال: قال النخعي: إذا كان المستحلف ظالماً فنيّة الحالف، وإن كان مظلوماً؛ فنية المستحلف»[٤].

ولا بأس بمراجعة الشروح على صحيح البخاري على كتاب الإكراه، ففيها توضيحات ومطالب مفيدة في هذا المجال[٥].

٢٠ ـ حتى المغيرة بن شعبة فإنه يدعي أنه في عيبه علياً يعمل بالتقية فهو يقول لصعصعة: « هذا السلطان قد ظهر، وقد اخذنا باظهار عيبه للناس، فنحن ندع كثيراً مما أمرنا به، ونذكر الشيء الذي لا نجد منه بدّاً

---

(١) راجع: الأخبار الطوال: ص ٢٢٠ و ٢٢١ و ٢٢٢.

(٢) صحيح البخاري: ج ٤ ص ١٢٨/ط الميمنية.

(٣) صحيح البخاري: ج ٤ ص ١٢٨.

(٤) المصدر السابق.

(٥) راجع: عمدة القاري: ج ٢٤ ص ٩٥ ـ ١٠٨، وفتح الباري: ج ١٢ ص ٢٧٧ ـ ٢٨٩، وإرشاد الساري: ج ١٠ ص ٩٣ ـ ١٠٢.

ندفع به هؤلاء القوم عن أنفسنا تقية فإن كنت ذاكراً فضله فاذكره بينك وبين أصحابك وفي منازلكم سراً. . . الخ[١]

٢١ ـ وفي حرب الجمل حمل محمد بن الحنفية على رجل من أهل البصرة، قال: فلما غشيته قال: انا على دين ابي طالب فلما عرفت الذي اراد كففت عنه[٢]

٢٣ ـ ويقول ابن سلام: إن رسول الله صلى الله عليه وآله أمره أن يصلي الصلاة لوقتها ثم يصلي مع الامراء الذين يؤخرون الصلاة نافلة[٣].

٢٤ ـ وقد صرح الخدري بأنه يعمل بالتقية في ما يرتبط بموقفه من علي عليه السلام ليحقن دمه من بني أمية واستدل بآية ادفع بالتي هي أحسن السيئة[٤].

وقد ذكر في الصراط المستقيم للبياضي ج٣ ص ٧٢ ـ ٧٣ موارد عديدة أخرى فراجع.

التقية ضرورة فطرية عقلية دينية اصلاحية:

إن تشريع التقية لهو خير دليل على شمولية الإسلام ومرونته، واتساعه لكل الظروف والأحوال. إذ لو كانت الرسالة جافة وقاسية، ولا تلاحظ الظروف الطارئة، والأحوال العارضة، فلا بد أن تصطدم مع الواقع، وتنهار أمامه، دون أن تتمكن من تجاوزه في حركتها الإصلاحية والتكاملية.

فهو بتشريعه للتقية، إنما يحافظ على الرسالة من خلال حفاظه على

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ١٢.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٥ ص ٦٧.

(٣) تهذيب تاريخ دمشق ج ٦ ص ٢٠٥.

(٤) سليم بن قيس ص ٥٣، مؤسسة البعثة ـ قم ـ ايران.

رائدها، وحافظها، وحاملها في ذلك الظرف العصيب. وخير شاهد على ذلك هو تلك الفترة التي مر بها النبي صلى الله عليه وآله والمسلمون في أول البعثة حيث كانوا يتحاشون فيها الصدام مع المشركين.

وإن المحافظة على حامل الرسالة من خلال مرونة الرسالة، تكون ضرورية جداً حينما لا يكون للتضحية به فائدة، ولا عائدة. إن لم يكن في ذلك ضرر على الرسالة نفسها حينما تفقد جندياً أميناً من جنودها، ربما تكون في وقت مّا بأمس الحاجة إليه.

فكثيراً ما يكون الحفاظ على الإسلام من خلال الحفاظ على جنوده الأبرار الأوفياء، والذين يكونون دائماً على استعداد للتضحية في سبيله كلما اقتضى الأمر ذلك. فالتقية إنما شرعت للحفاظ على هؤلاء. أما الآخرون، الذين لا يفكرون إلا في أنفسهم، فلا ينفعهم تشريع التقية، ولا عدمه.

ومما يدلنا على أن تشريع التقية إنما هو للحفاظ على الرسالة من خلال الحفاظ على جنودها، وليس ذلك نفاقاً، ولا انهزاماً. لأن هؤلاء المخلصين الذين يراد الحفاظ عليهم هم دائماً على استعداد للبذل والعطاء: أن الإمام الحسين عليه السلام الساكت في زمان معاوية هو نفسه الحسين الثائر على يزيد، تحت شعار:

إن كان دين محمد لم يستقم   إلا بقتلي يا سيوف خذيني[1]

فسكوته هناك كان حفاظاً على الدين والحق؛ تماماً كما كانت ثورته هنا حفاظاً على الحق والدين. وقد تكلمنا على هذه النقطة في حلف الفضول.

ولأجل ذلك نجد: أنه إذا توقف الحفاظ على الحق على الفداء والتضحية؛ فإن الإسلام يأمر به، ولا يتسامح مع من يمتنع عنه.

وأيضاً، فلو كان في الإسلام جفاف وقسوة؛ فربما يبعث ذلك

الكثيرين على التخلي عنه، أو بالأحرى على عدم الإقدام عليه. ولسوف يأتي في إسلام وحشي وغيره: أن البعض كان يسلم؛ لأنه يعرف أن محمداً لا يقتل أصحابه.

فمرونة الإسلام هذه هي التي أعطته قوة الدفع هذه، ومكنته من أن يشق طريقه رغم كل التحديات الكبيرة، والمصاعب الخطيرة، التي واجهته عبر التاريخ.

وواضح: أن مرونة الإسلام هذه لا يجوز أن تفسر على أنها نوع من التساهل في الأحكام؛ ليهون على البعض اعتناق الإسلام، بل هي من قبيل الحفاظ على الإسلام والمسلمين، حيث لا ضرر على المبدأ والرسالة. وحيث يكون في عدم التقية هدر للطاقات والإمكانات، حيث لا جدوى من هدرها. وليكن ذلك هو الفرق بين التقية وبين النفاق الذي يحلو للبعض أن ينبز به ـ ظلماً وعدواناً ـ من يعتقد بمشروعية التقية.

وقد رأينا: أنه صلى الله عليه وآله، حينما جاءته بعض القبائل وهي قبيلة ثقيف، وطلبوا منه أن يعطيهم فرصة لعبادة أصنامهم، وأن لا يفرض عليهم الصلاة لأنها صعبة عليهم، وأن لا يكسروا صنمهم بيدهم، نرى أنه صلى الله عليه وآله قبل بهذا الأخير، ورفض الأولين(١).

---

(١) تاريخ الخميس: ج ٢ ص ١٣٥، والسيرة النبوية لدحلان (مطبوع بهامش الحلبية): ج ٣ ص ١١، والكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٢٨٤، والسيرة النبوية لإبن كثير: ج ٤ ص ٥٥، والسيرة النبوية لابن هشام: ج ٤ ص ١٨٤ و ١٨٥، والبداية والنهاية: ج ٥ ص ٣٠، والمواهب اللدنية: ج ١ ص ٢٣٦.

وبهذا يلاحظ: أن عمر بن الخطاب لم يكن موفقاً حين أصر على الاقتصاص من جبلة بن الأيهم الذي دخل في الإسلام جديداً. وكان ملكاً في قومه، ولم يتعرف بعد بعمق على عظمة وخصائص الاسلام ومميزاته الفريدة، إذ قد كان عليه أن يراعي الموقف، ويحل المشكلة بأسلوب مرن آخر.

كما أنهم قد طلبوا منه أن يسمح لهم بالزنا، وشرب الخمر، والربا، وترك الصلاة[١]. نعم فرفض ذلك، ولم يأخذ بنظر الإعتبار أن هذه قبيلة تريد أن تسلم، فيتقوّى بها الإسلام، ويضعف بذلك جانب أعدائه ومناوئيه.

وهي في خلال هذه السنة تكون قد تعرفت على الإسلام وتدربت عليه. نعم، لقد رفض السماح لها بعبادة صنمها، الذي عبدته عشرات الأعوام، ولو لمدة سنة واحدة أيضاً. بل هو يرفضه ولو كان لساعة واحدة، لأنه لا يريد أن يستفيد من أية وسيلة من أجل الوصول إلى أهدافه، لأنه يعتبر الوسيلة جزءاً من الهدف،ومنه تستمد قدسيتها، كما سبق.

ولكنه في مقابل ذلك: لو أساء إليه أحد الناس مثلاً؛ فإنه على استعداد لأن يعفو عنه، ولكن شرط :أن يعرف المعفو عنه أنه قد أذنب، وأن هذا عفو عنه، أما إذا فهم من ذلك مشروعية الأمر الذي ارتكبه، فإن ذلك العفو يكون مرفوضاً جملة وتفصيلاً.

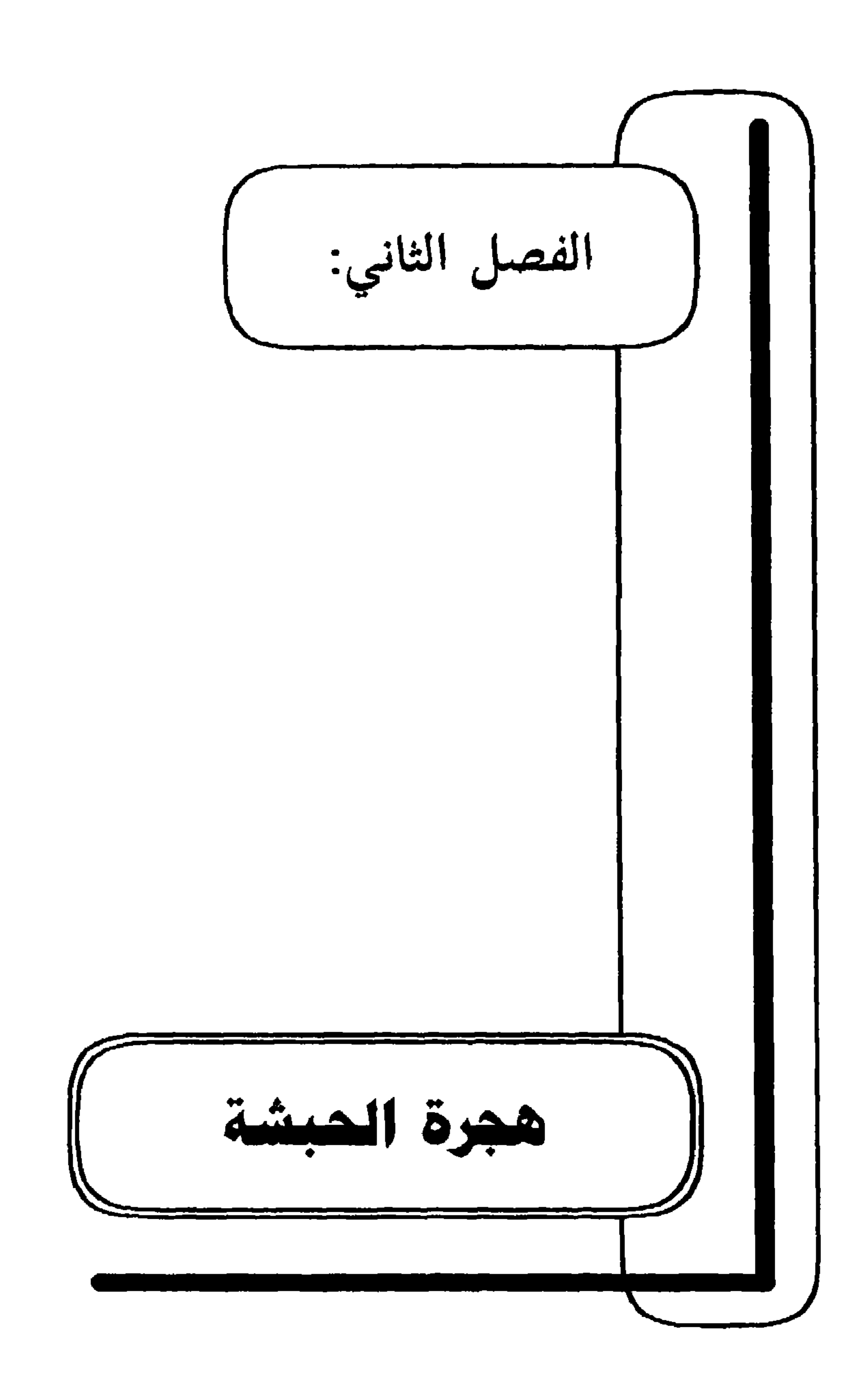
وخلاصة الأمر[٢]: إنه إذا كان المسلم ضعيفاً، فإنه لا مبرر لأن يدخل في صراع عنيف مع الآخرين، ينتهي بالقضاء عليه، أو عليه وعلى عقيدته؛ لان المبدأ لا يستفيد من صراع كهذا، بل ربما يلحق به الضرر. وكذا إذا كان الحفاظ على الحق يحتاج إلى غطاء واقٍ من

---

(١) السير النبوية لدحلان (مطبوع بهامش الحلبية): ج ٣ ص ١١، والمواهب اللدنية: ج ١ ص ٢٣٦، وتاريخ الخميس: ج ٢ ص ١٣٥ و ١٣٦ و ١٣٧. وراجع بالنسبة لترك الصلاة المصادر التالية: الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٢٨٤، وكذا في السيرة النبوية لابن هشام: ج ٤ ص ١٨٥، والسيرة النبوية لابن كثير: ج ٤ ص ٥٦، والبداية والنهاية: ج ٥ ص ٣٠.

(٢) هذه الخلاصة مقتبسة من كلمات للعلامة الجليل السيد محمد حسين فضل الله في: مفاهيم اسلامية عامة الحلقة٨ ص ١٢٧.

الإضطهاد، الذي يحاول القضاء عليه جملة وتفصيلاً، بالأساليب الوحشية التي لا تخضع للفكر، ولا تستجيب لشروط الصراع المبدأي وظروفه. وليكن هذا دليلاً آخر على عظمة الإسلام، وعلى شموليته، وانسجامه مع واقع الحياة، ومع كل ظروفها ومناخاتها.


الفصل الثاني:
هجرة الحبشة

لا بد من حل:

لقد استمرت قريش في تعذيب من يدخل في دين الاسلام ممن لم يكن لهم عشيرة تمنعهم. وكان الإستمرار في هذا الوضع غير ممكن. فقد كان وأصبح لا بد لهؤلاء المعذبين من العثور على موضع أمل لهم، يساعدهم على تحمل المشاق، ومواجهة الصعاب، ويجعلهم أقدر على مقاومة الضغوط التي يتعرضون لها من قبل من رفضوا أن يعترفوا بألوهية وحاكمية فوق ألوهيتهم وحاكميتهم، وآثروا الإستكبار والعناد على الرضوخ والإنقياد.

ومن جهة ثانية: فإن استمرار هذا الوضع الذي يواجهه المسلمون، المليء بالآلام والمشاق، لسوف يقلل من إقبال الناس على الدخول في الإسلام، ما دام أن هذا الدخول لا حصاد له سوى الرعب، والتعذيب والمصائب.

ومن جهة ثالثة: فقد كان لا بد من تسديد ضربة لكبرياء قريش وجبروتها ـ ولو نفسياً ـ لتدرك: أن قضية الدين تتجاوز حدود تصوراتها وقدراتها ـ وأن عليها: أن تفكر بموضوعية وعقلانية أكثر.

فكان أن اختار رسول لله «صلى الله عليه وآله وسلم» للمسلمين الهجرة

إلى الحبشة. وكانت هجرتهم إليها في السنة الخامسة من البعثة.

سر إختيار الحبشة:

وأما عن سر اختيار رسول الله صلى الله عليه وآله الحبشة مهاجراً للمسلمين، فقد أشار اليه صلى الله عليه وآله بقوله: «إن بها ملكاً لا يظلم عنده احد، وهي ارض صدق» و «إنه يحسن الجوار».

وقد كان من الواضح أنه:

١ ـ كان لا بُدَّ لقريش، من أن تبذل محاولاتها لاسترجاع المسلمين، لتبقى هي المهيمنة، وصاحبة الإختيار الأول والأخير في مصير هذا الدين، الذي تراه يتهدد كبرياءها وشركها، وانحرافها.

٢ ـ لقد كان لقريش نفوذ في بلاد الروم والشام، لما كان لها من علاقات تجارية وإقتصادية معها، فالهجرة الى هذه البلاد إذن سوف تسهل على قريش استرجاع المهاجرين، أو على الأقل إلحاق الأذى بهم. ولا سيما إذا كان ملوك تلك البلاد لا يلتزمون بأي من الاصول الأخلاقية والإنسانية، ولم يكن لديهم مانع من ممارسة أي نوع من أنواع الظلم والجور، وعلى الأخص بالنسبة لمن ينتسب إلى دعوة يرون أنها تضر بمصالحهم الشخصية، وتهدد كيانهم وجبروتهم.

وأما بلاد اليمن، وبعض المناطق العربية والقبلية الأخرى فقد كانت تحت نفوذ النظام الفارسي، المتجبر والظالم. ويذكر هنا: ان بعض القبائل عندما عرض عليها النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» دعوته وطلب منها حمايتها له، قبلت بذلك، ولكن ممادون كسرى[1]، واما من كسرى، فلا.

---

(١) السير الحلبية: ج ٢ ص ٥ وص ١٦، والسيرة النبوية لابن كثير: ج ٢ ص ١٦٨.

وواضح: أن الإلتجاء إلى كسرى لا يقل خطراً عن الإلتجاء الى بلاد الروم، خصوصاً إذا رأى: ان هذا العربي ـ وهو بطبعه كان يحتقر العرب، ولا يرى لهم حرمة، ولا شأناًيذكر ـ لسوف يخرج في منطقة قريبة من بلاده، وقد تسري دعوته إلى بلاده نفسها، ويؤثر ذلك على الإمتيازات الظالمة التي يجعلها لنفسه، كما يظهر من دراسة طبيعة دعوة ذلك النبي، وأهدافها.

٣ ـ قد كان لقريش نفوذ قوي في مختلف القبائل العربية، حتى ما كان منها تحت نفوذ الفرس والروم. كما ربما يتضح مما ذكرناه في أوائل هذا الكتاب، فلا نعيد.

٤ ـ ما ذكره النبي «صلى الله عليه وآله» من ان بها ملكاً لا يظلم عنده أحد:

فإن كل ذلك:

يجعلنا نضع أيدينا على السر الحقيقي لاختيار بلاد الحبشة، البعيدة عن النفوذ الفارسي والرومي والقريشي، والتي لا يمكن لقريش أن تصل إليها على ظهر جواد او راحلة، وإنما بالسفن عبر البحار. ولم تكن قريش تعرف حرب السفن، فاختار الرسول «صلى الله عليه وآله» هذه البلاد بالذات لتكون ارضاً لهجرة المسلمين، الذين لا يزالون ضعافاً أمام قوة قريش وجبروتها.

ثم اننا نستفيد من قوله «صلى الله عليه وآله وسلم» عن ارض الحبشة: إنها أرض صدق: أنه قد كان فيها شعب يعيش على الفطرة، ويتعامل بالصدق والصفاء، فيمكن لهؤلاء الثلة من المسلمين المهاجرين ان يعيشوا مع هؤلاء الناس، وأن يتعاملوا معهم، لا سيما وأنها بلاد لم يكن فيها من الإنحرافات والافكار والشبهات ما كان في بلاد الروم والفرس، التي كانت قد لوثتها المفاهيم والنظريات اللاإنسانية، والأديان

المنحرفة الى حد بعيد، ولم تتعرض بلاد الحبشة لمثل ذلك، فلم تنشأ فيها أديان، ولا كان فيها علماء وفلاسفة بالمستوى الذي كان في دولتي الروم والفرس فكانت اقرب الى الفطرة، والحق من غيرها.

ولكن هيمنة الفطرة على بلاد الحبشة ليس معناه خلو تلك البلاد عن أي انحراف، فان وجود الإنحراف فيها أمر طبيعي، بل ان ذلك على حد قولهم: أهل البلد الفلاني مؤمنون، أو شجعان، او كرماء، فإن ذلك لا يمنع وجود البخيل والكافر او الفاسق والجبان فيها.

ومن الواضح: ان المسلمين لو هاجروا الى بلاد لا تهيمن عليها الفطرة، وكان لها ملك لا يأبى عن الظلم فلسوف تصعب عليهم الحياة والإستمرار فيها، ولم يكن لهجرتهم من بلادهم كبير فائدة، ولا جليل أثر.

الهجرة الى الحبشة:

وهاجر المسلمون بأمر من رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الحبشة، ذهبوا إليها ارسالاً على حسب رواية أم سلمة،[١] ويقال: إنه سافر أولاً عشرة رجال وأربع نساء عليهم عثمان بن مظعون[٢]، ثم خرج آخرون حتى تكاملوا في الحبشة اثنين او ثلاثاً وثمانين رجلاً، إن قلنا إن عمار بن ياسر كان معهم. وتسعة عشر إمرأة عدا الأطفال.

وقد كانت هذه الهجرة في السنة الخامسة من البعثة كما نص عليه عامة المؤرخين.

(١) السيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ١٧، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٧٢ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٢٩٠ عن الصفوة والمنتقى.

(٢) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٤٥، والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٥، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٦٧، والسيرة الحلبية ج ١ ص ٣٢٤، قال: وبه جزم ابن المحدث في سيرته، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٢٨٨.

ولكن عند الحاكم: أن هجرة الحبشة قد كانت بعد وفاة أبي طالب[١]، وهو إنما توفي في السنة العاشرة من البعثة.

إلا إذا كان الحاكم يتحدث عن هجرة جديدة قام بها بعض المسلمين في هذا الوقت، لعلها عودة الراجعين الى مكة بعد سماعهم بالهدنة، ففوجئوا بالعكس فعادوا أدراجهم.

ولكننا لا نملك شواهد تؤيد أن ذلك كان في تلك السنة بالذات.

وكيف كان فإننا نقول:

إننا نرجح: أنه لم يكن سوى هجرة واحدة للجميع، عليها جعفر بن ابي طالب «عليه السلام»، الذي لم يكن غيره من بني هاشم فلم يكن ثمة هجرتان، عشرة اولاً، ثم الباقون ثانياً، وإن كان خروجهم إنما كان ارسالاً حفاظاً على عنصر السرية، وذلك بدليل الرسالة التي وجهها الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» إلى ملك الحبشة مع عمرو بن أمية الضمري، والتي جاء فيها:

«قد بعثت إليكم إبن عمي جعفر بن ابي طالب، معه نفر من المسلمين، فإذا جاؤوك فأقرهم إلخ...»[٢]. وهذا هو الظاهر من رواية أخرى عن أبي موسى، قال: «أمرنا رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» أن ننطلق مع جعفر بن أبي طالب إلى ارض النجاشي إلخ...»[٣].

وإن كانت هجرة أبي موسى هذه محل شك كما سنرى.

---

(١) مستدرك الحاكم: ج ٢ ص ٦٢٢.

(٢) البداية والنهاية ج ٣ ص ٨٣، والبحار ج ١٨ ص ٤١٨، واعلام الورى ص ٤٦ ـ ٤٥ عن قصص الانبياء.

(٣) البداية والنهاية ج ٣ ص ٧٠ عن ابي نعيم في الدلائل، والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ١١.

أمير الهجرة جعفر:

ونعتقد: إن هجرة جعفر الى الحبشة، لم تكن بسبب تعرضه للتعذيب من قبل قريش، فقد كانت قريش تخشى مكانة أبي طالب، وتراعي جانبه، وجانب بني هاشم بصورة عامة. وإنما ارسله النبي صلى الله عليه وآله مع المهاجرين ليكون أميراً عليهم، ومدبراً لأمورهم، ومشرفاً على شؤونهم ومصالحهم، وحافظاً لهم من ان يذوبوا في هذا المجتمع الجديد، كما كان الحال بالنسبة الى ابن جحش الذي تنصر في الحبشة.

من هو أول مهاجر إلى الحبشة؟:

ويقولون: إن عثمان بن عفان كان أول من هاجر الى الحبشة بأهله، وأن النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» قد قال عنه بهذه المناسبة: إنه أول من هاجر بأهله بعد لوط عليه السلام[١]. وقيل إنه كان أول خارج أيضاً[٢].

ونحن نشك في ذلك، لأنه إن أريد أنه أول من هاجر بأهله، فإن أبا سلمة ـ كما يقولون ـ هو أول من هاجر بأهله[٣]. وإن أريد أنه أول خارج بنفسه، فإننا نجد أنهم يقولون: أن أول خارج كان حاطب بن أبي

---

(١) البداية والنهاية ج ٣ ص ٦٦ عن ابن اسحاق، والسيرة الحلبية ج ١ ص ٣٢٣، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٢٨٩ و ٢٧٥.

(٢) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٤٤ والبداية والنهاية ج ٣ ص ٦٦ عن البيهقي، والسيرة الحلبية ج ١ ص ٢٢٣.

(٣) الاصابة ج ٢ ص ٣٣٥، وراجع ج ٤ ص ٤٥٨/٤٥٩ والاستيعاب بهامشها ج ٢ ص ٣٣٨ عن: مصعب الزبيري، وتهذيب الاسماء واللغات ج ٢ ص ٣٦٢، وأسد الغابة ج ٣ ص ١٩٦ عن أبي عمر، وابن مندة، والسيرة الحلبية ج ١ ص ٣٢٣، وذخائر العقبى: ص ٢٥٣.

عمر[١]، أو سليط بن عمرو[٢]. كما أنهم يقولون: مثل ذلك عن أبي سلمة فراجع، وستأتي الإشارة إلى هذا إن شاء الله تعالى.

هجرة أبي موسى إلى الحبشة لا تصح:

روى الإمام أحمد بسند حسن، وغيره: أن أبا موسى الاشعري كان في جملة من هاجر الى الحبشة في الهجرة الأولى[٣].

ولكن الظاهر هو أن هذا وهم او إدراج عمدي من الراوي، فإن أبا موسى لم يسلم إلا في المدينة في السنة السابعة من الهجرة، وقيل: إنه خرج في جماعة إلى النبي فألقتهم سفينتهم الى الحبشة، فجاؤا مع مهاجري الحبشة الى المدينة، في سنة سبع من الهجرة[٤].

ويظهر: أن ذلك قد حدث بعد الهجرة إلى المدينة، إذ لم يكونوا ليقدموا على قصده «صلى الله عليه وآله وسلم» الى مكة، ولا ليقيموا هذه السنوات الطويلة في الحبشة.

والظاهر أنه التقى بمهاجرة الحبشة في الطريق، فقد قال العسقلاني: «صادفت سفينته سفينة جعفر بن أبي طالب، فقدموا جميعاً»[٥].

---

(١) الاصابة ج ١ ص ٣٠١، والسيرة الحلبية ج ١ ص ٣٢٣.

(٢) البسيرة الحلبية ج ١ ص ٣٢٣.

(٣) راجع: سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٤٧، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٦٧ و ٦٩ و ٧٠ عن ابن اسحاق وأحمد وعن ابي نعيم في الدلائل والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٧ و ٩، وفتح الباري، ج ٧ ص ١٤٣ ومجمع الزوائد ج ٦ ص ٢٤ عن الطبراني وحلية الاولياء ج ١ ص ١١٤.

(٤) راجع: السيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ١٤ والبداية والنهاية ج ٣ ص ٧١.

(٥) الإصابة: ج ٢ ص ٣٥٩.

رقة عمر للمهاجرين

ويقولون: إن عمر رأى المهاجرين، وهم يتهيأون للخروج إلى الحبشة، فرق لهم، وأحزنه ذلك[1].

وذلك لا يصح، لأن خروجهم كان سراً، متسللين، منهم الراكب، ومنهم الماشي، حتى انتهوا إلى البحر فوجدوا سفينة فأقلتهم فخرجت قريش في آثارهم حتى جاؤا البحر، فلم يجدوا أحداً منهم[2].

هذا كله، عدا عن شدة عمر وغلظته، التي تدعى له قبل وبعد الهجرة الى الحبشة على من اسلم، وتعذيبه لمن قدر عليه منهم، فإن ذلك لا يتناسب مع ما يقال عنه هنا.

هجرة ابي بكر لا تصح:

ويقولون: إنه حين اشتد البلاء على بقية من بمكة من المسلمين، وضاقت مكة على أبي بكر، وأصابه فيها الأذى، خرج حين حصر المسلمين في الشعب مهاجراً الى الحبشة، فلما وصل الى برك الغماد ـ موضع على خمس ليال من مكة الى جهة اليمن ـ لقيه إبن الدغنة، سيد قبيلة «القارة»، وكانوا حلفاء لبني زهرة من قريش، فقال له: أين تريد يا أبا بكر، فقال: أخرجني قومي؛ فأريد أن أسيح في الارض، وأعبد ربي، فقال إبن الدغنة: مثلك يا أبا بكر لا يخرج؛ إنك تكسب المعدوم إلى أن قال: فارجع فأنا لك جار

---

(١) البداية والنهاية ج ٣ ص ٧٩ عن ابن اسحاق، ومجمع الزوائد ج ٦ ص ٢٤، ومستدرك الحاكم ج ٤ ص ٥٨ والطبراني، والسيرة الحلبية ج ١ ص ٣٢٣/٣٢٤.

(٢) السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٢٤، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٢٨٨/٢٨٩ عن المنتقى والطبري ج ٢ ص ٦٩ وراجع البدء والتاريخ ج ٤ ص ١٤٩، واعلام الورى ص ٤٣ واليعقوبي ج ٢ ص ٢٩ وزاد المعاد لابن القيم ج ٢ ص ٤٤.

فرجع، ورجع معه إبن الدغنة، فطاف عشية في أشراف قريش، وأعلمهم بأنه أجاره، فأجازوا جواره بشرط: أن يعبد ربه في داره، ولا يستعلن.

ولكن أبا بكر ابتنى بعد مدة، مسجداً في بني جمح، بجوار داره يصلي فيه، ويقرأ القرآن، وجعل نساء المشركين، وأبناؤهم يجتمعون لسماع قراءته، حتى يسقط بعضهم على بعض. وكان له صوت رقيق، ووجه عتيق أي جميل. فراجع المشركون إبن الدغنة في ذلك، فأتاه فطالبه، فرد عليه ابو بكر جواره[1].

ونحن نشك في ذلك، إذ مع غض النظر عن:

١ ـ أن إخراج قوم ابي بكر له لا يعني أنه قد هاجر مختاراً مع أن ظاهر الكلام هو ذلك.

٢ ـ ومع غض النظر عن أن هذا الحديث مروي عن عائشة فقط ـ وهو عجيب!! ـ فهم يدعون:

أنها كانت حينئذٍ صغيرة السن جداً لا يمكن ان تعي كل تلك الأمور والخصوصيات، وإن كنا نعتقد: أن عمرها كان أكثر مما يقولونه بكثير، كما سنشير اليه.

٣ ـ أضف الى ذلك: أنها لم توضح لنا عمن روت ذلك.

ودعوى **البعض**: أن إرسال الصحابي لا يضر، لأنه يروي عن صحابي مثله؛ وهم عدول كلهم.

---

(١) راجع: السيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ١٢٧/١٢٨، وسيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٢ ـ ١٣، وشرح النهج ج ١٣ ص ٢٦٧، والمصنف ج ٥ ص ٣٨٦/٣٨٥ والبداية والنهاية ج ٣ ص ٩٤ و ٩٥، وفي تاريخ الخميس ج ١ ص ٣١٩/٣٢٠ ان ذلك كان في الثالثة عشرة من البعثة، وحياة الصحابة ج ١ ص ٢٧٦ و ٢٧٧ عن البخاري ص ٥٥٢.

لا تصح، فأما بالنسبة لعدالتهم جميعاً، فقد أثبتنا عدم صحة ذلك فراجع مقالنا: الصحابة في الكتاب والسنة، في كتابنا: دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام، الجزء الثاني.

وأما دعوى: أن إرسال الصحابي إنما هو عن صحابي مثله، فهي أيضاً غير صحيحة، لجواز أن يكون الصحابي قد روى عن غير صحابي، كما كان أبو هريرة يروي عن كعب الأحبار(١).

نعم، إننا مع غض النظر عن ذلك كله، نسجل هنا الأمور التالية:

أولاً: إن الرواية تنص على أن إبن الدغنة كان حليفاً لبني زهرة من قريش، فكيف أجار على قريش مع أن الحليف لا يجير؟! كما اعتذر به الأخنس بن شريق، حينما طلب منه النبي أن يجيره ليدخل مكة، حسبما يدّعون(٢).

وثانياً: لماذا بعد أن ردّ جوار إبن الدغنة لم تؤذه قريش ولم تخرجه، وإذا كانت قبيلته قد منعته الآن؛ فلماذا لم تمنعه أولاً. وإذا كانت قد أقنعتهم تقريظات ابن الدغنة لأبي بكر، فلماذا لم تقنعهم أولاً، حتى احتاج أبو بكر الى جواره؟!.

وثالثاً: لقد رد الاسكافي على الجاحظ المدعي لهذه القضية بقوله:

«كيف كانت بنو جمح تؤذي عثمان بن مظعون وتضربه، وهو عندهم ذو سطوة وقدر، وتترك أبا بكر يبني مسجداً يفعل فيه ما ذكرتم؟ وأنتم الذين

---

(١) راجع: شيخ المضيرة للشيخ محمود أبي رية، وأبو هريرة للسيد شرف الدين رحمهما الله تعالى، وراجع ترجمة كعب الأحبار في: سير أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٤٩٠ وغيره.

(٢) اعلام الورى ص ٥٥ والبحار ج ١٩ ص ٧ عن القمي، وسيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٠، والبداية والنهاية ج ٣ ص ١٣٧، والسيرة الحلبية ج ١ ص ٣٦٠، والسيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ١٤٢، وبهجة المحافل ج ١ ص ١٢٦.

رويتم عن ابن مسعود: أنه قال: ما صلينا ظاهرين حتى أسلم عمر بن الخطاب. والذي تذكرونه من بناء المسجد كان قبل إسلام عمر.

وأما ما ذكرتم من رقة صوته، وعتاق وجهه، فكيف يكون ذلك، وقد روى الواقدي، وغيره: أن عائشة رأت رجلا من العرب، خفيف العارضين، معروق الخدين، غائر العينين أجنأ(يعني مائل الظهر)، لا يمسك إزاره، فقالت: ما رأيت أشبه بأبي بكر من هذا. فلا أراها دلت على شيء من الجمال في صفته[1].

ويدل على صحة ما ذكره الاسكافي حول جمال أبي بكر: أن المقدسي، بعد أن ذكر: أنه لقب بعتيق لحسن وجهه وعتقه، يقول: «كان أبيض البشرة، مشرباً حمرة، نحيف الجسم، خفيف العارضين، معروق الوجه، غائر العينين، ناتىء الجبهة، عاري الاشاجع، أحنى لا يستمسك إزاره، ويسترخي عن حقويه، وكان الخ . . . » وكذا قال غيره[2].

هذا كله عدا عن قولهم: إنه لقب بـ «عتيق» لأن الرسول قال له: «هذا عتيق من النار» فيومئذ سمي عتيقاً، وكان اسمه قبل ذلك: عبدالله بن عثمان[3]وذلك ينافي قولهم :إنه عتيق لجمال وجهه.

ورابعاً: لقد نصت الرواية على أن أبا بكر قد ابتنى مسجداً في بني جمح. ولكننا نجدهم يقولون: إن مسجد قباء كان أول مسجد بني في الإسلام[4]. ويقولون أيضاً: إن عماراً كان أول من بنى مسجداً في

---

(١) شرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٦٨ عن الاسكافي.

(٢) البدء والتاريخ ج ٥ ص ٧٧/٧٦، وتاريخ الخميس ج ٢ ص ١٩٩، وتاريخ الطبري ج ٢ ص ٦١٥.

(٣) كشف الأستار عن مسند البزار: ج ٣ ص ١٦٣، ومجمع الزوائد: ج ٩ ص ٤٠.

(٤) وفاء الوفاء ج ١ ص ٢٥٠ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٥٥.

الإسلام[١].

وحاول البعض الإجابة عن هذا بـأن المقصود: هـو أن مسجد قبـاء كان أول مسجد بني في المدينة. وأن عماراً كـان أول من بنى مسجداً لعموم المسلمين[٢].

وقد فاته: أن إطلاق قوله: في الإسلام يدفـع الأول، وإطلاق كـون عمار أول من بنى مسجداً؛ يدفع الثاني، كما أن ثمة تصريحاً بأنـه أول من بنى في بيته مسجداً يتعبد فيه[٣].

وخامساً: نحن بحاجة الى إجابات على الأسئلة التالية: لمـاذا يترك أبو بكر يبني مسجـداً في بني جمح؟. وكيف لم يعتـرض الجمحيون على هـذا التحدي؟. ولمـاذا لم يدرك التيميـون صفـات أبي بكـر النبيلة تلك، ويدعونه يخرج، ثم يدركها إبن الدغنة ؟!

ولماذا لم تلاحظ قريش تلك الصفات النبيلة التي أقرت بها، وتركته يخرج؟! بل ولماذا عذبته أشد العذاب؟! مع علمهـا بما ذكـره إبن الدغنـة عنه!!.

فضيلة عثمان بن مظعون تجعل لغيره:

والذي نظنه قوياً هو أنهم ارادوا: أن يجعلوا له فضيلة سبق إليها عثمان بن

---

(١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٥٥، وطبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٧٩ و ١٧٨ والاعلاق النفيسة ص ١٩٦ وتاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٣١١، والغدير ج ٩ ص ٢٠ عنهما. والاوائل للطبراني ص ١٠٩ والروض الأنف ج ٣ ص ٢٤٨ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ١٤٣.

(٢) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٥٥ ووفاء الوفاء ج ١ ص ٢٥٠.

(٣) طبقات ابن سعد ط ليدن ج ٣ ص ١٧٨ وذكره في البداية والنهاية ج ٧ ص ٣١١، وراجع: السيرة الحلبية ج ٢ ص ٥٥ فانه صرح بأن هذا المسجد كان خاصاً بالذي بناه.

مظعون؛ فإنه كما يذكره المؤرخون: لما رجع من الحبشة مع من رجع، بعد شهرين من الهجرة، وفوجيء بأن الامر بين المشركين والنبي صلى الله عليه وآله لا يزال على حاله، دخل مكة بجوار الوليد بن المغيرة.

ولكنه لما رأى ما فيه المسلمون من البلاء، وهو يغدو ويروح في أمان. صعب عليه ذلك، فمشى إلى الوليد فرد عليه جواره؛ فقال: يا بن أخي، لعله آذاك أحد من قومي؟ قال: لا، ولكني أرضى بجوار الله عز وجل، ولا أريد أن أستجير بغيره. قال: فانطلق الى المسجد، فاردد علي جواري علانية، كما أجرتك علانية.

فانصرف معه، ورد عليه جواره علانية في المسجد[1].

محاولة قريش اليائسة:

وبعد أن صحا مشركوا مكة من عنف الصدمة. «ورأت قريش استقرارهم في الحبشة وأمنهم»، على حد تعبير البعض[2] ائتمرت فيما بينها، وقررت إرسال رجلين من قبلها إلى الحبشة لاسترداد المهاجرين. ووقع اختيارهم على عمرو بن العاص، ويقال: وعلى عمارة بن الوليد أيضاً، فأرسلوهما إلى النجاشي بهدايا له ولبطارقته. (وجرى بين عمارة وعمرو بن العاص في الطريق شيء مثير، يرتبط بالعلاقة بين عمارة وزوجة عمروفاحتملها له عمرو ليكيده في الوقت المناسب). .

وادّعيا أمام النجاشي: أنه «قد ضوى إلى بلدك منا غلمان

---

(١) البداية والنهاية ج ٣ ص ٩٢، وقد ذكرت هذه القضية في مختلف المصادر التاريخية فلا حاجة إلى تعدادها.

(٢) سيرة مغلطاي ص ٢٢.

سفهاء، فارقوا دينهم، ولم يدخلوا في دينك. وجاؤا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت. وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم، وأعمامهم، وعشائرهم لتردهم اليهم الخ».

فرفض تسليمهم اليهم حتى يسألهم عن صحة ما جاء به عمرو وعمارة، فجاء المسلمون؛ فسألهم فقال جعفر: «أيها الملك، كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الاصنام، ونأكل الميتة ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل، منا القوي الضعيف، فكنا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه، وأمانته، وعفافه؛ فدعانا الى الله لنوحده، ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه، من الحجارة والأوثان. وأمرنا بصدق الحديث وأداء الامانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا: أن نعبد الله وحده، لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة، والزكاة، والصيام الخ. .[1]».

وقرأ عليه جعفر بعض سورة الكهف: فبكى النجاشي حتى اخضلّت لحيته، وكذلك اساقفته؛ ثم قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة انطلقا، فوالله لا أسلمهم اليكما، ولا يكادون.

ثم غدا عمرو في اليوم التالي؛ ليخبر النجاشي، بأن المسلمين يقولون: إن عيسى بن مريم عبد؛ فأرسل اليهم؛ فسألهم؛ فقال له جعفر: نقول فيه الذي جاء به نبينا «صلى الله عليه وآله وسلم»: هو عبدالله

---

(١) ذكرت الزكاة والصيام في مختلف المصادر؛ فراجع سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٦٠، والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٢١، والكامل لابن الاثير ج ٢ ص ٨٠ (ولم يذكر الزكاة) واعلام الورى ص ٤٤ ولم يذكر الصيام والبداية والنهاية ج ٣ ص ٧٤ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٢٩٠، وحلية الأولياء ج ١ ص ١١٤، والسيرة الحلبية ج١ ص ٣٤٠. وستأتي بقية المصادر حين الكلام عن أن تشريع الصلاة والزكاة كان في مكة، وذلك قبيل الكلام عن غزوة بدر ان شاء الله تعالى.

ورسوله، وروحه وكلمته التي ألقاها إلى مريم العذراء البتول، فتناول النجاشي عوداً، وقال: والله، ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود. فتناخرت بطارقته، فقال: وان نخرتم، إذهبوا فأنتم شيوم: أي آمنون، من سبكم غرم ـ قالها ثلاثا ـ ما أحب ان لي دبراً ـ أي جبلا ـ من ذهب وأني آذيت رجلا منكم.

ثم رد هدايا قريش[١].

وقد روي عن الإمام الحسين عليه السلام: أن ابن العاص قد ذهب إلى الحبشة مرتين ليكيد المسلمين، فرد الله تعالى كيده إلى نحره، وباء بغضب من الله تعالى.[٢]

ملاحظة:

قد شكك البعض في صحة هذة الورايه، وذلك لذكر الصيام فيها، وهو انما شرع في المدينة[٣].

ولكنه كلام باطل؛ فإن الصيام، والزكاة، وغير ذلك، كله قد شرع في مكة، ولسوف يأتي إن شاء الله بيان ذلك في هذا الكتاب حين الحديث على ما بعد الهجرة.

ويرى بعض الاعلام: أن منشأ هذة التحقيقات الرشيقة لأحمد أمين، ومن هم على شاكلته، هو التشكيك في موقف يظهر بطولة جعفر، وجراء ته وحكمته، وعقله، ودرايته.

---

(١) راجع المصادر المتقدمة.

(٢) راجع: الإحتجاج: ج ١ ص ٤١٢/٤١١، والسيرة النبوية لابن كثير: ج ٢ ص ٢٧، والبداية والنهاية: ج ٣ ص ٧٦.

(٣) هذا ما ذكره أحمد أمين في كتاب فجر الإسلام ص ٧٦ ولعله اقتبسه من السيرة الحلبية: ج ١ ص ٣٣٩.

وقد ابتلي جعفر أيضاً بمثل هذا الإجحاف في حقه في مورد آخر، وهو كونه الأمير الأول في غزوة مؤته، فإن لهم اهتماماً خاصاً في إبعاد جعفر عن هذا المقام والتأكيد على ان الامير الأول هو زيد بن حارثة رحمه الله كل ذلك من أجل اخوته لعلي وقرابته منه.(١)

قريش، وخططها المستقبلية:

حقاً لقد كانت هجرة المسلمين الى الحبشة ضربة قاسية لقريش، أفقدتها صوابها، وزعزعت وجودها وكيانها؛ فحاولت أن تتدارك الأمر، فلحقت بهم بهدف إرجاعهم، وإبقائهم تحت سلطتها، ولكن بعد فوات الاوان.

وكان أن اضطرت قريش للمرة الأولى لمراجعة حساباتها من جديد، بعد أن أدركت: أن زمام المبادرة لم يعد بيدها؛ وذلك لأنها:

١ ـ أدركت أن الإستمرار في تعذيب المسلمين، الذين اصبحوا متفرقين في مختلف القبائل، لم يعد له كبير جدوى ولا جليل اثر، إن لم يكن سبباً في اثارة حرب داخلية، تكون عواقبها السيئة على سمعتها وكرامتها كبيرة وخطيرة، حينما لا توافق كل قبيلة على التصفية الجسدية للمنتمين إليها، للمنطق القبلي. الذي ما زالوا يتعاملون على أساسه، حتى في مواقفهم من هذا الدين الجديد، ومناهضتهم لمحمد «صلى الله عليه وآله وسلم»، ودعوته، رغم إجماعهم على العداء له ولها. ويكفي أن نشير هنا إلى أنهم قد قرروا: أن تتولى كل قبيلة تعذيب الذين ينتسبون إليها!!.

٢ ـ لقد رأت قريش: أن محمداً صلى الله عليه وآله يريد أن تكون دعوته انسانية عالمية، لا تختص بعرب مكة والحجاز وأدركت أن هجرة

---

(١) راجع كتابنا: دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام، الجزء الأول، بحث: من هو الأمير الاول في غزوة مؤته.

هؤلاء إلى الحبشة لم تكن متمحضة في الهروب من التعذيب، لأن الكثيرين من أولئك المهاجرين لم يكن ممن يعذب. هذا عدا عن أنهم يمثلون مختلف القبائل المكية أيضاً.

ويمثلون رصيداً يملكه الإسلام والمسلمون، ويدّخرونه للوقت المناسب، وأصبح واضحاً لكل أحد: أن القضاء على مسلمي مكة لا يعني القضاء على الإسلام.

٣ - وترى كذلك: أن معنى هجرة المسلمين هذه، وخروجهم من تحت سلطتها، هو أنها سوف تكون امام مواجهة شاملة، وان مصالحها في معرض التهديد والبوار.

وقد رأت أن أبا ذر باقامته بعسفان على طريق القوافل، وكلما أقبلت عير لقريش احتجزها حتى يقولوا: لا إله الا الله وان محمداً رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم». وظل على ذلك الى ما بعد حرب أحد، قد ضايقها تلك المضايقة الشديدة مع العلم بأن القضاء على حركته ربما يكون أسهل وأيسر، لأنه في منطقتها، ويمكن تطويقه، والحد من نشاطه بسرعة؛ لأنه بين أمة كلها تدين لقريش بالولاء، وتقول بمقالتها، كما أنهم ينظرون إليه على انه غريب ومعتد.

إذن فإن وجود المسلمين - وهم من قريش في الصميم في منطقة بعيدة عن نفوذ القرشيين وسلطانهم، وفي ملجأأمين، ومنطلق مطمئن. ليشكل أعظم الاخطار على قريش ومصالحها، الأمر الذي يحتم عليها التريث والصبر، وإحكام التدبير، لا سيما وأنها لا تجد الى تصفية النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» جسدياً حيلة، ولا الى إسكاته سبيلاً، ما دام في حماية شيخ الابطح، أبي طالب «عليه السلام» والهاشميين، باستثناء أبي لهب لعنه الله

فأرسلت الى النجاشي ممثلين عنها لاسترداد المهاجرين، فرجعا

إليهـا بالفشـل الذريـع والخيبة القـاتلة، فافقـدها ذلـك صوابهـا وأصبحت تتصـرف بـدون وعي، ولا تـدبـر، فعـدت من جـديـد على من تبقى من المسلمين بالعذاب والتنكيل. وجعلت تتعرض للنبي «صلى الله عليـه وآله وسلم» بـالسخريـة، والاستهزاء، والإتهـام بالجنـون والسحر، والكهـانة، وبأنواع مختلفة من الحرب النفسية والأذى.

الثورة على النجاشي:

وكـان وجـود المسلمين في الحبشـة، قـد تسبب للنجـاشي ببعض المتاعب؛ حيث اتهمه أهل بلاده بأنه خـرج من دينهم فثاروا عليـه. ولكنه استطاع أن يخمد الثورة بحسن إدراكه ووعيه، واستمر المسلمون عنده في خير منزل، وخير جار، حتى رجعوا إلى المدينـة، بعد هجـرة النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» إليها كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

فيروي محمد بن إسحـاق، عن جعفر بن محمـد، عن أبيه، قـال: اجتمعت الحبشة، فقالوا للنجاشي: إنـك فارقت ديننـا، وخرجـوا عليه، فأرسل الى جعفر وأصحابه، فهيأ لهـم سفناً، وقال: اركبوا فيها وكونوا كمـا أنتم؛ فان هزمت؛ فاذهبوا حيث تلحقوا بحيث شئتم. وان ظفرت فـاثبتوا، ثم خرج إليهـم فجادلهـم في الامر، فانصرفوا عنه[1]

وكان ذلك قبـل إيفاد قـريش عمروا وعمـارة، بدليـل قول النجـاشي لهما «فوالله» ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي، ولا أطـاع الناس في، فأطيع الناس فيه، ردوا عليهم هداياهـم؛ فلا حاجـة لي بها، وأخـرجا من بلادي، فخرجا مقبوحين[2]»

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٦٥، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٧٧، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٠٢.

(٢) البداية والنهاية ج ٣ ص ٧٥ عن ابن اسحاق، وسيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٦٢.

وقد كانت هذه الفترة التي اعقبت هجرة المسلمين الى الحبشة قد تميزت بهدوء نسبي، ولعله استمر إلى عودة عمرو بن العاص من الحبشة إلى مكة بالخيبة والخسران.

عودة بعض المهاجرين:

وتسربت انباء الهدنة القصيرة والعفوية غير المعلنة التي حصلت في مكة الى مسامع المسلمين في الحبشة. ورأى المسلمون ما جرى للنجاشي بسببهم، فارتاى فريق منهم العودة الى مكة، بعد شهرين، او ثلاثة أشهر، وعاد منهم أكثر من ثلاثين رجلاً، ودخل عثمان بن مظعون بجوار الوليد بن المغيرة، وكان ما كان من رده جوراه، ورضاه بجوار الله تعالى، حسبما تقدم.

نعم هذا هو السر في رجوع بعض المهاجرين من الحبشة، وليس ما ذكره اعداء الاسلام من قصة الغرانيق التي لا شك في كذبها كما سنرى.

قصة الغرانيق

وملخص هذه القضية المكذوبة: أنه بعد أن هاجر المسلمون إلى الحبشة بحوالى شهرين؛ جلس رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» مع المشركين، فأنزل الله تعالى عليه سورة النجم؛ فقرأها، حتى إذا بلغ قوله تعالى: أفرأيتم اللات والعزى، ومناة الثالثة الأخرى، وسوس اليه الشيطان بكلمتين، فتكلم بهما، ظاناً انهما من جملة الوحي وهما: «تلك الغرانيق[1] العلى، وان شفاعتهن لترتجى»، ثم مضى في السورة، حتى اذا

(١) الغرانيق، جمع غرنوق بكسر الغين: طيور الماء. شبهت الاصنام بها لارتفاعها في السماء فتكون الاصنام مثلها في رفعة القدر، والغرنوق أيضاً: الشاب الابيض الناعم.

بلغ السجدة، سجد وسجد معه المسلمون والمشركون. لكن الوليد بن المغيرة لم يتمكن من السجود، لشيخوخته، او لتكبره ـ على الخلاف ـ فرفع تراباً الى جبهته فسجد عليه، وقيل: إن الذي فعل ذلك هو سعيد بن العاص، وقيل كلاهما، وقيل: أمية بن خلف، وصحح، وقيل: أبو لهب، وقيل: المطلب.

وأضاف البخاري سجود الانس والجن، الى مجموع المسلمين. والمشركين وطار الخبر في مكة، وفرح المشركون، بل ويقال: انهم حملوا الرسول، وطاروا به في مكة من اسفلها إلى أعلاها.

ولما أمسى جاءه جبرائيل فعرض عليه السورة، وذكر الكلمتين فيها؛ فأنكرهما جبرئيل؛ فقال «صلى الله عليه وآله وسلم»: قلت على الله ما لم يقل؟ فأوحى الله إليه: **﴿وإن كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا إليك، لتفتري علينا غيره، واذن لاتخذوك خليلا، ولولا أن ثبتناك، لقد كدت تركن اليهم شيئاً قليلاً، إذن لأذقناك ضعف الحياة، وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً﴾**[١].

وقداستدلوا على صحة هذه الرواية بالآية التي يدّعون: انها نزلت بهذه المناسبة وهي قوله تعالى: **﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته، فينسخ الله ما يلقي الشيطان، ثم يحكم الله آياته، والله عليم حكيم، ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض الخ﴾**. وعدد من أسانيد هذه الروايات صحيح عند بعض الفرق[٢].

---

(١) الاسراء/٧٣ ـ ٧٥.

(٢) راجع: الدر المنثور ج ٤ ص ١٩٤ و ٣٦٦ ـ ٣٦٨ والسيرة الحلبية ج ١ ص ٣٢٥ ـ ٣٢٦، وتفسير الطبري ج ١٧ ص ١٣١ ـ ١٣٤، وفتح الباري ج ٨ ص ٣٣٣.

ويقولون: إنه لما سمع المسلمون في الحبشة بالسلام والوئام بين النبي وقريش عادت طائفة منهم إلى مكة، فوجدوا الأمر على خلاف ذلك.

ونحن نعتقد جازمين بكذب هذه الروايات، وافتعالها. ويشاركنا في هذا الإعتقاد جمع من العلماء، فقد قال محمد بن إسحاق حين ما سئل عنها: «هذا من وضع الزنادقة». وصنف في تفنيدها كتابا[1].

وقال القاضي عبد الجبار عن هذا الخبر: «لا أصل له، ومثل ذلك لا يكون إلا من دسائس الملحدة»[2].

وقال أبو حيان: إنه نزه كتابه عن ذكر هذه القصة فيه.[3]

وأنكرها البيضاوي، طاعناً في أسانيدها، وكذا البيهقي، والنووي والرازي، والنسفي، وإبن العربي، والسيد المرتضى، وفي تفسير الخازن: أهل العلم وهنوا هذه القصة[4].

وقال عياض: «إن هذا الحديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة، ولا رواه ثقة بسند سليم متصل، وانما أولع به، ويمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب، والمتلقفون من الصحف كل صحيح

وأشار إلى أصلها البخاري أيضاً في غير موضع من صحيحه، كما في البداية والنهاية ج ٣ ص ٩٠، وقد صرح السيوطي في دره المنثور بصحة اسانيد عدد منها، وراجع لباب النقول، وتفسير الطبري، وهي موجودة في مختلف التفاسير، عند تفسير الآيات، ولذا فلا حاجة إلى تعداد مصادرها.

(١) راجع: البحر المحيط لأبي حيان ج ٦ ص ٣٨١.

(٢) تنزيه القرآن عن المطاعن ص ٢٤٣.

(٣) عن تفسير البحر المحيط ج ٦ ص ٣٨١.

(٤) السيرة الحلبية ج ١ ص ١١، والهدى إلى دين المصطفى ج ١ ص ١٣٠، والرحلة المدرسية ص ٣٨. وفتح الباري ج ٨ ص ٣٣٣، وتفسير الرازي ج ٢٣ ص ٥٠.

وسقيم. وصدق القاضي بكر بن العلاء المالكي، حيث قال: لقد بلي الناس ببعض أهل الأهواء والتفسير، وتعلق بذلك الملحدون، مع ضعف نقلته واضطراب رواياته، وانقطاع أسناده واختلاف كلماته[١]»

ونحن نؤيد ما قاله:

فأولاً: إن جميع روايات هذه القصة سوى طريق سعيد بن جبير، إما ضعيف، او منقطع[٢] وحديث سعيد مرسل، والمرسل عند جمهور المحدثين من قسم الضعيف، لاحتمال أن يكون قدرواه عن غير الثقة[٣].

وأيضاً فان الاحتجاج بالمرسل لو سلم؛ فإنما يكون في الفرعيات وما نحن فيه يرتبط بالعقائد، التي تحتاج الى القطع. هذا والملاحظ لأسانيدها يراها تنتهي: إما الى تابعي او إلى صحابي لم يولد إلا بعد هذه القضية.

بل إن هذه الرواية يجب ردها والقطع بكذبها، ولو كان سندها متصلاً، لأنها مصادمة لحكم العقل كما سنرى وبهذا رد على القسطلاني، والعسقلاني، وآخرين حيث قد حكموا بصحتها، وبان لها أصلاً لكثرة طرقها[٤].

وثانياً: تناقض رواياتها، وقد تقدم التناقض فيمن لم يسجد، ونزيد هنا: أن النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» قرأها وهو يصلي. أو وهو جالس في نادي قومه.

---

(١) الشفاء ج ٢ ص ١٢٦ ط العثمانية والمواهب اللدنية ج ١ ص ٥٣.

(٢) فتح الباري ج ٨ ص ٣٣٣.

(٣) راجع: مقدمة ابن الصلاح ص ٢٦.

(٤) فتح الباري ج ٨ ص ٣٣٣، والسيرة الحلبية ج ١ ص ٣٢٦ وراجع سيرة مغلطاي ص ٢٤ المواهب اللدنية ج ١ ص ٥٣.

حدث نفسه بها. . أو جرت على لسانه.

الشيطان أخبرهم: أنه (ص)قالها. أو قرأها المشركون.

تنبه «صلى الله عليه وآلـه وسلم» حين قراءتها.

او لم يتنبه الى المساء.

بل ذكر الكلاعي: أن الأمر لم ينكشف بهذه السرعة، بل فشا الأمر حتى بلغ الحبشة: أن المسلمين قد أمنوا في مكة، فقدم مسلموها، ونزل نسخ ما ألقاه الشيطان، فلما بين الله قضاءه اشتد المشركون على المسلمين[1]. إلى غير ذلك من وجوه الاختلاف.

ويقولون: لا حافظة لكذوب.

وثالثاً: إن هذه الرواية ليس فقط تنافي ما هو مقطوع به من عصمته «صلى الله عليه وآله وسلم» عن الخطأ والسهو. وعلى الأخص في أمر التبليغ، وهو ما قام عليه إجماع الأمة، والادلة القطعية. وإنما هي تثبت الإرتداد له «صلى الله عليه وآله وسلم» نعوذ بالله من الغواية، عن طريق الحق والهداية.

ورابعاً: ان هذه الرواية تنافي قوله تعالى: **﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾**[2] وقوله: **﴿إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾**[3] إلا أن يفرض هؤلاء ـ والعياذ بالله ـ : أنه «صلى الله عليه وآله وسلم» لم يكن من عباد الله، ولا من الذين آمنوا، ولا من المتوكلين. وليس هذا القول إلا الكفر بعد الايمان، كما هو ظاهر للعيان.

---

(١) راجع: الاكتفاء للكلاعي ج ١ ص ٣٥٢/٣٥٣.

(٢) الاسراء الآية ٦٥.

(٣) النمل الآية ٩٩.

وخامساً: ينص الكلاعي على ان المشركين والمسلمين قد سجدوا جميعاً لما بلغ النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» آخر السورة. وأن المسلمين قد عجبوا لسجود المشركين؛ لأن المسلمين لم يكونوا قد سمعوا الذي ألقى الشيطان على ألسنة المشركين مع انه يصرح قبل ذلك بأسطر: ان الشيطان قد ألقى تلك الكلمات على لسان النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» نفسه[1]!!

فيرد سؤال: إنه كيف سمع المشركون ما ألقاه الشيطان على لسانه «صلى الله عليه وآله وسلم»، ولم يسمعه المسلمون، وهم معهم، ولا بد أنهم كانوا أقرب اليه «صلى الله عليه وآله وسلم» منهم؟!.

وسادساً: إن جميع الآيات المذكورة لا يمكن ان تكون ناظرة الى مناسبة هذه الروايات إطلاقاً؛ فأما:

١ ـ آيات سورة النجم؛ فإنه تعالى قد قال عن أصنام المشركين: مناة، واللات، والعزى: **﴿إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم، ما أنزل الله بها من سلطان. إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس، ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾**[2].

فكيف رضي المشركون بأن يذم آلهتهم بهذا النحو الحاد، ثم فرحوا بقوله المزعوم ذاك وسجدوا معه؟! وكيف لم يدركوا أو كيف فسّروا هذا التناقض الظاهر في كلامه، حتى حملوه ـ كما زعم ـ وطاروا به في مكة من أسفلها إلى أعلاها وهم يقولون: نبي بني عبد مناف؟!.

والنبي «صلى الله عليه وآله وسلم» نفسه، لماذا لم يلتفت إلى هذا التناقض الظاهر، وبقي غافلاً عنه الى الليل، حتى جاء جبرئيل فنبهه

---

(١) المصدر السابق ص ٣٥٢.

(٢) النجم الآية٢٣.

اليه؟! فهل كان «صلى الله عليه وآله وسلم» في غيبوبة طيلة تلك الفترة؟! أم أنه كان سقيم الذهن ـ والعياذ بالله ـ إلى هذا الحد؟!

ثم، أليست هذه الرواية تناقض تماماً قوله تعالى في سورة النجم نفسها، وبالذات في أول السورة بعد القسم: «وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى»؟! فها هو في نفس السورة ينطق عن الهوى، بل هو يردد ما يلقيه إليه الشيطان. على انه آيات قرآنية إلهية. مع ان الله تعالى يقول: **﴿ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل، لأخذنا منه باليمين، ثم لقطعنا منه الوتين﴾**(١) فها هو يتقول عليه ولا يفعل به شيئاً (٢).

واذا كانت هذه الآية قد نزلت بعد سورة النجم، فان ذلك لا يضر ما دامت الآية تعطي قاعدة كلية، ولا تشير إلى قضية خارجية خاصة.

٢ ـ وأما آية التمني، فهي في سورة الحج، التي هي مدنية بالاتفاق، ولا سيما وأنه قدورد فيها الأمر بالأذان في الناس بالحج والأمر بالقتال، والأمر بالجهاد، وذكر فيها الصد عن المسجد الحرام، وكل ذلك إنما كان بعد الهجرة، وبعضه بعدها بعدة سنوات. هذا بالاضافة الى أن الضحاك، وإبن عباس، وقتادة، وإبن الزبير وغيرهم، قد ذكروا أنها مدنية.

وإذا كانت مدنية، فهذا يعني: أن هذه الآية قد نزلت بعد قصة الغرانيق بسنوات عديدة، لأن قصة الغرانيق قد حصلت!! في السنة الخامسة من البعثة، فكيف أخر الله تسلية وتهدئة خاطر الرسول هذه السنين الطويلة؟!.

على أن معنى الاية لا ينسجم مع مفاد الرواية، فان التمني هو

---

(١) الحاقة الأيات ٤٤ ـ ٤٦.

(٢) هذا إن لم نقل إن الآية ناظرة إلى صورة تعمد الكذب على الله، لانه عبر بالتقوّل، الذي هو تعمد القول.

تشهي حصول أمر محبوب ومرغوب فيه، فالرسول انما يتشهى ويتمنى ما يتناسب مع وظيفته كرسول، وأعظم أمنية لإنسان كهذا هي ظهور الحق والهدى، وطمس الباطل وكلمة الهوى فيلقي الشيطان بغوايته للناس ما يشوش هذه الامنية، ويكون فتنة للذين في قلوبهم مرض، كما ألقى فيما بين أمة موسى من الغواية ما القى، فينسخ الله بنور الهدى غواية الشيطان، ويظهر الحق للعقول السليمة.

وأما لو أردنا تطبيق الآية على ما يقولون. فإن المراد بالتمني يكون هو القراءة والتلاوة وهو معنى شاذ غريب، يخالف الوضع اللغوي وظاهر اللفظ، ولا نشك في أنه تفسير موضوع ومفتعل ليوافق الرواية المزعومة.

أما الشعر المنقول عن حسان بن ثابت، كشاهد على ذلك[١] فنعتقد: أنه مصنوع ومنسوب إليه للغرض نفسه، وما أكثر ما نجده من ذلك في كتب التاريخ:

وحتى لو قبلنا ان المراد بالتمني هو التلاوة، فإن من الممكن ان يكون معناه ما قاله المرتضى رحمه الله، وهو:

انه إذا تلا النبي على قومه الآيات حرفوها، وزادوا ونقصوا فيها، كما فعلت اليهود بالكذب على نبيهم فإضافة ذلك الى الشيطان إنما هو لأنه هو الموسوس لهم بذلك ثم يدحض الله ذلك ويزيله بظهور حجته[٢].

٣ ـ وأما بالنسبة لآيات سورة الإسراء التي يقولون: إنها نزلت في هذه المناسبة، وهي قوله تعالى: ﴿وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا

---

(١) ففي تنزيه الانبياء ص١٠٧: أن حسان بن ثابت قال:

على ان من الممكن أن يكون المقصود بالتمني هنا حب ذلك والشوق إليه.

(٢) تنزيه الانبياء ص١٠٧ وص١٠٨.

إليك لتفتري علينا غيره الخ﴾ فإنها تناقض وتنافي هذه القضية فكيف تكون قد نزلت من أجلها.

وذلك لأن هذ الآيات تقول: إنه «صلى الله عليه وآله وسلم» لم يركن إليهم، بل لم يقرب الى الركون إليهم، وأن الله قد ثبته، وأنه لو ركن لعوقب، وقضية الغرانيق تقول: إنه قد زاد على الركون، فاستجاب، وافترى، وأدخل في القرآن ما ليس منه.

ومعنى الآية: أن المشركين قد أصروا على ان يتركهم وشأنهم، وتفاوضوا معه، ومع أبي طالب كثيراً، فلربما يكون النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» قد فكر في أن يمهلهم قليلاً، لعلهم يفكرون ويرجعون؛ فجاءت الآية لتقول له: إن الصلاح في عدم الامهال، بل في الشدة.

هذا كله. عدا عن أنهم يقولون: إن آيات سورة الاسراء قد نزلت في ثقيف، حينما اشترطوا لاسلامهم شروطاً تزيد في شرفهم، وقيل: نزلت في قريش حينما منعته من استلام الحجر، وقيل: نزلت في يهود المدينة، عندما طلبوا منه ان يلحق بالشام.[1] وقد اقتصر القاضي البيضاوي على هذه الوجوه..

وسادساً: وأخيراً.. كيف سجد المشركون عند نهاية السورة لقوله تعالى: **﴿فاسجدوا لله واعبدوا﴾** مع انهم يرفضون السجود لله؟ قال تعالى: **﴿وإذ قيل لهم: اسجدوا للرحمان قالوا: وما الرحمان؟ انسجد لما تأمرنا وزادهم نفوراً﴾**

ثم كيف. لا يرتد أحد من المسلمين، او يتزلزل إيمانه حينما يعلم أن رسول الله قد مدح الأصنام، وجعل لها شفاعة[2]؟!.

---

(١) راجع: السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٢٦، والدر المنثور، وتفسير الخازن، وسائر كتب التفسير.

(٢) راجع هامش: الاكتفاء للكلاعي ج ١ ص ٣٥٣/٣٥٤.

تساؤلات حائرة:

وأخيراً.. فلا ندري كيف يمكن فهم وتعقل ما ذكرته بعض الروايات من أنه إنما حدث «صلى الله عليه وآله وسلم» نفسه بتلك الفقرات؟ فكيف علم قومه بذلك حتى فعلوا ما فعلوا، ثم بلغ الخبر إلى المسلمين في الحبشة، فجاؤوا.

وكذا قولهم: إن المشركين قد حملوا رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» وطاروا به في مكة من اسفلها الى أعلاها، فكيف لم يتساءل النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» عن سر هذا التبدل العظيم في موقف قومه؟!

وقولهم: إن هذه القضية قد كانت بعد شهرين من الهجرة الى الحبشة، نقول فيه، إنهم يقولون: إن عودة مهاجري الحبشة قد كانت بعد شهرين أيضاً. فهل وصل اليهم الخبر بالتلكس، او بالتلفون، وهل جاؤوا بالطائرة، أم بالصواريخ؟!

إلا أن يكون المراد أنهم بدأوا بالتوجه نحو مكة بعد شهرين من هجرتهم، وإن كان هذا بعيداً عن ظاهر اللفظ.

وكذا قولهم: إنه لما عرض «صلى الله عليه وآله وسلم» السورة على جبرائيل، وقرأ الفقرتين، أنكرهما جبرائيل فقال «صلى الله عليه وآله وسلم»: قلت على الله ما لم يقل؟ فأنزل الله، وإن كادوا ليفتنونك.

نقول فيه: إن الخطاب في الآية للنبي «صلى الله عليه وآله وسلم»: أن الناس كادوا يفتنونه، مع ان الرواية تنص على ان الشيطان هو الذي كاد ان يفتنه.

إلى غير ذلك من موارد الضعف والوهن والتناقض التي يمكن تلمّسها في هذا المجال.

حقيقة الأمر:

والظاهر هو ان حقيقة ما جرى هو ما قيل من: ان الكفار كانوا يكثرون اللغو واللغط حين قراءته «صلى الله عليه وآله وسلم» حتى لا يسمع أحد ما يقرأ قال تعالى: **﴿وقال الذين كفروا: لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه، لعلكم تغلبون﴾**[1] فحينما قرأ النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» سورة النجم، وانتهى الى هذا المورد، قال المشركون تلك الغرانيق العلى الخ[2].

نعم، ثم جاء القصاصون والحاقدون، ولعل منهم مسلمة أهل الكتاب، الذين ادخلوا الكثير من اسرائيلياتهم في الاسلام - جاؤا - ونسجوا حولها ما يتلاءم مع مصالحهم وأهدافهم الشريرة، من الطعن بعصمته «صلى الله عليه وآله وسلم»، ثم التشكيك بكل ما في القرآن، بحيث يتهيأ الجو لتطرق احتمالات من هذا النوع في كل سورة وآية، ثم التدليل على مدى جهل النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» وعدم إدراكه حتى المتناقضات الواضحة.

ثم خضوعه لسلطان الشيطان، وعدم قدرته على تمييز ما هو منه عما هو من غيره.

ولكننا نجدهم يقولون في مقابل ذلك، كما تقدم: ان الشيطان يفر من حس عمر[3] أولم يلق الشيطان عمر منذ أسلم إلا خر لوجهه[4]، أو ما

---

(١) فصلت الآية ٢٦.

(٢) السيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ١٢٨ وتنزيه الانبياء ص ١٠٧ وليراجع هامش الاكتفاء للكلاعي ج ١ ص ٣٥٤ عن السيهلي، وقد نقل الكلبي في كتاب الاصنام: أن قريشا كانت تقول هذه الكلمات في مدحها لاصنامها حول الكعبة - كما نقل.

(٣) الرياض النضرة ج ٢ ص ٣٠١.

(٤) عمدة القاريء ج ١٦ ص ١٩٦ وراجع تاريخ عمر ص ٦٢.

سلك عمر فجاً إلا سلك الشيطان فجاً آخر[١] ولعلهم ارادوا: ان يقولوا: ان للنبي شيطاناً يعتريه كما كان لابي بكر. . . وقد تقدم الحديث عن كل ذلك في بحوث سابقة.

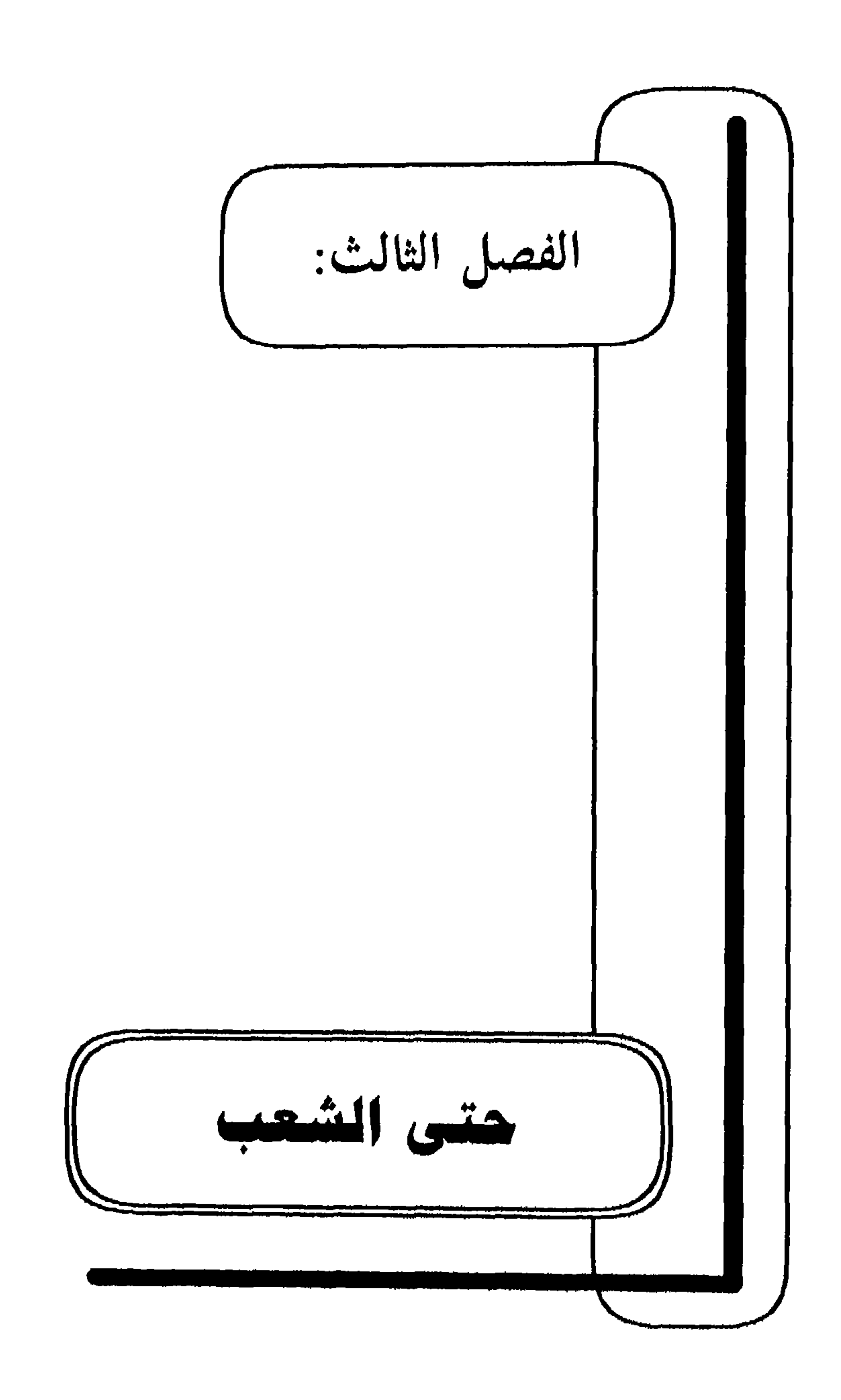
ثم جاء المستشرقون الحاقدون، أعداء الاسلام، فحاولوا الإستفادة من هذه الاباطيل والاساطير للطعن في نبينا الاعظم «صلى الله عليه وآله وسلم»[٢].

فأحبط الله سعيهم، ورد كيدهم في نحورهم. . . فان الحق كالصبح أبلج، وسيرة نبينا في النبل والصفاء والطهر من كل عيب وشين كذكاء في كبد السماء تتوهج.

---

(١) صحيح مسلم ج ٧ ص ١١٥ وفي تاريخ عمر ص ٣٥ ما يقرب من ذلك وكذلك ص ٦٢ والغدير ج ٨ ص ٩٤ ومسند احمد ج ١ ص ١٧١ و ١٨٢ و١٨٧ وصحيح البخاري ج ٢ ص ٤٤ و ١٨٨ وعمدة القاريء ج ١٦ ص ١٩٦.

(٢) راجع: تاريخ الشعوب الاسلامية ص ٣٤ لبروكلمان وكتاب الاسلام ص ٣٥/٣٦ لألفريد هيوم.



الفصل الثالث:

حتى الشعب

تناقضات في تاريخ اسلام حمزة عليه السلام:

ويقولون: إن إسلام حمزة بن عبد المطلب عليه السلام كان في الثانية من البعثة. ثم يقولون: إنه اسلم بعد دخوله «صلى الله عليه وآله وسلم» دار الأرقم. وهذا متناقض؛ لانه إنما دخل دار الأرقم في أواخر السنة الثالثة، كما يدّعون.

وتناقض آخر: انهم يذكرون انه أسلم قبل عمر بثلاثة ايام، مع أنهم يذكرون ان عمر اسلم في السنة السادسة بعد خروج النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» من دار الأرقم.

وهذا متناقض؛ لأنه «صلى الله عليه وآله وسلم» إنما دخلها في أواخر السنة الثالثة من البعثة ولمدة شهر واحد فقط كما يقال.. وسيأتي أن التحقيق هو: أن إسلام عمر كان بعد إسلام حمزة بسنوات.

اسلام حمزة (رض)

ونلاحظ: أن ابن هشام وغيره يذكرون اسلام حمزة «رحمه الله» بعد الهجرة إلى الحبشة، أي في حوالي السنة السادسة للبعثة، ونحن نرجع ذلك؛ لأنه حين اسلم ـ كما يقول المقدسي ـ «عز به النبي «صلى

الله عليه وآله وسلم» واهـل الإسلام، فشق ذلـك على المشركين، فعـدلوا عن المنابذة الى المعاتبة، واقبلوا يرغبونـه في المال والأنعـام، ويعرضـون عليه الأزواج[١]».

وعروضهم هذه إنما كانت بعـد الهجرة إلى الحبشـة، كما يفهم من سيرة ابن هشام. كما أنه إنما أسلم بعد الإعلان بالدعوة، وبعد مفاوضـات قريش مع أبي طالب وعروضها عليه، وبعد أن عدلوا عن ذلك إلى العداوة والأذى.

وعلى كـل حال، فقـد كان إسـلام حمزة تـطوراً جديـداً لـم يكن قد دخل في حسابات قريش، حيث قلب الموازين رأساً على عقب، وفتّ في عضد قريش، وزاد من مخاوفها، وكبح من جماحها.

فقد مر أبو جهل بالرسول عند الصفا، فآذاه وشتمه، ونال منـه بعض ما يكره من العيب لدينه، والتضعيف لأمـره، فلم يكلمه الـرسول صلى الله عليه وآله.

وكان حمزة صاحب صيد وقنص، وكان إذا رجع بدأ بالبيت، وطاف به، وسلم على من فيه، ورجع إلى بيته.

وفي هذه المرة كان حمزة راجعاً من صيده، فـأخبرتـه إحدى النسـاء بما كان من أبي جهـل تجاه الـرسول الأعـظم صلى الله عليه وآلـه وسلم، فاحتمل حمزة الغضب، ودخل المسجد، فرأى أبا جهل جالساً مـع القوم، فأقبل نحوه، حتى إذا قام على رأسه رفع القوس، فضربه بها ضربة شجـه بها شجة منكرة. ثم قال: أتشتمه وأنا على دينه، أقول مـا يقول؟ فـردّ علي ذلك إن استطعت وكان ذلك بعـد أن تضرع إليـه أبو جهـل، وأخذ بثـوبه،

---

(١) البدء والتاريخ ج ٤ ص ١٤٨/١٤٩، وهو الظاهر من سيرة ابن هشام، حيث ذكر هذه العروض بعد ذكره لاسلام حمزة «عليه السلام».

فلم يقبل منه.

فقام رجال من بني مخزوم، لينصروا أبا جهل، فقالوا لحمزة: ما نراك إلا قد صبأت؟ فقال حمزة: وما يمنعني؟ وقد استبان لي منه أنه رسول الله، والذي يقول حق؟! فوالله لا أنزع، فامنعوني إن كنتم صادقين.

فقال أبو جهل: دعوا أبا عمارة، فإني والله لقد سببت ابن أخيه سباً قبيحاً.

يقول المقدسي: «فلما أسلم حمزة عُزَّ به الدين والنبي «صلى الله عليه وآله وسلم»[1]»، وسرّ رسول الله بإسلامه كثيراً.

وعلمت قريش: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» قد عز وامتنع، فكفوا عما كانوا ينالونه منه. وقال حمزة للنبي «صلى الله عليه وآله وسلم»: فأظهر يابن أخي دينك، فوالله ما أحب أن لي ما أظلته السماء، وأني على دين الأول[2].

وكان حمزة أعزفتى في قريش، وأشدهم شكيمة[3].

إسلام حمزة كان عن وعي لا حمية:

والظاهر، بل الصريح من كلام حمزة رحمه الله، ولا سيما قوله الأخير: «وما يمنعني، وقد استبان لي منه: أنه رسول الله، والذي يقول حق» أنّه لم يكن في إسلامه منطلقاً من عاطفته التي أثيرت وحسب، وإنما

---

(١) البدء والتاريخ ج ٥ ص ٩٨.

(٢) راجع: تاريخ الامم والملوك ج ٢ ص ٧٢ ـ ٧٣ والسيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ٣١٢.

(٣) راجع: تاريخ الامم والملوك ج ٢ ص ٧٢.

سبقت ذلك قناعة كاملة، كوّنها مما شاهده عن قرب من مواقف وسلوك، وسمعه من أقوال النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد يستفاد من قوله: أتشتمه وأنا على دينه أن إسلامه كان متقدماً على ذلك الوقت، ولكنه كان يتكتم به مراعاة للظروف، وحفاظاً على الإسلام والمسلمين، الذين كانوا أضعف من أن يتمكنوا من مواجهة قريش وجبروتها. ولربما كان بعضهم بحاجة إلى المزيد من التربية النفسية الخاصة، ليتمكن من مواجهة تلك الظروف القاسية مع المشركين.

سرّ جبن أبي جهل في مواجهة حمزة:

ولا بُدَّ من التذكير هنا: بأن أبا جهل، عظيم المشركين وجبارهم مع أنه كان بين أهله وعشيرته، ومع أن عشيرته قد أعلنت عن استعدادها لنصرته، فإنه كان أجبن وأذل من أن يقف في وجه أسد الله وأسد رسوله، وما ذلك إلا لأنه كان من جهة: يعلم فتوّة حمزة وعزته، وشدة شكيمته وبطولته، ورأى مدى تصميمه وإصراره، وعرف مقدار استعداده للتضحية والفداء في سبيل دينه، وعقيدته.

ومن الجهة الأخرى: فإن أبا جهل إنما كان يحارب النبي صلى الله عليه وآله ويناقضه، حباً بالحياة، ومن أجل الدنيا، فهو إذن لا يريد الموت إطلاقاً، بل هو يهرب منه، ويعده خسارة له، ما بعدها خسارة. أما حمزة رحمه الله، فكان يعتبر الموت في سبيل هذا الدين نصراً وفوزاً، تماماً بالمقدار الذي يعتبره أبو جهل، ومن هم على شاكلته خسراناً وضياعاً فلماذا إذن يخشى الموت ويخافه؟، بل لماذا لا يكون الموت عنده أحلى من العسل، وألذ من الشهد؟.

ومن جهة ثالثة: فإن أبا جهل لم يكن على استعداد لأن يحارب بني هاشم في تلك الفترة، التي كان له فيهم أنصار كثيرون، لأن حربه لهم لسوف تؤدي إلى أن يخسر هؤلاء الذين يلتقي معهم فكرياً وعقيدياً، لأنهم

بحكم المنطق القبلي الذي يهيمن على مواقفهم وتصرفاتهم لن يتركوا ابن أخيهم، حتى ولو كان على غير دينهم، (وقد وعدوا أبا طالب باستثناء أبي لهب أن يمنعوا محمداً ممن يريد به سوءاً كما تقدم). بل إن تحرك أبي جهل في ظروف كهذه لربما يؤدي إلى ترسيخ أمر محمد، وإلى دخول الكثيرين من بني هاشم في دينه، حمية وانتصاراً. وهذا ما لايريده أبو جهل، ولا يرغب فيه.

إذن، فقد كانت جميع الظروف تدفعه إلى الاستسلام للذل والهوان في مقابل أسد الله وأسد رسوله.

والخلاصة: أن حب أبي جهل للحياة، وجبنه، ثم ما كان يراه من الصلاح في عدم التصعيد في مناهضة محمد وبني هاشم. قد جعله في موقف الذليل المهان.

وجعل الله كلمة الباطل هي السفلى، وكلمة الحق هي العليا.

ملاحظة هامة:

والملاحظ هنا: أنه بعد إسلام حمزة بن عبد المطلب تتراجع قريش، وتليّن من موقفها، وتدخل في مفاوضات معه «صلى الله عليه وآله وسلم»، وتعطيه بعض ما يُريد، لأنها رأت أن المسلمين يزيد عددهم ويكثر، فكلّمه عتبة، فأبى «صلى الله عليه وآله وسلم» كل عروضهم[1].

عبس وتولى:

ويذكر المؤرخون بعد قضية الغرانيق، القضية التي نزلت لأجلها سورة عبس وتولى، المكية، والتي نزلت بعد سورة النجم. وملخص هذه

---

(١) راجع: كنز العمال: ج ١٤ ص ٤٨ عن البيهقي في الدلائل، وابن عساكر.

القضية:

أن النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» كان يتكلم مع بعض زعماء قريش، ذوي الجاه والمال، فجاءه عبد الله بن أم مكتوم ـ وكان أعمى ـ فجعل يستقرىء النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» آية من القرآن، قال: يا رسول الله، علمني مما علمك الله. فاعرض عنه رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» وعبس في وجهه، وتولى، وكره كلامه، وأقبل على أولئك الذين كان «صلى الله عليه وآله وسلم» قد طمع في إسلامهم، فأنزل الله تعالى:

﴿عبس وتولى. أن جاءه الأعمى. وما يدريك لعله يزكى. أو يذّكر فتنفعه الذكرى، أما من استغنى. فأنت له تصدى، وما عليك ألاّ يزكى. وأما من جاءك يسعى. وهو يخشى. فأنت عنه تلهّى﴾[١].

وفي رواية: أنه «صلى الله عليه وآله وسلم» كره مجيء، ابن أم مكتوم وقال في نفسه: يقول هذا القرشي: إنما اتباعه العميان والسفلة، والعبيد، فعبس «صلى الله عليه وآله وسلم» إلخ. . (وكأن ذلك الزعيم لم يكن يعلم بذلك!! وكأن قريشاً لم تكن قد صرحت بذلك وأعلنته!!).

وعن الحكم: ما رؤي رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» بعد هذه الآية متصديا لغني، ولا معرضاً عن فقير.

وعن ابن زيد: لو أن رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» كتم شيئاً من الوحي، كتم هذا عن نفسه[٢].

---

(١) سورة عبس/١ ـ ١٠.

(٢) راجع في هذه الروايات: مجمع البيان ج ١٠ ص ٤٣٧ والميزان عن المجمع وتفسير ابن كثير ج ٤ ص ٤٧٠ عن الترمذي، وابي يعلى، وحياة الصحابة ج ٢ ص ٥٢٠ عنه، وتفسير الطبري ج ٣٠ ص ٣٣/٣٤، والدر المنثور ج ٦ ص ٣١٤/٣١٥. وأي تفسير قرآن آخر لغير الشيعة؛ فانك تجد فيه الروايات المختلفة التي تصب في هذا الاتجاه، فراجع الأخير على سبيل المثال.

فابن زيد يؤكد بكلامه هذا على مدى قبح هذا الأمر، وعلى مدى صراحة الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم»، حتى إنه لم يكتم هذا الأمر، رغم شدة قبحه وشناعته!.

لقد أجمع المفسرون، وأهل الحديث، باستثناء شيعة أهل البيت عليهم السلام ـ على أصل القضية المشار إليها.

ونحن نرى: أنها قضية مفتعلة، لا يمكن أن تصح. وذلك.

أولاً: لضعف أسانيدها، لأنها تنتهي: إما إلى عائشة، وأنس، وابن عباس، من الصحابة، وهؤلاء لم يدرك أحد منهم هذه القضية أصلاً، لأنه إما كان حينها طفلاً، أو لم يكن ولد[1].

أوالى أبي مالك[2]، والحكم، وابن زيد، والضحاك، ومجاهد، وقتادة، وهؤلاء جميعاً من التابعين فالرواية مقطوعة، لا تقوم بها حجة.

وثانياً: تناقض نصوصها[3] حتى ما ورد منها عن راو واحد، فعن عائشة. في رواية: إنه كان عنده رجل من عظماء المشركين، وفي أخرى عنها: عتبة وشيبة، وفي ثالثة عنها: في مجلس فيه ناس من وجوه قريش، منهم أبو جهل، وعتبة بن ربيعة.

وفي رواية عن ابن عباس: إنه «صلى الله عليه وآله وسلم» كان يناجي عتبة، وعمه العباس، وأبا جهل. وفي التفسير المنسوب إلى ابن عباس: إنهم العباس، وأمية بن خلف، وصفوان بن أمية.

وعن قتادة: أمية بن خلف. وفي أخرى عنه: أبي بن خلف.

---

(١) راجع: الهدى إلى دين المصطفى ج ١ ص ١٥٨.

(٢) الظاهر أن المراد به أبا مالك الاشجعي، المشهور بالرواية، وتفسير القرآن، وهو تابعي.

(٣) راجع: الهدى إلى دين المصطفى ج ١ ص ١٥٨/١٥٩.

وعن مجاهد: صنديد من صناديد قريش، وفي أخرى عنه: عتبة بن ربيعة، وأمية بن خلف.

هذا، عدا عن تناقض الروايات مع بعضها البعض في ذلك، وفي نقل ما جرى، وفي نص كلام الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم»، ونص كلام ابن أم مكتوم. ونحن نكتفي بهذا القدر، ومن أراد المزيد فعليه بالمراجعة والمقارنة.

وثالثاً: إن ظاهر الآيات المدعى نزولها في هذه المناسبة هو أنه كان من عادة هذا الشخص وطبعه، وسجيته، وخلقه: أن يتصدى للغني، ويهتم به ولوكان كافراً ويتلهى عن الفقير ولا يبالي به أن يتزكى، ولو كان مسلماً. وكلنا يعلم: أن هذا لم يكن من صفات وسجايا نبينا الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، ولا من طبعه، وخلقه.

كما أن العبوس في وجه الفقير، والإعراض عنه، لم يكن من صفاته «صلى الله عليه وآله وسلم» حتى مع أعدائه، فكيف بالمؤمنين من أصحابه وأودّائه[1]. وهوالذي وصفه الله تعالى بأنه﴿**بالمؤمنين رؤوف رحيم**﴾[2].

بل لقد كان من عادته صلى الله عليه وآله مجالسة الفقراء، والاهتمام بهم، حتى ساء ذلك أهل الشرف والجاه، وشق عليهم. وطالبه الملأ من قريش بأن يبعد هؤلاء عنه ليتبعوه، وأشار عليه عمر بطردهم، فنزل قوله تعالى: ﴿**ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه**﴾[3].

---

(١) راجع: الهدى إلى دين المصطفى ج ١ ص ١٥٨، والميزان ج ٢٠ ص ٢٠٣، وتنزيه الانبياء ص ١١٩ ومجمع البيان ج ١ ص ٤٣٧.

(٢) سورة التوبة الآية/١٢٨.

(٣) راجع: الدر المنثور ج ٣ ص ١٢/١٣.

ويظهر: أن الآية قد نزلت قبل الهجرة إلى الحبشة لوجود ابن مسعود في الرواية. أو حين بلوغهم أمر الهدنة، ورجوعهم إلى مكة.

ولكن يبقى إشكال أن ذكر عمر في هذا المقام في غير محلّه، لأنه لم يكن قد أسلم حينئذٍ لأنه إنما أسلم قبل الهجرة إلى المدينة بيسير، كما سنرى.

كما أن الله تعالى قد وصف نبيه في سورة القلم التي نزلت قبل سورة عبس وتولّى بأنه على خلق عظيم، فإذا كان كذلك، فكيف يصدر عنه هذا الأمر المنافي للأخلاق، والموجب للعتاب واللوم منه تعالى لنبيه «صلى الله عليه وآله وسلم»، فهل كان الله ـ والعياذ بالله ـ جاهلاً بحقيقة أخلاق نبيه؟ أم أنه يعلم بذلك، لكنه قال هذا لحكمة ولمصلحة اقتضت ذلك؟ نعوذ بالله من الغواية، عن طريق الحق والهداية.

ورابعاً: إن الله تعالى يقول في الآيات: **﴿وما عليك ألا يزّكى﴾**، وهذا لا يناسب أن يخاطب به النبي «صلى الله عليه وآله وسلم»، لأنه مبعوث لدعوة الناس وتزكيتهم. وكيف لا يكون ذلك عليه، مع أنه هو مهمته الأولى والأخيرة، ولا شيء غيره. ألم يقل الله تعالى: **﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة؟﴾**[1] **فكيف يغريه بترك الحرص على تزكية قومه**[2].

خامساً: لقد نزلت آية الانذار: **﴿وأنذر عشيرتك الأقربين * واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾**[3] قبل سورة عبس بسنتين فهل نسي «صلى الله عليه وآله وسلم»: أنه مأمور بخفض الجناح لمن

---

(١) سورة البقرة الآية/١٢٩.

(٢) تنزيه الانبياء ص ١١٩.

(٣) الشعراء/٢١٤ ـ ٢١٥.

اتبعه؟ وإذا كان نسي، فما الذي يؤمننا من أن لا يكون قد نسي غير ذلك أيضاً؟، وإذا لم يكن قد نسي، فلماذا يتعمد أن يعصي هذا الأمر الصريح؟![1].

سادساً: إنه ليس في الآية ما يدل على أنها خطاب للنبي «صلى الله عليه وآله وسلم»، بل الله سبحانه يخبر عن رجل ما أنه: ﴿**عبس وتولى * أن جاءه الأعمى**﴾ثم التفت الله تعالى بالخطاب الى ذلك العابس نفسه، وخاطبه بقوله: ﴿**وما يدريك لعله يزكى**﴾الخ . .

سابعاً: لقد ذكر العلامة الطباطبائي: أن الملاك في التفضيل وعدمه ليس هو الغنى والفقر، وانما هوالاعمال الصالحة، والسجايا الحسنة، والفضائل الرفيعة. وهذا حكم عقلي وجاء به الدين الحنيف، فكيف جازله «صلى الله عليه وآله وسلم»أن يخالف ذلك، ويميز الكافر لما له من وجاهة على المؤمن؟[2].

والقول: بأنه إنما فعل ذلك لأنه يرجو إسلامه، وعلى أمل أن يتقوى به الدين، وهذا أمر حسن، لأنه في طريق الدين، وفي سبيله.

لا يصح، لأنه يخالف صريح الآيات التي تنص على أن الذم له كان لأجل أنه يتصدى لذاك الغني لغناه، ويتلهى عن الفقير لفقره.

ولو صح هذا، فقد كان اللازم أن يفيض القرآن في مدحه واطرائه على غيرته لدينه، وتحمسه لرسالته؛ فلماذا هذا الذم والتقريع إذن.

ونشير أخيراً: إلى أن البعض قد ذكر: أنه يمكن القول بأن الآية خطاب كلي مفادها: أن النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» كان إذا رأى

---

(١) الميزان ج ٢٠ ص ٣٠٣.

(٢) راجع: الميزان ج ٢٠ ص ٣٠٤.

فقيراً تأذى وأعرض عنه.

والجواب: .

أولاً: إن هذا يخالف القصة التي ذكروها من كونها قضية في واقعة واحدة لم تتكرر. .

وثانياً: إذا كان المقصود هو الإعراض عن مطلق الفقير؛ فلماذا جاء التنصيص على الأعمى؟!.

وثالثاً: هل صحيح أنه قد كان من عادة النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» ذلك؟!!.

المذنب رجل آخر:

فيتضح مما تقدم: أن المقصود بالآيات شخص آخر غير النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» ويؤيد ذلك:

ما روي عن الإمام جعفر الصادق «عليه السلام»، انه قال: كان رسول الله إذا رأى عبد الله بن أم مكتوم قال: مرحبا، مرحباً، والله لا يعاتبني الله فيك أبداً. وكان يصنع به من اللطف، حتى يكف عن النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» مما كان يفعل به[1].

فهذه الرواية تشير إلى أن الله تعالى لم يعاتب نبيه في شأن إبن أم مكتوم، بل فيها تعريض بذلك الرجل الذي ارتكب في حق ابن أم مكتوم تلك المخالفة، إن لم نقل: إنه يستفاد من الرواية نفي قاطع حتى لإمكان صدور مثل ذلك عنه «صلى الله عليه وآله وسلم»، بحيث يستحق العتاب والتوبيخ؛ إذ لا معنى لهذا النفي لو كان الله تعالى قد عاتبه فعلاً.

---

(١) تفسير البرهان ج ٤ ص ٤٢٨، وتفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٥٠٩، ومجمع البيان ج ١٠ ص ٤٣٧.

هذا ولكن الأيدي غير الأمينة قد حرفت هذه الكلمة؛ فادعت أنه «صلى الله عليه وآله وسلم» كان يقول: مرحباً بمن عاتبني فيه ربي. فلتراجع كتب التفسير، كالدر المنثوروغيره.

والصحيح هو ما تقدم.

سؤال وجوابه:

ولعلك تقول: إنه إذا كان المقصود بالآيات شخصاً آخر؛ فما معنى قوله تعالى: «فأنت له تصدى» وقوله: «فأنت عنه تلهى» فان ظاهره: أن هذا التصدي والتلهي من قبل من يهمه هذا الدين؛ فيتصدى لهذا، ويتلهى عن ذاك.

فالجواب: انه ليس في الآيات ما يدل على أن التصدي كان لأجل الدعوة إلى الله او لغيرها. فلعل التصدي كان لأهداف أخرى دنيوية، ككسب الصداقة، او الجاه، او نحو ذلك. وقوله تعالى: «لعله يزكى» ليس فيه أنه يزكى على يد المخاطب، بل هو أعم من ذلك، فيشمل التزكي على يد غيره ممن هم في المجلس، كالنبي «صلى الله عليه وآله وسلم» أو غيره.

ثم لنفرض: أنه كان التصدي لأجل الدعوة، فإن ذلك ليس محصوراً به «صلى الله عليه وآله وسلم»؛ فهم يقولون: إن غيره كان يتصدى لذلك أيضاً، وأسلم البعض على يديه، لو صح ذلك!.

الرواية الصحيحة:

وبعد ما تقدم، فإن الظاهر هو أن الرواية الصحيحة، هي ما جاء عن الإمام الصادق «عليه السلام»: أنها نزلت في رجل من بني أمية كان عند

النبي «صلى الله عليه وآله وسلم»؛ فجاءه ابن أم مكتوم. فلما جاءه تقذر منه، وعبس في وجهه، وجمع نفسه، وأعرض بوجهه عنه، فحكى الله سبحانه ذلك عنه، وانكره عليه[١].

ويلاحظ: أن الخطاب في الآيات لم يوجه اولاً الى ذلك الرجل؛ بل تكلم الله سبحانه عنه بصورة الحكاية عن الغائب: إنه عبس، وتولى، أن جاءه الأعمى. ثم التفت اليه بالخطاب، فقال له مباشرة: وما يدريك.

ويمكن أن يكون الخطاب في الآيات اولاً للنبي «صلى الله عليه وآله وسلم»، من باب: إياك أعني واسمعي يا جارة. والأول أقرب، وألطف ذوقاً.

إتهام عثمان:

وبعض الرويات تتهم عثمان بهذه القضية، وانه هو الذي جرى له ذلك مع إبن أم مكتوم[٢].

ولكننا نشك في هذا الامر، لأن عثمان قد هاجر إلى الحبشة مع من هاجر ـ فمن أين جاء عثمان إلى مكة، وجرى منه ما جرى؟!.

إلا أن يقال: إنهم يقولون: إن أكثر من ثلاثين رجلاً قد عادوا إلى مكة بعد شهرين من هجرتهم كما تقدم، وكان عثمان منهم ثم عاد إلى الحبشة[٣].

---

(١) مجمع البيان ج ١٠ ص ٤٣٧ وتفسير البرهان ج ٤ ص ٤٢٨، وتفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٥٠٩.

(٢) تفسير القمي ج ٢ ص ٤٠٥ وتفسير البرهان ج ٤ ص ٤٢٧، وتفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٥٠٨.

(٣) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣.

وعلى كـل حال، فـإن أمـر اتهـام عثمـان[١] او غيـره من بني أميـة، لأهـون بكثير من اتهـام النبي المعصوم، الـذي لا يمكن أن يصدر منـه أمر كهـذا على الاطلاق. وإن كـان يهـون على البعض إتهـام النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» بها او بغيرها، شريطة أن تبقى ساحـة قدس غيـره منزهـة وبريئة!!.

تاريخ هذه القضية:

ونسجل أخيراً: تحفظاً على ذكر المؤرخين لرواية ابن مكتوم ونزول سـورة عبس، بعد قضيـة الغرانيق؛ فـإن الظاهـر هـو أن هـذه القضيـة قـد حصلت قبل الهجرة الى الحبشة لأن عثمان كان قد هاجر الى الحبشـة قبل قضية الغرانيق بشهرين كما يقولون.

إلا أن يكـون عثمان قـد عاد الى مكـة مـع من عـاد بعـد ان سمعـوا بقضية الغرانيق كما يدّعون.

أعداء الإسلام وهذه القضية:

وممـا تجدر الإشـارة إليه هنـا: أن بعض المسيحيين الحاقـدين قد حـاول ان يتخذ من قضيـة عبس وتولى وسيلة للطعن في قدسية نبينا الأعظم «صلى الله عليه وآله وسلـم»[٢]. ولكن الله يأبى إلا أن يتم نوره ولو كره

---

(١) ونحن نجد في عثمان بعض الصفات التي تنسجم مع مدلول الآية، كما يشهد له قضيته مع عمار حين بناء المسجد في المدينة، حين ردد عمار ما ارتجز به علي «عليه السلام» تعريضاً بعثمان:

لا يستوي من يعمر المساجدا يدأب قائماً وقاعدا
ومن يرى عن التراب حائدا

وستأتي هذه القضية إن شاء الله تعالى.

(٢) راجع: الهدى إلى دين المصطفى ج ١ ص ١٥٨.

الكافرون. فها نحن قد اثبتنا: أنها اكاذيب وأباطيل ما انزل الله بها من سلطان.

أكاذيب أخرى مشابهة:

وبالمناسبة فقد رووا: أن الاقرع بن حابس، وعيينة بن حصن، جاءا الى النبي «صلى الله عليه وآله وسلم»، فوجداه قاعداً مع عمار، وصهيب، وبلال وخباب، وغيرهم من ضعفاء المؤمنين، فحقروهم، فخلوا بالنبي «صلى الله عليه وآله وسلم»، فقالوا: إن وفود العرب تأتيك؛ فنستحي أن يرانا العرب قعوداً مع هذه الاعبد؛ فإذا جئناك فأقمهم عنا، قال: نعم.

قالوا: فاكتب لنا عليك كتاباً؛ فدعا بالصحيفة، ودعا علياً ليكتب، فنزل قوله تعالى: **﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء﴾** الخ. .[1] فرمى «صلى الله عليه وآله وسلم» بالصحيفة، ودعاهم وجلس معهم، وصار دأبه هذا: أن يجلس معهم، فإذا أراد ان يقوم قام وتركهم فأنزل الله تعالى: **﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم﴾**[2]. فكان يجلس معهم إلى أن يقوموا عنه وفي بعض الروايات: إنهم يقصدون أبا ذر وسلمان[3].

---

(١) الانعام الآية٥٢.

(٢) الكهف الآية٢٨.

(٣) حلية الاولياء ج ١ ص ١٤٦ ـ ٣٤٥، وراجع مجمع البيان ج ٤ ص ٣٠٥/٣٠٦. والبداية والنهاية ج ٦ ص ٥٦ وعن كنز العمال ج ١ ص ٢٤٥ وج ٧ ص ٤٦ عن ابن أبي شيبة وابن عساكر. والدر المنثور في تفسير الآيات المشار إليها. عن العديد من المصادر.

ويرد هذه الاباطيل جميع ما تقدم حين الكلام عن قصة ابن أم مكتوم، ولذلك فلا حاجة الى الاعادة.

وأيضاً فقد استفاض: أن سورة الانعام قد نزلت دفعة واحدة في مكة[١]، فما معنى أن تكون هذه الايات قد نزلت بهذه المناسبة في المدينة.

والقول بأن نزولها كذلك لا ينافي كون هذه الآيات نزلت بهذه المناسبة.

مرفوض لأنها قد نزلت دفعة واحدة قبل الهجرة، بعد إسلام الأنصار، لأنها نزلت وأسماء بنت يزيد الانصارية آخذة بزمام ناقة النبي «صلى الله عليه وآله وسلم»[٢] والآية نزلت في المدينة على الفرض.

على أن قصة عبس وتولى وحدها كافية لأن يرتدع النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» عن أمر كهذا ـ ولا سيما إذا كانت تؤنب غيره «صلى الله عليه وآله وسلم»، ممن هو ليس بمعصوم على فعل كهذا.

ثم ان سلمان إنما أسلم في المدينة، كما أن ابا ذر قد فارق النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» فور إسلامه، وأقام بعسفان على طريق قوافل مكة، كما قدمنا.

والظاهر هو انهم أصروا على النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» أن يبعد الفقراء عنه، حتى توسطوا لدى أبي طالب في ذلك، وأشار عليه عمر بقبول ذلك كما جاء في بعض الرويات، فجاءت هذه الآيات في ضمن سورة الانعام بمثابة رد عليهم، وتفنيد لرأيهم. وليس في الآيات ما يدل على قبوله «صلى الله عليه وآله وسلم» بذلك، كما تدعيه الروايات

---

(١) راجع الميزان ج ٧ ص ١١٠.

(٢) الدر المنثور ج ٣ ص ٢٢.

المزعومة آنفاً.

ولم نتوسع في بيان وجوه الاختلاف بين الروايات، ونقاط الضعف فيها، والرد على هذه المزاعم، اعتماداً على ما ذكرناه في قضية ابن أم مكتوم المتقدمة.

بل إن ظاهر الآية الأولى: أن طرد الذين يدعون ربهم إلخ.. قد كان عقاباً لهم على أمر صدر منهم، وذلك بقرينه قوله تعالى فيها: «ما عليك من حسابهم من شيء». فكأن الله سبحانه قد رفع التكليف عنه «صلى الله عليه وآله وسلم» بمؤاخذتهم، رفقاً منه تعالى بهم، وعطفاً عليهم.

قضية إسلام عمر بن الخطاب:

ويقولون: إن عمر بن الخطاب قد أسلم في السنة السادسة من البعثة، بعد إسلام حمزة بثلاثة أيام؛ حيث خرج متوشحاً سيفه، يريد رسول الله، ورهطاً من أصحابه، وهم قريب من أربعين رجلاً في دار الارقم عند الصفا، فيهم أبو بكر، وحمزة، وعلي، وغيرهم ممن لم يخرج إلى الحبشة، فالتقى عمر بنعيم بن عبدالله، فسأله عن أمره، فأخبره: أنه يريد أن يقتل محمداً.

فذكر له نعيم: أنه إن قتله لا ينجو من بني عبد مناف، وأن صهره وأخته قد أسلما، فرجع عمر إليهما، وعندهما، خباب بن الأرت يعلمهما سورة طه، فلما سمعوا حسه، اختبأ خباب في مخدع، وخبأت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة تحت فخذها.

فدخل عمر، وبعد كلام بطش عمر بختنه، وشج أخته، فأخبرته حينئذٍ أنهما قد أسلما؛ فليصنع ما بدا له. فندم عمر، وارعوى لما رأى الدم بأخته، وطلب الصحيفة فلم تعطه إياها حتى حلف بآلهته ليردنها إليها، فقالت له: إنك نجس على شركك، ولا تغتسل من الجنابة، وهذا

لا يمسه إلا المطهرون.

فقام عمر، فاغتسل (توضأ)، ثم قرأ من الصحيفة صدراً وكان كاتباً، فاستحسنه، وظهر له خباب، وأخبره: أن النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» قد دعاله بأن يعز الإسلام به أو بأبي جهل. فطلب منه عمر: أن يدله على الرسول ليسلم؛ ففعل، فذهب إليهم، وضرب الباب، فنظر رجل منهم من خلل الباب؛ فرآه متوشحاً السيف، فرجع إلى الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» فزعاً. فأخبره.

فقال حمزة: فأذن له، فان كان جاء يريد خيراً بذلناه له، وإن كان يريد شراً، قتلناه بسيفه. فأذن له، ونهض اليه «صلى الله عليه وآله وسلم» حتى لقيه في الحجرة، فأخذ بمجمع رداءه، ثم جبذه جبذة شديدة، وتهدده، فأخبره عمر: أنه جاء ليسلم، فكبر «صلى الله عليه وآله وسلم»، وكبر المسلمون تكبيرة سمعها من في المسجد.

ثم طلب عمر من الرسول: أن يخرج ويعلن أمره، قال عمر: فأخرجناه في صفين: حمزة في أحدهما، وأنا في الآخر، له كديد(أي غبار) ككديد الطحين، حتى دخلنا المسجد. قال: فنظرت إلي قريش فأصابتهم كآبة لم تصبهم مثلها. فسماه رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم»: بـ «الفاروق» يومئذ.

وفي رواية: أن قريشاً اجتمعت وتشاورت فيمن يقتل محمداً، فقال عمر: أنا لها. فقالوا: أنت لها يا عمر، فخرج متقلداً السيف، فالتقى بسعد بن أبي وقاص، وجرت بينهما مشادة، حتى سلّ كل منهما سيفه؛ فأخبره سعد بخبر أخته الخ . .

وفي ثالثة: أنهم خرجوا وعمر أمامهم، ينادي: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، فلما سألته قريش عما وراءه تهددهم بأنه إن تحرك منهم أحد ليمكنن سيفه منه، ثم تقدم أمام رسول الله، يطوف الرسول، ويحميه

عمر، ثم صلى «صلى الله عليه وآله وسلم» الظهر معلناً.

وفي رابعة: أنه لما أسلم ـ وكان المسلمون يضربون ـ جاء الى خاله أبي جهل ـ كما عند ابن هشام، وقال ابن الجوزي: هو غلط بل خاله العاص بن هاشم ـ فأعلمه بإسلامه، فأجاف الباب، فذهب الى آخر من كبراء قريش فكذلك. فقال في نفسه: ما هذا بشيء الناس يضربون، وأنا لا يضربني أحد؛ فاستدل على أنقل رجل للحديث، فدلوه، فأعلمه بإسلامه؛ فنادى في قريش بذلك، فقاموا اليه يضربونه؛ فأجاره خاله، فانكشف الناس عنه.

ولكنه عاد فرد عليه جواره؛ لأن الناس يضربون ولا يضرب. قال: فلم يزل يضرب، حتى أظهر الله الاسلام.

وفي خامسة: أنه ذهب ليطوف، فقال له أبو جهل: زعم فلان أنك صبأت؟ فتشهد الشهادتين، فوثب عليه المشركون. فوثب عمر على عتبة بن ربيعة، وبرك عليه، وجعل يضربه، وجعل إصبعيه في عينيه، فجعل عتبة يصيح، فتنحى الناس عنه، فقام عمر، فجعل لا يدنو منه إلا أحد شريف، وجعل حمزة يكشف الناس عنه.

وفي سادسة: أنه كان صاحب خمر في الجاهلية؛ فقصد ليلة المجلس المألوف له، فلم يجد فيه أحداً، فطلب فلاناً الخمار، فكذلك، فذهب ليطوف فوجد محمدا يصلي، فأحب الإستماع إليه، فدخل تحت ثياب الكعبة وسمع، فدخل الإسلام في قلبه فلما انصرف الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» وذهب الى داره التي يسكنها المعروفة بالرقطاء لحقه في الطريق، وأسلم. ثم انصرف الى بيته.

وفي العمدة: قيل أسلم عمر بعد ثلاثة وثلاثين رجلا وست نسوة، وقال ابن المسيب بعد أربعين وعشر نسوة، وقال عبدالله بن ثعلبة: بعد خمس وأربعين وإحدى عشرة إمرأة. وقيل: أسلم تمام الاربعين؛ فنزل

قوله تعالى: يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين [١].

وثمة أوسمة أخرى:

ويقولون: إنه «صلى الله عليه وآله وسلم» كان قد دعا قبل إسلام عمر، فقال: اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب. وفي نص آخر: اللهم أيد(أو أعز) الإسلام بأبي الحكم بن هشام، أو بعمر بن الخطاب، وكان دعاؤه «صلى الله عليه وآله وسلم») يوم الأربعاء، وإسلام عمر يوم الخميس.

وعن ابن عمر: انه «صلى الله عليه وآله وسلم» قال: اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين اليك: بأبي جهل، او بعمر بن الخطاب، قال: وكان أحبهما اليه عمر.

وقالوا: إن اسلام عمر كان فتحاً، وأن هجرته نصراً، وأن أمارته

---

(١) راجع في مجموع ما تقدم: الاوائل للعسكري ج ١ ص ٢٢١/٢٢٢، والثقات لابن حبان ص ٧٢ ـ ٧٥ والبدء والتاريخ ج ٥ ص ٨٨ ـ ٩٠ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٦١ عن البزار والطبراني، وتاريخ الطبري حوادث سنة ٢٣، وطبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٩١، وعمدة القاري للعيني ج ٨ ص ٦٨، وسيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٦٦ ـ ٣٧٤، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٢٩٥ ـ ٢٩٧ وتاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص ٢٣ ـ ٣٠، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٣١ و ٧٢ ـ ٨٠، والسيرة الحلبية ج ١ ص ٣٢٩ ـ ٣٣٥، والسيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ١٣٢ ـ ١٣٧ ومصنف الحافظ عبد الرزاق ج ٥ ص ٣٢٧/٣٢٨، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٢ ص ١٨٢/١٨٣، واسباب النزول للواحدي وحياة الصحابة ج ١ ص ٢٧٤ ـ ٢٧٦، والاتقان ج ١ ص ١٥، والدر المنثور ج ٣ ص ٢٠٠ وكشف الأستار عن مسند البزار ج ٣ ص ١٦٩ ـ ١٧٢ ولباب النقول ط دار احياء العلوم ص ١١٣، إلى غير ذلك من كتب الحديث والتاريخ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٢ ص ٤ ـ ٩ ط دار النصر للطباعة.

كانت رحمة. وأنه لما أسلم قاتل حتى صلى المسلمون عند الكعبة [1]

إلى غير ذلك مما لا مجال له هنا.

وقد استغرب الترمذي هذه الاحاديث رغم تصحيحه لبعضها.

ونحن نشك في صحة كل ما تقدم، بل ونطمئن الى بطلانه جميعاً من الاساس، ولبيان ذلك نشير الى النقاط التالية:

١ ـ متى كان إسلام عمر:

تذكر تلك الروايات: أن عمر قد أسلم بعد إسلام حمزة بن عبد المطلب «صلى الله عليه وآله وسلم» بثلاثة أيام. وكان إسلامه سبباً لخروجه «صلى الله عليه وآله وسلم» من دار الارقم، بعد أن تكامل المسلمون أربعين رجلاً، أوما هو قريب من ذلك.

ونحن نشير هنا إلى:

ألف: إن الخروج من دار الارقم ـ كما يقولون ـ إنما كان في الثالثة

---

(١) راجع هذه الأحاديث وغيرها في: البدء والتاريخ ج ٥ ص ٨٨، وسيرة مغلطاي ص ٢٣، ومنتخب كنز العمال هامش مسند أحمد ج ٤ ص ٤٧٠ عن الطبراني، وأحمد، وابن ماجة، والحاكم والبيهقي، والترمذي، والنسائي، عن عمر، وخباب، وابن مسعود، والأوائل ج ١ ص ٢٢١، وطبقات ابن سعد ج ٣ قسم ١ ص ١٩١ ـ ١٩٣، وجامع الترمذي ط الهند ج ٤ ص ٣١٤/٣١٥، ودلائل النبوة للبيهقي ج ٢ ص ٧ وتحفة الاحوذي ج ٤ ص ٣١٤ والبداية والنهاية ج ٣ ص ٧٩، والبخاري ط الميمنية ج ص ومصنف عبد الرزاق ج ٥ ص ٣٢٥، والاستيعاب هامش الاصابة ج ١ ص ٢٧١، والسيرة الحلبية ج ١ ص ٣٣٠، وتاريخ الاسلام للذهبي ج ٢ ص ١٠٢ وتاريخ الخميس، وسيرة ابن هشام، وسيرة دحلان، ومسند أحمد، وسيرة المصطفى، والطبراني في الكبير والاوسط، والمشكاة وغير ذلك من كتب الحديث والتاريخ.

من البعثة، حينما أمر النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» بالإعلان بالدعوة. وهم يصرحون بأن إسلام عمر كان في السادسة من البعثة.

ب: إنهم يقولون إن عمر قد أسلم بعد الهجرة الى الحبشة، حتى لقدرق للمهاجرين، لما رآهم يستعدون للرحيل، حتى رجوا إسلامه منذئذٍ. والهجرة إلى الحبشة قد كانت في السنة الخامسة من البعثة، والخروج من دار الأرقم قد كان قبل ذلك أي في السنة الثالثة.

ج: إنه قد اشترك في تعذيب المسلمين، وإنما كان ذلك بعد الخروج من دار الارقم، والاعلان بالدعوة.

متى أسلم عمر إذن:

إننا نستطيع أن نقول باطمينان: إنه لم يسلم في السنة السادسة قطعاً بل أسلم بعد ذلك بسنوات، ومستندنا في ذلك:

أولاً: إنهم يقولون: إنه قد أسلم بعد فرض صلاة الظهر، فصلى رسول الله الظهر معلنا تحت حماية عمر كما تقدم. وصلاة الظهر قد فرضت ـ حسب قولهم ـ حين الاسراء والمعراج الذي كان ـ عندهم ـ في الثانية عشرة او الثالثة عشرة من البعثة. فكلا مهم متناقض.

وإن كنا نحن قد حققنا: أن الاسراء والمعراج كان في حوالي السنة الثانية من البعثة.

وقد أجاب البعض عن ذلك، بأن المقصود هو صلاة الغداة أي الصبح[1].

ولكنه توجيه لا يصح؛ فإن كلمة الظهر لا تنطبق على الغداة ولا تطلق عليها وهو جواب عجيب وغريب كما ترى.

---

(١) السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٣٥.

وإن كـان مرادهم أن النبي «صلى الله عليـه وآله وسلم» كـان يؤخـر صــلاة الصبـح إلى ارتفــاع الشمس فهـو غيــر معقـول؛ إذ كيف يؤخـر النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» صلاته عن وقتها بلا عذر ظاهر؟.

وثانياً: إن عبدالله بن عمر يصرح: أنه حين أسلم أبوه كان له هو من العمر ست سنين[١] ويرى البعض: أن عمره كان خمس سنين[٢].

ويـدل على ذلـك: روايـة أن ابن عمـر كان حـين إسلام أبيـه عـلى سـطح البيت، ورأى أن النـاس قد هـاجوا ضـد أبيه، وحصـروه في البيت؛ فجاء العاص بن وائل ففرقهم عنه، وقـد استفسر ابن عمـر أباه حينئـذٍ عن بعض الخصوصيات كما سيأتي عن قريب.

كما أن ابن عمر يروي: أنه حين أسلم أبوه غدا يتبع أثره، وينـظر ما يفعل، يقول: وأنا غلام أعقل ما رأيت[٣] ممـا يدل على أن ابن عمـر كان حين إسلام أبيه مميزاً مدركاً.

وذلك يدل على ان عمر أسلم حوالي السنة التاسعة من البعثة ـ كما ذهب اليه البعض[٤] ـ لأن ابن عمر ولـد في الثالثـة من البعثة، وتم عمـره على الخمس عشـرة سنة في عـام الخندق سنـة خمس من الهجـرة، حيث أجازه «صلى الله عليه وآله وسلم» فيها كما هو مشهور.[٥]

---

(١) تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص ١٩، وطبقات ابن سعد ج ٣ قسم ١ ص ١٩٣، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٢ ص ١٨٢.

(٢) فتح الباري ج ٧ ص ١٣٥.

(٣) البداية والنهاية ج ٣ ص ٨١ وتاريخ الاسلام للذهبي ج ٢ ص ١٠٥ وسيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٧٣ ـ ٣٧٤.

(٤) السيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٣٩، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٨٢، ومروج الذهب ط دار الاندلس بيروت ج ٢ ص ٣٢١.

(٥) سير اعلام النبلاء ج ٣ ص ٢٠٩، تهذيب الكمال ج ١٥ ص ٣٤٠ الاصابة ج ٢

بل ورد عن ابن شهاب: ان حفصة و ابن عمر قد اسلما قبل عمر. ولما أسلم أبوهما كان عبدالله ابن نحو من سبع سنين[1] وذلك يعني ان إسلام عمر قد كان في العاشرة من البعثة.

بل نقول: إن عمر بن الخطاب لم يسلم إلا قبل الهجرة بقليل، ويدل على ذلك:

أولاً: إنه بلغه: أن أخته لا تأكل الميتة [2]

وواضح: أن تحريم الميتة إنما كان في سورة الانعام، التي نزلت في مكة جملة واحدة. وكانت ـ كما تقول بعض الروايات ـ اسماء بنت يزيد الأوسية آخذة بزمام ناقته «صلى الله عليه وآله وسلم» [3] وإسلام الأوس وأهل المدينة انما كان بعد الهجرة الى الطائف، ومجيء نسائهم الى مكة قد كان بعد العقبة الاولى.

وما تقدم في فصل: بحوث تسبق السيرة. من ان زيد بن عمر و بن نفيل كان لا يأكل الميتة.. لو صح؛ فإنما هو لاجل أنه كان يدين بالنصرانية إلا أن يقال: إن تحريم الميتة قد كان على لسان النبي قبل نزول سورة الانعام لكن ذلك يحتاج الى دليل وشاهد وهو غير موجود.

وثالثاً: لقد استقرب البعض: أن يكون قد أسلم بعد اربعين، أو خمس وأربعين ممن أسلم بعد الهجرة الى الحبشة[4]

ص ٣٤٧ والاستيعاب بهامش الاصابة ج ٢ ص ٣٤٢ وبقية المصادر لذلك تراجع في كتابنا: سلمان الفارسي في مواجهة التحدي ص ٢٤.

(١) سير اعلام النبلاء ج ٣ ص ٢٠٩.

(٢) مصنف الحافظ عبد الرزاق ج ٥ ص ٣٢٦.

(٣) الدر المنثور ج ٣ ص ٢ عن الطبراني، وابن مردويه.

(٤) الثقات لابن حبان ج ١ ص ٧٣، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٨٠ والبدء والتاريخ ج ٥ ص ٨٨.

ويؤيد ذلك: أن الذين هاجروا إلى الحبشة كانوا أكثر من ثمانين رجلاً. وهي انما كانت في الخامسة، وإسلام عمر كان في السادسة من البعثة كما يقولون ـ فلا بد ان يكون الأربعون الذين أتمهم عمر بإسلامه غير هؤلاء الذين هاجروا، وإن كان إبن الجوزي يعد الذين أسلموا قبل عمر، فيذكر اسماء من هاجر الى الحبشة على الاكثر[1] الأمر الذي يشير الى أنه يرى: أن الأربعين الذين اتمهم عمر هم هؤلاء، وليسوا فريقاً آخر قد أسلم بعد هجرتهم.

ويؤيد ذلك أيضاً: الروايات التي تصرح بأنه أسلم في السادسة من البعثة، وأنه رق للمهاجرين الى الحبشة، حتى لقد رجوا إسلامه.

فإذا كان ذلك. فلسوف يأتي في حديث المؤاخاة التي جرت في المدينة بعد الهجرة بين المهاجرين والانصار: أن المهاجرين كانوا حين المؤاخاة خمسة وأربعين رجلاً أو أقل أو اكثر بقليل[2]. أي ان الذين أسلموا بعد الهجرة الى الحبشة كانوا خصوص هؤلاء، فإذا كان عمر قد أسلم وكان تمام الاربعين فيهم فإن معنى ذلك هو أنه قد أسلم قبل الهجرة بقليل، . ثم هاجر. ولعله لاجل ذلك لم يتعرض للتعذيب في مكة، كما سنشير اليه حين الكلام عن الذين عذبوا فيها.

ورابعاً: لقد جاء في الروايات في إسلام عمر: أنه «دنا من رسول الله، وهو يصلي ويجهر بالقراءة، فسمع رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» يقرأ: وما كنت تتلو من قبله من كتاب، ولا تخطه بيمينك،

---

(١) تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص ٢٨/٢٩.

(٢) وإن كان ابن هشام قد عد نحو سبعين ممن هاجر إلى المدينة. ولكن ذلك لايمكن الاعتماد عليه بعد النص على عدد من آخى رسول الله «صلى الله عليه وآله» بينهم من قبل غير واحد، كما سيأتي. ولا يعقل أن يترك أحداً من أصحابه لا يؤاخي بينه وبين آخر من اخوانه.

حتى بلغ: الظالمون»[١].

وواضح: أن هاتين الآيتين قد وردتا في سورة العنكبوت، وهي إما آخر ما نزل في مكة، او هي السورة قبل الأخيرة[٢]. فإسلام عمر قد كان قبل الهجرة بقليل، لأنه يكون أسلم قبل نزول هاتين السورتين.

وخامساً: لقد روى البخاري في صحيحه، بسنده عن نافع قال: إن الناس يتحدثون أن ابن عمر أسلم قبل عمر.. ثم حاول نافع أن يوجه هذا بأن ابن عمر بايع تحت الشجرة قبل أبيه، ثم قال: فهي التي يتحدث الناس: أن ابن عمر أسلم قبل عمر[٣]

ولكننا نقول لنافع: ألم يكن الناس يعرفون اللغة العربية؟ فلم لم يقولوا: إنه بايع قبل أبيه، وقالوا: أسلم قبل ابيه؟!. ثم ألم يكن أحد منهم يعرف أن هذا الكلام لا يدل على ذاك ولا يشير إليه، فكيف يصح أن يكون هوالمقصود منه؟!.

ونحن نعتقد أن ما يقوله الناس في ذلك الزمان هو الصحيح الظاهر، فان ابن عمر قد أسلم قبل الهجرة بيسير، ثم أسلم أبوه وهاجر[٤].

وسادساً: ان عمر قد رفض في عام الحديبية: حمل رسالة النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» بحجة أن بني عدي لا ينصرونه؛ فمعنى ذلك هو أنه قد اسلم وهاجر ولم يعلم أحد بإسلامه، وإلا لكان قد عذب،

---

(١) المصنف للحافظ عبد الرزاق ج ٥ ص ٣٢٦. وراجع مصادر روايات اسلام عمر المتقدمة.

(٢) الاتقان ج ١ ص ١٠ ـ ١١.

(٣) صحيح البخاري ط مشكول ج ٥ ص ١٦٣.

(٤) وقد تقدم عن الزهري ان عمر قد اسلم بعد حفصة وعبد الله بن عمر.

ولم ينصره بنو عدي[١]. لا سيما مع ما سيأتي من حالة الذل التي كان يعاني منها هذا الرجل قبل إسلامه.

٢ ـ من سمى عمر بالفاروق؟!

وقد ذكرت تلك الروايات: أن النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» قد سمى عمر بالفاروق حين أسلم.

ولكننا نشك في ذلك جداً، إذ أن الزهري يقول:

«بلغنا: أن أهل الكتاب أول من قال لعمر: «الفاروق». وكان المسلمون يأثرون ذلك من قولهم. ولم يبلغنا: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» ذكر من ذلك شيئاً[٢]».

وقد كانت كلمة الفاروق تطلق عليه في أيام خلافته[٣].

٣ ـ هل كان عمر قارئاً؟!

وتذكر الروايات: أن عمر بن الخطاب كان قارئاً، وأنه قد قرأ الصحيفة بنفسه.

ونحن نشك في ذلك أيضاً: لاعتقادنا أنه لم يكن يعرف القراءة والكتابة، ولا سيما في بادىء أمره، إلا أن يكون قد تعلمها بعد ذلك في أواخر ايام حياته؛ وذلك لأمرين.

---

(١) ستأتي مصادر ذلك بعد حوالي خمس صفحات.

(٢) تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص ٣٠، وطبقات ابن سعد ج ٣ قسم ١ ص ١٩٣، والبداية والنهاية ج ٧ ص ١٣٣، وتاريخ الطبري ج ٣ ص ٢٦٧ حوادث سنة ٢٣. وذيل المذيل ج ٨ من تاريخ الطبري.

(٣) راجع: طبقات الشعراء لابن سلام ص ٤٤.

احدهما: أن البعض يصرح بأن خباب بن الأرت هو الذي قرأ له الصحيفة[١] فلو كان قارئاً؛ فلماذا لا يقرؤها بنفسه، ليتأكد من صحة الأمر؟!

الثاني: لقد روى الحافظ عبد الرزاق، بسند صحيح، حسبما يقولون هذه الرواية نفسها، ولكنه قال فيها: «فالتمس الكتف في البيت حتى وجدها، فقال حين وجدها: أما إني قد حُدِّثْتُ: انك لا تأكلين طعامي الذي آكل منه، ثم ضربها بالكتف فشجها شجتين. ثم خرج بالكتف حتى دعا قارئاً؛ فقرأ عليه. وكان عمر لا يكتب. فلما قُرِئَتْ عليه تحرك قلبه حين سمع القرآن الخ»[٢].

ويؤيد ذلك ما عن عياض ابن أبي موسى: أن عمر بن الخطاب قال لابي موسى: أدع لي كاتبك ليقرأ لنا صحفاً جاءت من الشام. فقال أبو موسى: إنه لا يدخل المسجد. قال عمر: أبه جنابة؟ قال: لا، ولكنه نصراني؛ فرفع عمر يده فضرب فخذه حتى كاد يكسرها إلخ[٣].

فلو كان عمر يعرف القراءة لم يحتج لكاتب أبي موسى ليقرأ له الصحف التي جاءته. ولربما يعتذر عن ذلك بأن الخليفة ربما لم يكن يباشر القراءة لمركزه مع معرفته لها. أو أن الرسائل كانت بغير العربية.

ولكن الظاهر هو أن هذه الاعراف والتقيدات قد حدثت في وقت متأخر، ولم يكن عمر يتقيَّد بها كما أن بلاد الشام كانت ولا تزال عربية اللغة، فمن البعيد أن يكتبوا له بغير العربية.

---

(١) تاريخ ابن خلدون ج ٢ قسم ٢ ص ٩.

(٢) مصنف الحافظ عبد الرزاق ج ٥ ص ٣٢٦.

(٣) عيون الاخبار لابن قتيبة ج ١ ص ٤٣ والدر المنثور ج ٢ ص ٢٩١ عن ابن أبي حاتم والبيهقي في شعب الإيمان وحياة الصحابة ج ٢ ص ٧٨٥ عن تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٦٨.

ويمكن أن يؤيد ذلك أيضاً: بأن عمر لم يكن ذا ذهنية علمية، وذلك بدليل: أنه بقي اثنتي عشرة سنة حتى تعلم سورة البقرة، فلما حفظها نحر جزوراً[١].

بل لقد ورد أنه لما طلب من حفصة أن تسأل له النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» عن الكلالة، فسألته عنها؛ فأملّها عليها؛ في كتب، ثم قال رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم»: «عمر أمرك بهذا؟ ما أظنه أن يفهمها»[٢].

بل لقد واجهه النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» نفسه بذلك كما رواه كثيرون[٣].

إلا أن من الممكن أن يكون عمر قد عاد فتعلم القراءة والكتابة بمشاق ومتاعب جمة، ويمكن أن يستدل على ذلك بأنه ـ كما روى البخاري ـ كان يقول: إنه لولا أن يقال: إن عمر قد زاد في كتاب الله لكتب آية الرجم بيده؟![٤].

ومهما يكن من أمر، فإننا لسنا أول من شك في معرفة الخليفة الثاني للقراءة والكتابة، فقد كان هذا الأمر موضع نقاش وشك منذ القرن الأول للهجرة، فهذا الزهري يقول: كنا عند عمر بن عبد العزيز وهو والي

---

(١) تاريخ عمر بن الخطاب ص ١٦٥، والدر المنثور ج ١ ص ٢١، عن الخطيب في رواة مالك، والبيهقي في شعب الايمان، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٢ ص ٦٦، والغدير ج ٦ ص ١٩٦ عنهم وتفسير القرطبي ج ١ ص ١٥٢ والتراتيب الادارية ج ٢ ص ٢٨٠ عن تنوير الحوالك.

(٢) المصنف للحافظ عبد الرزاق ج ١٠ ص ٣٠٥.

(٣) راجع الغدير ج ٦ ص ١١٦ عن غير واحد. وراجع ١٢٨.

(٤) راجع كتابنا: حقائق هامة حول القرآن ص ٣٤٦، فقد نقلنا ذلك عن عشرات المصادر.

المدينة ثم صارت إلى عبد الله بن عبدالله بن عتبة، فقال: هل من معه به خبر فأساله: هل كان عمر يكتب؟.

فقال عروة: نعم كان يكتب.

فقال: بآية ماذا؟.

قال: بقوله: لولا ان يقول الناس زاد عمر في القرآن لخططت آية الرجم بيدي.

فقال عبيد الله: هل يسمّى عروة من حدثه؟.

قلت: لا.

قال عبيدالله: فإنما صار عروة يمص مص البعوضة لتملأ بطنها، ولا يرى أثرها، يسرق أحاديثنا ويكتمنا، أي أني أنا حدثته[1].

ملاحظة:

وإذا ثبت عدم معرفته بالقراءة، أوشك في كونه كان حينئذٍ يقرأ ويكتب، فمن الطبيعي أن يتطرق الشك إلى قولهم؛ إنه كان من كتاب الوحي[2]، فلعل ذلك كان من الأوسمة التي نحله إياها بعض من عزّ عليهم أن يحرم عمر من هذا الشرف بنظرهم.

وملاحظة أخرى:

وهي أننا رأينا عمر بن الخطاب يضرب فخذ أبي موسى حتى كاد يكسرها، لاتخاذه كاتبا نصرانياً، مع انهم يقولون: إنه هو نفسه كان له

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ج ١٧ ص ١٠.

(٢) بحوث في تأريخ القرآن وعلومه ص ١١٣ عن تأريخ القرآن للزنجاني. وفي تأريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٨٠ ط صادر والاستيعاب بهامش الأصابة ج ١ ص٥١، ذكرا عمر في جملة من كان يكتب للنبي «صلى الله عليه وآله». لكن لم يبينا، إذا كان يكتب الوحي، أو غيره.

مملوك نصراني لم يسلم، وكان يعرض عليه الإسلام فيأبى، حتى حضرته الوفاة فأعتقه[١]

فما هذا التناقض في مواقف الخليفة الثاني؟! وما هو المبرر لها إلا أن يكون اعتراضه على أبي موسى منصباً على استعانته بغير المسلم في شؤون المسلمين العامة، وهذا غير خدمة غير المسلم للمسلم.

٤ ـ هل عز الأسلام بعمر حقاً؟!

وتذكر الروايات: أن الإسلام قد عز بعمر وأنه «صلى الله عليه وآله وسلم» قد دعا الله أن يعز الاسلام به بل لقد ذهبت بعض الروايات الى اعتبار عمر من الجبارين في الجاهلية، حيث إنه حين أشار على ابي بكر: أن يتألف الناس ويرفق بهم، قال له أبو بكر: «رجوت نصرك، وجئتني بهذا لأنك جبار في الجاهلية، خوار في الإسلام الخ»[٢]. .

ونحن نشك في صحة ذلك بل نجزم بعدم صحته، وذلك للامور التالية:

ألف: إن الإسلام إذا لم يعز بأبي طالب شيخ الأبطح ، وبحمزة أسد الله وأسد رسوله، الذي فعل برأس الشرك أبي جهل ما فعل، وإذا لم يعزّ بسائر بني هاشم أصحاب العز والشرف والنجدة، فلا يمكن أن يعز بعمر الذي كان عسيفاً(أي مملوكاً مستهانا به)[٣] مع الوليد بن المغيرة الى

---

(١) حلية الاولياء ج ٩ ص ٣٤، عن كنز العمال ج ٥ ص ٥٠ عن ابن سعد، وسعيد بن منصور، وابن المنذر، وابن أبي شيبة، وابن أبي حاتم، والطبقات الكبرى ج ٦ ص ١٠٩ والتراتيب الادارية ج ١ ص ١٠٢ ونظام الحكم في الشريعة والتاريخ والحياة الدستورية ص ٥٨ عن تاريخ عمر لابن الجوزي ص ٨٧ و ١٤٨.

(٢) كنز العمال ج ٦ ص ٢٩٥.

(٣) راجع: اقرب الموارد، مادة: «عسف».

الشام[١]. لا سيما وأنه لم يكن في قبيلته سيد أصلاً[٢]، ولم تؤثر عنه في طول حياته مع النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» أية مواقف شجاعة، وحاسمة، بل لم نجد له أية مبارزة، أو عمل جريء في أي من غزواته، رغم كثرتها وتعددها.

بل لقد رأيناه يفر في غير موضع، كأحد، وحنين وخيبر حسبما صرح به الجم الغفير من أهل السير، ورواة الأثر، كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

ومن الطريف هنا ما رواه الزمخشري، من أن أنس بن مدركة كان قد أغار على سرح قريش في الجاهلية؛ فذهب به، فقال له عمر في خلافته: لقد اتبعناك تلك الليلة؛ فلو أدركناك؟. فقال: لو أدركتني لم تكن للناس خليفة[٣].

والخلاصة: انه لا يمكن أن يعز الاسلام بعمر، الذي لم يكن له عز في نفسه، ولا بعشيرته، ولا شجاعة يخاف منها.

ب ـ إننا سواء قلنا: إن عمر قد أسلم قبل الحصر في الشعب أو بعده، فإن الأمر يبقى على حاله، لأننا لم نجد أي تفاوت في حالة المسلمين قبل وبعد إسلام عمر، ولا لمسنا أي تحول نحو الأفضل بعد إسلامه، بل رأينا: عكس ذلك هو الصحيح، فمن حصر المشركين للنبي «صلى الله عليه وآله وسلم» والهاشميين في الشعب، حتى كادوا يهلكون جوعاً، وحتى كانوا يأكلون ورق السمر، وأطفالهم يتضاغون جوعاً. إلى تآمر على حياة النبي «صلى الله عليه وآله وسلم». ثم بعد وفاة أبي طالب رحمه الله لم يستطع «صلى الله عليه وآله وسلم» دخول مكة بعد عودته من الطائف إلا بعد مصاعب جمة، لم نجد عمر ممن

---

(١) المنمق، لابن حبيب ط الهند ص ١٤٦، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٢ ص ١٨٣.

(٢) المنمق ص ١٤٧.

(٣) ربيع الابرار ج ١ ص ٧٠٧.

ساعد على حلها. هذا كله عدا عن الاذايا الكثيرة التي كان أبو لهب يوجهها للنبي باستمرار.

ج ـ وفي صحيح البخاري وغيره حول اسلام عمر: عن عبدالله بن عمر قال: بينما عمر في الدار خائفاً، إذ جاءه العاص بن وائل السهمي. إلى أن قال: فقال: ما بالك؟ قال: زعم قومك أنهم سيقتلونني إن أسلمت. قال: لا سبيل إليك. بعد أن قالها أمنت. ثم ذكر إرجاع العاص الناس عنه. وأضاف الذهبي قول عمر: فعجبت من عزّه[1].

فمن يتهدده الناس بالقتل، ويخاف، ويختبىء في داره، فإنه لا يكون عزيزاً ولا يعز الاسلام به. غير أنه هو نفسه قد ارتفع بالاسلام، وصار له شخصية وشأن، كما سنرى.

هذا عدا عن الروايات القائلة: إن أبا جهل هو الذي أجار عمر[2].

وعلى هذا فقد كان الأجدر: أن يدعو النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» بأن يعز الإسلام بمن يجير عمر، والذي يعجب الناس من عزته، لا بعمر الخائف، والمختبىء في بيته.

د ـ والغريب هنا: أن أحد الرجلين اللذين دعا لهما النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» وهو أبو جهل يضربه حمزة رضوان الله عليه بقوسه أمام

---

(١) راجع: صحيح البخاري ج ٥ ص ٦٠/٦١ ط مشكول، ففيه روايتان بهذا المعنى، وتاريخ الاسلام للذهبي ج ٢ ص ١٠٤، ونسب قريش لمصعب الزبيري ص ٤٠٩، وتاريخ عمر لابن الجوزي ص ٢٦، والسيرة الحلبية ج ١ ص ٣٣٢، والسيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ١٣٥، وسيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٧٤، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٨٢ وراجع: دلائل النبوة للبيهقي ط دار النصر ج ٢ ص ٩.

(٢) تأريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص ٢٤ ـ ٢٥ وراجع كشف الأستار ج ٣ ص ١٧١ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٦٤ وذكر: أن خاله هو الذي أجاره وقال ابن اسحاق المراد بخاله: أبو جهل، ولم يرتض ذلك ابن الجوزي، فراجع.

الملأ من قومه، فيشجه شجة منكرة، ولا يجرؤ على الكلام، ثم يقتل في بدر في أول وقعة بين المسلمين والمشركين.

والرجل الآخر وهو عمر بن الخطاب يكون على خلاف توقعات النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» ولا يستجيب الله دعاءه فيه، حيث لم يعز الإسلام به، كما رأينا. مع أن النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» يقول: «ما سألت ـ ربي ـ الله ـ شيئاً إلا أعطانيه[1]»بل لقد كانت النتيجة عكسية، حيث يذكر عبد الرزاق: (أنه لما جهر عمر بإسلامه اشتد ذلك على المشركين فعذبوا من المسلمين نفراً)[2].

هـ ـ لا بأس بالمقارنة بين نعيم بن عبدالله النحام العدوي. وبين عمر بن الخطاب العدوي؛ فقد أسلم نعيم قبل عمر، وكان يكتم إسلامه، ومنعه قومه لشرفه فيهم من الهجرة، لأنه كان ينفق على أرامل بني عدي وأيتامهم.

فقالوا: «أقم عندنا على أي دين شئت، فوالله لا يتعرض اليك أحد الاذهبت أنفسنا جميعاً دونك[3]».

ويقول عروة عن بيت نعيم هذا: «ما أقدم على هذا البيت أحد من بني عدي»[4]أي لشرفه.

---

(١) راجع: ترجمة الامام علي بن ابي طالب من تاريخ ابن عساكر بتحقيق المحمودي ج ٢ ص ٢٧٥ و ٢٧٦ وهامشها و٢٧٨ وفرائد السمطين باب ٤٣ حديث ١٧٢ وكنز العمال ج ١٥ ص ١٥٠ ط ٢ عن ابن جرير، وصححه، وابن ابي عاصم، والطبراني في الاوسط. وابن شاهين في السنة، وعن الرياض النضرة ج ٢ ص ٢١٣.

(٢) راجع المصنف لعبد الرزاق ج ٥ ص ٣٢٨.

(٣) اسد الغابة ج ٢ ص ٣٣ وراجع: نسب قريش لمصعب ص ٣٨٠.

(٤) نسب قريش لمصعب ص ٣٨١.

أما عمر، فإن رسول الله اراد في الحديبية أن يرسله الى مكة؛ ليبلغ عنه رسالة الى أشراف قريش، تتعلق بالامر الذي جاء له؛ فرفض ذلك وقال: «إني أخاف قريشاً على نفسي، وليس بمكة من بني عدي أحد يمنعني» ثم أشار على النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» بأن يرسل عثمان بن عفان[١].

و ـ لقد خطب ابن عمر بنت نعيم النحام، فرده نعيم، وقال: «لا أدع لحمي تربا» وزوجها من النعمان بن عدي بن نضلة[٢]

فنعيم يربأ بإبنته عن ان تتزوج بابن عمر، ويرى ذلك تضييعاً لها!!.

ز ـ وفي زيارة عمر للشام أيام خلافته خلع عمر خفيه، ووضعهما على عاتقه، وأخذ بزمام ناقته، وخاض المخاضة فاعترض عليه أبو عبيدة، فأجابه عمر بقوله: «إنا كنا أذل قوم؛ فاعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العز بغير ما اعزنا الله به أذلنا الله[٣]»، وفي نص آخر عنه: «إنا قوم أعزنا الله بالاسلام، فلن نبتغي العز بغيره[٤]».

واحتمال أن يكون مقصوده هو ذل العرب وعزهم لا خصوص بني عدي.

---

(١) راجع: البداية والنهاية ج ٤ ص ١٦٧ عن ابن اسحاق، وحياة الصحابة ج ٢ ص ٣٩٧/٣٩٨ عن كنز العمال ج ١ ص ٨٤ و ٥٦ وج ٥ ص ٢٨٨ عن ابن ابي شيبة، والروياني، وابن عساكر، وابي يعلى، وطبقات ابن سعد ج ١ ص ٤٦١ وسنن البيهقي ج ٩ ص ٢٢١.

(٢) نسب قريش لمصعب ص ٣٨٠.

(٣) مستدرك الحاكم ج ١ ص ٦١. وتلخيصه للذهبي بهامشه، وصححه على شرط الشيخين.

(٤) مستدرك الحاكم ج ١ ص ٦٢.

بعيد؛ لأنه قد عنفـ أبا عبيدة على مقولته تلك بأن غير أبي عبيدة لـو كان قال ذلك لكان له وجه، أما أن يقوله أبو عبيدة العارف بالحال والسوابق فإنه غير مقبول منـه. هذا بـالاضافـة الى ما سيـأتي مما يـدل على ذل بني عدي، فانتظر.

ح ـ وقال أبو سفيـان للعباس في فتـح مكة، حينمـا كان يستعـرض الألوية؛ فرأى عمر، وله زجل: «يا أبا الفضل، من هذا المتكلم؟

قال: عمر بن الخطاب.

قال: لقد ـ أمر ـ أَمْر بني عدي بعد ـ والله ـ قلةٍ وذلة.

فقال العباس: يـا أبا سفيـان، إن الله يرفـع من يشاء بمـا يشاء، وإن عمر ممن رفعه الإسلام[1]».

ط ـ تقدم قول عوف بن عطية:

وأمـا الالأمـان بـنـو عـدي ... وتـيـم حـيـن تـزدحـم الأمـور
فـلا تشهـد لهم فتيـان حـرب ... ولـكـن أدْنِ مـن حـلب وعـيـر

وفي رسالة من معاوية لزياد بن أبيـه يذكـر فيها أمـر الخلافـة يقول: «ولكن الله عز وجل أخرجها من بني هـاشم وصيرهـا الى بني تيم بن مرة: ثم خـرجت الى بني عدي بن كعب وليس في قـريش حيان أذل منهمـا ولا أنذل الخ..[2]».

ي ـ وقال خالد بن الوليـد لعمر: «إنـك ألأمها حسبـاً. وأقلها عـدداً وأخملها ذكراً.. الى أن قال له: لئيم العنصر ما لك في قريش فخـر. قال

---

(١) مغازي الواقدي ج ٢ ص ٨٢١، وعن كنز العمال ج ٥ ص ٢٩٥، عن ابن عساكر، عن الواقدي.

(٢) كتاب سليم بن قيس ص ١٤٠.

فأسكته خالد»[١]

٥ ـ غسل عمر لمس الصحيفة:

وإشكال آخر يبقى بلا جواب، وهو أنه كيف طلبت أخته منه: أن يغتسل لمس الصحيفة، مع أن غسل المشرك لا يجدي في جواز مس القرآن؛ فإن المانع هو شركه، لا حدثه، ولذلك قالت له: «إنك نجس على شركك، وإنه لا يمسه إلا المطهرون»[٢]

ودعوى أن المراد هو غسل الجنابة مدفوعة أيضاً، فإنهم يقولون: إن أهل الجاهلية كانوا يغتسلون من الجنابة [٣] فكيف تقول له أخته: إنك لا تغتسل من الجنابة. إلا أن يكون هو نفسه لم يكن يلتزم بما كان يلتزم به قومه في الجاهلية.

ومما يدل على أنهم كانوا يغتسلون من الجنابة، أن أبا سفيان قد نذر أو حلف بعد رجوعه من بدر مهزوماً: أن لا يمس رأسه ماء من جنابة، حتى يغزو محمداً. وكانت غزوة السويق لأجل ان يكفر عن يمينه،[٤] كما

---

(١) الخصال ج ٢ ص ٤٦٣.

(٢) الثقات ج ١ ص ٧٤، وراجع مصادر الرواية المتقدمة، ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٦٣.

(٣) السيرة الحلبية ج ١ ص٣٢٩ عن الدميري، والسهيلي وذكر الدميري: انه بقية من دين ابراهيم واسماعيل.

قال: وفي كلام بعضهم: كانوا في الجاهلية يغتسلون من الجنابة، ويغسلون موتاهم، ويكفنونهم، ويصلون عليهم الخ.

(٤) البداية والنهاية ج ٣ ص ٣٤٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٥٤٠ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤١٠ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢١١ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٣٩ والسيرة النبوية لدحلان (مطبوع بهامش الحلبية) ج ٢ ص ٥ والبحار ج٢٠ ص ٢ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ١٧٥.

سنرى .

ويدل على ذلك: ما يذكرونه عن صيفي بن الأسلت من أنه كان قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح واغتسل من الجنابة[١] .

٦ ـ نزول آية في إسلام عمر:

ويذكرون ان آية : **﴿يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾** قد نزلت في هذه المناسبة حيث أسلم عمر رابع اربعين.[٢]

ولكن يعارض ذلك ما روي عن الكلبي، من أن الآية قد نزلت في المدينة في غزوة بدر[٣].

وعن الواقدي: أنها نزلت في بني قريظة والنضير[٤].

وأيضاً فان الآية في سورة الأنفال، وهي مدنية لا مكية.

وفي رواية الزهري: أن هذه الآية نزلت في الأنصار.[٥]

يضاف الى ذلك: أن الآية مسبوقة بآيات القتال، ولم يشرع القتال إلا في المدينة، وهي تنسجم مع تلك الآيات تمام الانسجام، فراجعها وتأمل فيها. وهي أيضاً تناسب المدينة، حيث قويت شوكة الاسلام، وعز المؤمنون.

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٤٧ وتاريخ الاسلام للذهبي ص ١٠٩ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٤.

(٢) راجع : الدر المنثور ج ٣ ص ٢٠٠ عن الطبراني، وابي الشيخ، وابن مردويه وراجع ايضاً ما اخرجه عن البزار وابن المنذر، وابن ابي حاتم، وغيرهم.

(٣) مجمع البيان ج ٤ ص ٥٥٧.

(٤) التبيان للطوسي ج٥ ص ١٥٢.

(٥) الدر المنثور ج ٣ ص ٢٠٠ عن ابن اسحاق، وابن أبي حاتم.

ملاحظات أخيرة:

وأخيراً، فإننا نذكر:

١ ـ أن الذي يطالع روايات إسلام عمر، يرى: أنها متناقضة تناقضاً كبيراً فيما بينها.

٢ ـ إن بعض الروايات تذكر: أن عمر قد التقى بسعد الذي كان قد أسلم، أو بنعيم النحام، وجرى بينهما كلام؛ فأخبره باسلام أخته، وزوجها، وأغراه بهما.

ويرد سؤال: انه اذا كان سعد مسلماً، وكان نعيم قد أسلم قبل عمر سراً، فلماذا يغري عمر بأخته المسلمة وصهره؟! وإذا كان انما فعل ذلك ليصرفه عن قصد النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» بالسوء؛ فلا ندري كيف يخاف من عمر على النبي وعند النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» أمثال حمزة وعلي إلى تمام الاربعين رجلاً؟ ولماذا لا يخاف على هذين المسلمين، وليس لهما ناصر، ولا عندهما أحد؟!.

٣ ـ إن قول حمزة عن عمر: «وإن كان يريد شراً قتلناه بسيفه» يشير الى انه رحمه الله لم يكن يقيم وزناً لعمر، حتى حينما يكون عمر متوشحاً بالسيف، حتى يرى: ان امره سهل، وان بالإمكان قتله بنفس سيفه الذي يحمله، وهذا غاية في الاستهانة بقدرات عمر، ما بعدها غاية.

٤ ـ لا ندري لماذا تهدد النبي عمر؟ وجبذه جبذة شديدة!!.

وكيف وصل عمر الى النبي بهذه السهولة؟ ولماذا لقيه في الحجرة؟

ولماذا خرج المسلمون في صفين؟ وما هو فلسفة ذلك عسكرياً.

وهل لم يكن عمر يعرف من هو أنقل رجل في قريش؟

ولمـاذا لم يكن يـدنـو اليـه إلا شـريف إلى غيـر ذلـك من الاسئلة الكثيرة.

وإذا كـان قـد خـرج مـع المسلمين في صفين وتهـدد المشـركين، وخاف رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» حينئذٍ فلماذا احتاج إلى انقل رجـل للحديث في قـريش؟! ولماذا ذهب إلى المسلمين متـوشحاً سيفـه، إلى كثير من الأسئلة التي تعلم بالمراجعة والمقارنة.

خاتمة المطاف:

وبعد ما تقدم، فإن المراجع لروايات إسلام عمر لا يصعب عليه: أن يكتشف بسرعة: أن ثمة محاولات للتغطية على قضية إسلام حمـزة، الذي عز به الإسلام حقاً، وسر به رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» سـروراً كثيراً. ولهـذا تجـد: أنهم يقـرنـون عمـر بحمـزة كثيـراً في تلك الروايات، ويحاولون إعـطاءهما المـواقف مناصفـة، مع تخصيص عمـر بحصة الأسد فيها.

كمـا أن فضيلة رد الجوار التي هي لعثمـان بن مظعـون يحـاولـون إعطاءها إلى عمر.

بل نجد في بعض الروايات: إن أهل الكتاب في الشام قد بشـروا عمر بما سوف يؤول إليه أمـره في مستقبل هـذا الدين الجـديد[1]، كمـا بشـروا أبا بكـر في بصـرى[2] وكمـا بشـروا النبي «صلى الله عليـه وآلـه وسلم» نفسه[3] حسب رواياتهم.

---

(١) راجع الرياض النضرة ج ٢ ص ٣١٩.

(٢) راجع: السيرة الحلبية ج ١ ص ٢٧٤/٢٧٥ و ١٨٦ والرياض النضرة ج ١ ص ٢٢١.

(٣) قد أشرنا إلى ما يذكرونه عن دور ورقة بن نوفل في ذلك، وأثبتنا عدم صحة ذلك، فراجع روايات بدء الوحي في الجزء الأول من هذا الكتاب.

ثم إنهم قد وجدوا في عمر العلامات التي تدعم مدعاهم[1]، كما وجدوها في أبي بكر من قبل؟!

ثم كان إسلام عمر، وكانت كل الجهود موقوفة على صنع الفضائل والكرامات له!! فتبارك الله أحسن الخالقين!!

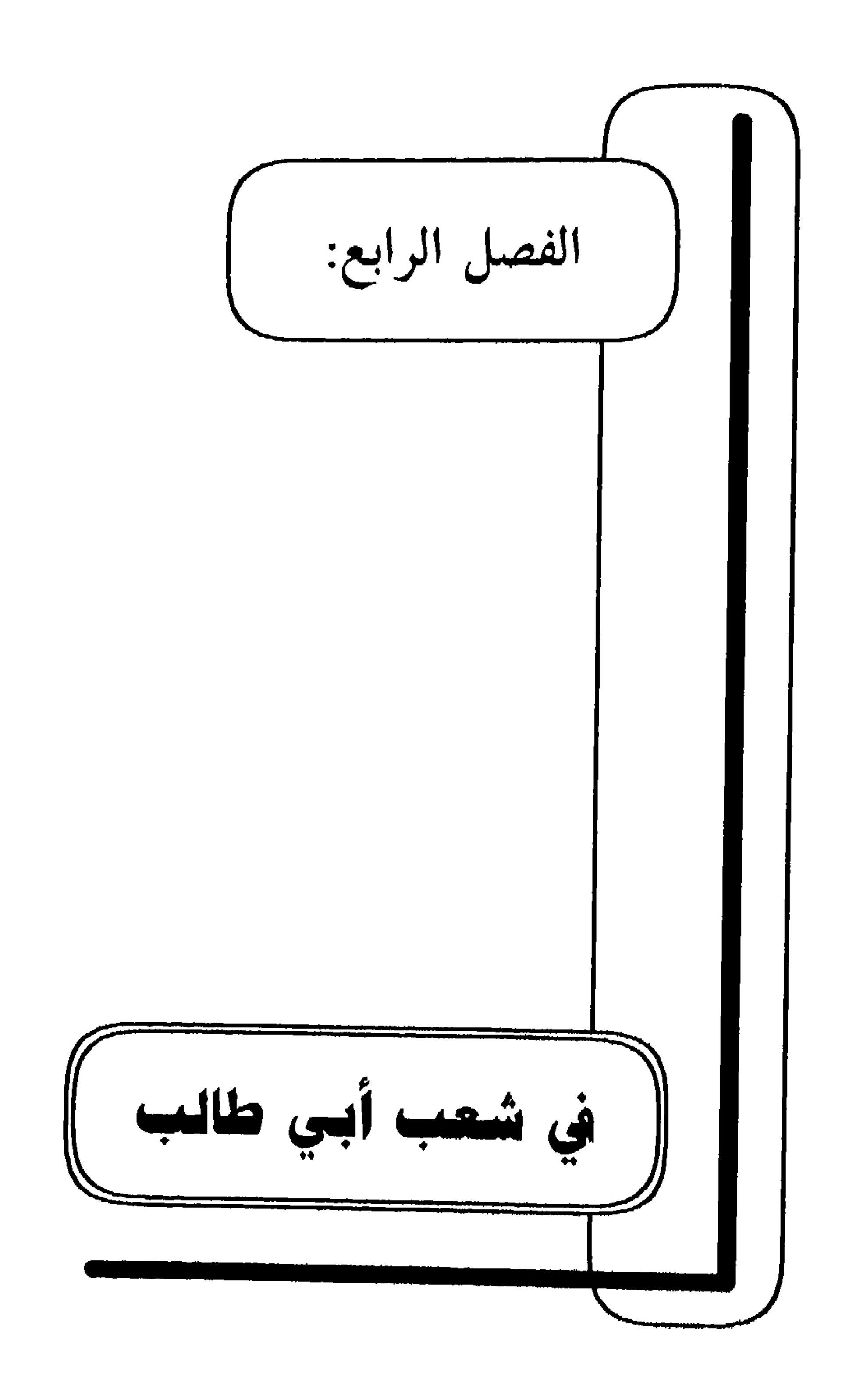
ولقد قال ابن عرفة: المعروف بنفطويه إن أكثر فضائل الصحابة قد افتعلت في عهد بني أمية، إرغاماً لأنوف بني هاشم[2]! كما أن معاوية قد أمر الناس بوضع الحديث في الخلفاء الثلاثة كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

وحسبنا ما ذكرناه هنا؛ فإن فيه مقنعاً وكفاية لكل من أراد الرشد والهداية.

---

(١) تاريخ عمر بن الخطاب ص ٢٢.

(٢) راجع النصائح الكافية ص ٧٤ وحياة الإمام الحسن ٥ للقرشي ج ٢ ص ١٤٨ والكنى والألقاب ج ٣ ص ٢٦٢ وفجر الاسلام ص ٢١٣.



الفصل الرابع:

في شعب أبي طالب

المقاطعة:

و «لما رأت قريش عزة النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» بمن معه، وعزة أصحابه في الحبشة، وفشوّ الاسلام في القبائل»[1].

وأن جميع جهودها في محاربة الاسلام قد باءت بالفشل. حاولت أن تقوم بتجربة جديدة، وهي الحصار الاقتصادي والاجتماعي، ضد الهاشميين، وأبي طالب؛ فاما أن يرضخوا لمطالبها في تسليم محمد لها للقتل. وإما ان يتراجع محمد «صلى الله عليه وآله وسلم» نفسه عن دعوته، وإما أن يموتوا جوعاً وذلاً، مع عدم ثبوت مسؤولية محددة على أحد في ذلك، يمكن أن تجرّ عليهم حرباً أهلية، ربما لا يمكن لأحد التكهن بنتائجها، وعواقبها السيئة.

فكتبوا صحيفة تعاقدوا فيها على عدم التزوج والتزويج لبني هاشم، وبني المطلب، وأن لا يبيعوهم شيئاً، ولا يبتاعوا منهم، وأن لا يجتمعوا معهم على أمر من الأمور، أو يسلموا لهم رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» ليقتلوه.

---

(١) سيرة مغلطاي ص ٢٣، وراجع سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٧٥، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٢٩٧، عن المواهب اللدنية.

وقد وقع على هذه الصحيفة أربعون رجلاً من وجوه قريش، وختموها بخواتيمهم، وعلقت الوثيقة في الكعبة مدة (ويقال: إنهم خافوا عليها السرقة؛ فنقلوها إلى بيت أم أبي جهل)[١]؟

وكان ذلك في سنة سبع من البعثة على أشهر الروايات. وقيل ست.

وأمر أبو طالب بني هاشم أن يدخلوا برسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» الشعب ـ الذي عُرِف بشعب أبي طالب ـ ومعهم بنو المطلب بن عبد مناف، باستثناء أبي لهب لعنه الله وأخزاه[٢]. واستمروا فيه إلى السنة العاشرة.

ووضعت قريش عليهم الرقباء حتى لا يأتيهم أحد بالطعام.

وكانوا ينفقون من أموال خديجة، وأبي طالب، حتى نفدت، حتى اضطروا إلى أن يقتاتوا بورق الشجر. وكان صِبْيَتُهُم يتضاغون جوعا، ويسمعهم المشركون من وراء الشعب، ويتذاكرون ذلك فيما بينهم، فبعضهم يفرح، وبعضهم يتذمم من ذلك. ويقولون: إنه ربما وجد فيهم من يتعاطف مع المسلمين، وكان هذا يصدر غالباً ممن يتصل بهم نسباً، كأبي العاص بن الربيع، وحكيم بن حزام وان كنا نحن نشك في ذلك كما سيأتي ان شاء الله تعالى .

ولم يكونوا يجسرون على الخروج من شعب أبي طالب إلا في موسم العمرة في رجب، وموسم الحج في ذي الحجة، فكانوا يشترون حينئذ ويبيعون ضمن ظروف صعبة جداً، حيث إن المشركين كانوا يلتقون

---

(١) هكذا جاء في بعض الروايات في البحار ج ١٩ ص ١٦ عن الخرائج والجرائح. ولا يهمنا تحقيق هذا الأمر كثيراً. .

(٢) وقيل: إن أبا سفيان بن الحارث أيضا لم يدخل الشعب معهم، ولكنه قول نادر. والاكثر على الاقتصار على أبي لهب لعنه الله. . . ولسنا هنا في صدد تحقيق ذلك. .

بكل من يقدم مكة اولاً، ويطمعونه بمبالغ خيالية ثمناً لسلعته، شرط أن لا يبيعها للمسلمين. وكان أبو لهب هو رائدهم في ذلك؛ فكان يوصي التجار بالمغالاة عليهم حتى لا يدركوا معهم شيئاً، ويضمن لهم، ويعوضهم من ماله كل زيادة تبذل لهم. بل لقد كان المشركون يتهددون كل من يبيع المسلمين شيئاً بنهب أمواله، ويحذّرون كل قادم إلى مكة من التعامل معهم.

والخلاصة: أن قريشاً قد قطعت عنهم الاسواق، فلا يتركون لهم طعاماً يقدم مكة ،ولا بيعاً إلا بادروهم إليه، يريدون بذلك أن يدركوا سفك دم رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم»[1].

وقد استمرت هذه المحنة سنتين أو ثلاثاً. وكان علي أمير المؤمنين «عليه السلام» اثناءها يأتيهم بالطعام سراً من مكة، من حيث يمكن، ولو أنهم ظفروا به لم يبقوا عليه، كما يقول الاسكافي وغيره[2].

وكان أبو طالب رضوان الله تعالى عليه كثيراً ما يخاف على النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» البيات؛ فاذا أخذ الناس مضاجعهم، اضطجع النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» على فراشه، حتى يرى ذلك جميع من في شعب أبي طالب، فاذا نام الناس جاء واقامه، وأضجع ابنه علياً مكانه[3].

---

(١) البداية والنهاية ج ٣ ص ٨٤.

(٢) شرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٥٦.

(٣) شرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٥٦ وج ١٤ ص ٦٤، الغدير ج ٧ ص ٣٥٨/٣٥٧ عن كتاب الحجة لابن معد.

وذكر ذلك ابن كثير في البداية والنهاية ج ٣ ص ٨٤ من دون تصريح بالاسم. وتيسير المطالب ص ٤٩.

وثمة ابيات شعر له رحمه الله مخاطباً بها ولده علياً بهذه المناسبة، فلتراجع في مصادرها.

أموال خديجة (رض)، وسيف علي «عليه السلام»:

هنا سؤال مفاده:

إن من المعروف: أن الاسلام قد قام بسيف أمير المؤمنين «عليه السلام»، الذي قال فيه رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» ـ كما سيأتي في غزوة أحد وبدر:

لا فتى إلا علي لا سيف إلا ذو الفقار

وبأموال خديجة رحمها الله تعالى، التي أنفقتها في سبيل الله سبحانه فما معنى هذا الكلام وما الذي يرمي إليه؟! فهل معنى ذلك: أن خديجة كانت ترشو الناس من أجل أن يدخلوا في الاسلام؟

وهل يمكن العثور على مورد واحد من هذا القبيل في التاريخ؟!

ولعلك تقول: إن النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» كان يتألف كثيرين على الاسلام، فيعطيهم الأموال ترغيباً لهم في ذلك. وقضية غنائم حنين الآتية إن شاء الله أوضح دليل على ذلك، ولا يجهل أحد سهم المؤلفة قلوبهم في الاسلام.

والجواب: أن هذا الذي ذُكِرَ ليس معناه: أنهم كانوا يأخذون الرشوة على الاسلام، وإنما يريد الاسلام لهؤلاء أن يعيشوا في الاجواء الاسلامية، ويتفاعلوا معها، وينظروا لها نظرة سليمة، ومن دون وجود أية حواجز نفسية، أو سياسية، أو اجتماعية فكان هذا المال المعطى لهم يساعد على التغلب على تلك الحواجز الوهمية في اكثرها، ويجعلهم يعيشون في الاجواء والمناخات الاسلامية، ويتعرفون على خصائص

الاسلام وأهدافه. ولتحصل لهم من ثم القناعات الوجدانية والفكرية بأحقية الاسلام، وسمو أهدافه.

كما أن من هؤلاء من يرى: أن هذا الدين قد حرمه من المال والثروة والامتيازات التي يحبها، فلماذا لا يدبر في الخفاء ما يزيح هذا الكابوس الخانق، والمضر بمصالحه؟ فاذا أعطي المال، وأفهِم أن الاسلام ليس عدواً للمال: «قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده، والطيبات من الرزق»[1] فإنه يمكن اقناعه حينئذٍ بأن هدف الاسلام ليس إلا التركيز على انسانية الانسان، واعتبارها المقياس الحقيقي له، لا المال، ولا القوة ولا الجمال، ولا الجاه، ولا غير ذلك. وأنه يهدف إلى تنظيم حياة هذا الانسان في هذا الخط، ليكون سعيداً في الدنيا والآخرة على حد سواء.

واما اموال خديجة؛ فلم تكن تعطىٰ كرشوة على الاسلام، ولا كانت تنفق على المؤلفة قلوبهم. وانما كانت تسدّ رمق ذلك المسلم، الذي يعاني اعظم المشاق والآلام، في سبيل اسلامه وعقيدته، هذا المسلم الذي لم تتورع قريش عن محاربته بكل ما تملكه من اسلحة لا انسانية ولا اخلاقية، حتى بالفقر والجوع، فكانت تلك الاموال تسد رمق من يتعرض للاخطار الكبيرة، وتخدم الاسلام عن هذا الطريق. وهذا معنى قولهم: ان الإسلام قام باموال خديجة.

وملاحظة لا بد منها، وهي ان اموال خديجة التي أُنفِقت في المقاطعة، كانت في غالبها من النوع الذي يمكن الانتفاع به في سدّ رمق الجائع. وكسوة العاري، واما ما سواه؛ فلربما لم يتعرض لذلك؛ بسبب عدم القدرة على البيع والشراء في غالب الأحيان.

---

(١) الأعراف الآية/٣٢.

ونشير اخيراً، الى أن مكة مهما عظمت الثروة فيها، فانهـا لا تخرج عن كـونها محـدودة الامكانـات، تبعا لمـوقعها، وحجمهـا؛ لأنها لم تكن مدينة كبيرة جدا، بل كانت بلدا كبيراً بالنسبة الى القرية، ولذا جـاء التعبير عنها في القرآن بـ «ام القرى» وثروة في بلد كهذا تبقى دائماً محدودة، تبعاً لمحدوديته، وقدراته، وامكاناته.

حكيم بن حزام وعواطفه تجاه المسلمين:

قـد تقدم انهم يـذكرون حكيم بن حـزام في جملة من كـان يـرسـل الـطعام سـراً الى المسلمين في شعب أبي طـالب روى ذلـك ابن اسحـاق وغيره.[١].

ولكننا بدورنـا نشك في ذلـك، فإن حكيم بن حـزام كان من القـوم الـذين انتدبتهم قـريش لقتل رسـول الله «صلى الله عليـه وآلـه وسلم» ليلة الغار، وباتوا على باب النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» يرصدونه بانتـظار ساعة الصفر[٢] وقد ردّ الله كيدهم الى نحورهم.

أضف إلى ذلك: أنه كان يحتكر جميع الطعـام الذي كـان يأتي إلى المدينة على عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم»[٣]. وكان من المؤلفة قلوبهم[٤].

ومن كانت له نفسية كهذه، فانه يصعب عليه جود كهـذا، خصوصـاً

---

(١) راجع: سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٧٩ وغير ذلك من كتب السيرة.

(٢) البحار ج ١٩ ص ٣١ ومجمع البيان ج ٤ ص ٥٣٧.

(٣) دعائم الاسلام ج ٢ ص ٣٥ والتوحيد للصدوق ص ٣٨٩ والوسائل ج ١٢ ص ٣١٦ والكافي ج ٥ ص ١٦٥ والتهذيب للطوسي ج ٧ ص ١٦٠ ومن لا يحضره الفقيه ج ٣ ص ٢٦٦ ط جماعة المدرسين والإستبصار ج ٣ ص ١٥ .

(٤) نسب قريش ص ٢٣١.

إذا كان معه تعريض نفسه لأخطار العداء مع قريش. إلا أن يكون يمارس ذلك بروحه الاحتكارية التجارية؛ فيبيع المسلمين الطعام باغلى الاثمان. فيعرض نفسه لهذه الاخطار حباً بالمال.

ويكون حبه للمال، وتفانيه في سبيله هو الذي يسهّل عليه كل عسير، ويذلّل له ركوب كل صعب وخطير.

اضف الىٰ ذلك: أنه سوف يأتي حين الكلام على اسلام ابي طالب حين الكلام على ردَّه «صلى الله عليه وآله وسلم» هدية ملاعب الاسنة: أن النبي «صلى الله عليه وآله وسلم»، قد ردّ هديته وهدية غيره، لأنها هدية من مشرك.

فلا يعقل: أن يقبلها الآن، ويردّها بعد ذلك. وإلا لاعترضوا عليه بقبوله لها قبل الآن.

إلا ان يدّعىٰ: ان ابن حزام إنما كان يعطي الأطفال والنساء، وغيرهم من بني هاشم المحصورين في الشعب، وهؤلاء كانوا يقبلون ذلك منه، وإن كان النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» لم يكن يقبل.

فتبقىٰ ملاحظة: انه قد يكون انما ياتيهم بالطعام ليبيعهم إياه بأغلىٰ الاثمان لا دافع لها.

ومن ذلك كله يظهر أيضاً: أنه لا يمكن الإطمئنان، ولا قبول قولهم: إن أبا العاص بن الربيع كان يفعل مثل ذلك آنئذٍ.

ونحن لا نستبعد: أن يكون للزبيريين يد في تسجيل هذه الفضيلة لحكيم بن حزام، لاسيما وأنه كان ممن تلكّأ عن بيعة أمير المؤمنين «عليه السلام»، وكان عثمانياً متصلباً[1]. وقد أشرنا إلى ذلك حين الكلام حول

---

(١) قاموس الرجال ج ٣ ص ٣٨٧.

ولادة أمير المؤمنين «عليه السلام» في الكعبة، وحين الكلام عن افتعال الاكاذيب في موضوع الوحي وكيفياته.

انشقاق القمر:

وفي السنة الثامنة من البعثة، حينما كان المسلمون محصورين في شعب أبي طالب، كانت قضية انشقاق القمر[١].

وقد جاء في الروايات الكثيرة: أن قريشاً سألوا رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» أن يريهم آية، فدعا الله فانشق القمر نصفين حتى نظروا إليه ثم التأم؛ فقالوا: هذا سحر مستمر، فأنزل الله تعالى: اقتربت الساعة وانشق القمر، وإن يروا آيةً يعرضوا ويقولوا سحر مستمر[٢].

وفي رواية: أنهم قالوا: انتظروا ما يأتيكم به السُّفَّار؛ فان محمداً لا يستطيع أن يسحر الناس كلّهم، فجاء السفار، فسألوهم، فقالوا: نعم رأيناه، فأنزل الله: اقتربت الساعة وانشق القمر[٣].

ونقل عن السيد الشريف في شرح المواقف، وعن ابن السبكي في شرح المختصر: أن الحديث متواتر لا يمترى في تواتره عند أهل السنة[٤].

وأما عند غيرهم، فيقول العلامة البحاثة السيد الطباطبائي ايده الله: «ورد انشقاق القمر لرسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» في روايات الشيعة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام كثيراً، وقد تسلّمه

---

(١) تفسير الميزان ج ١٩ ص ٦٢ و ٦٤.

(٢) سورة القمر/١و٢.

(٣) الدر المنثور ج ٦ ص ١٣٣ عن ابن جرير، وابن المنذر، وابن مردويه، وأبي نعيم، والبيهقي في دلائلهما، ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٢٢.

(٤) تفسير الميزان ج ١٩ ص ٦٠.

محدثوهم ، والعلماء من غير توقف[١]»

ولكن على أية حال . . لا يمكن أن تعتبر هذه المسألة من ضروريات الدين ، كما اشار اليه بعض الاعلام[٢].

شبهة، وحلها:

يقول العلامة الطباطبائي: «واعترض عليها: بأن صدور المعجزة منه «صلى الله عليه وآله وسلم» باقتراح من الناس، ينافي قوله تعالى : وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذّب بها الأولون، وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها، وما نرسل بالآيات إلا تخويفا»[٣].

فمفاد هذه الآية، إما أنا لا نرسل بالآيات إلى هذه الأمة أصلاً، لأن الأمم السابقة كذبوا بها، وهؤلاء يماثلونهم في طباعهم؛ فيكذبون بها، ولا فائدة في الارسال مع عدم ترتب الأثر عليه. أو المفاد؛ أنا لا نرسل بها، لأنا أرسلنا إلى أوليهم فكذبوا بها؛ فعذبوا بها، واهلكوا. ولو أرسلنا إلى هؤلاء لكذبوا بها، وعذبوا عذاب الاستئصال، لكنا لا نريد أن نعاجلهم بالعذاب. وعلى أي حال لا يرسل بالآيات إلى هذه الأمة، كما كانت ترسل إلى الامم الدارجة.

نعم، هذا في الآيات المرسلة باقتراح الناس، دون الآيات التي تؤيّد بها الرسالة، كالقرآن المؤيد لرسالة النبي «صلى الله عليه وآله وسلم»، وكآيتي العصا، واليد لموسى «عليه السلام»، وآية احياء الموتى وغيرها لعيسى «عليه السلام»، وكذا الآيات النازلة لطفاً منه سبحانه،

---

(١) تفسير الميزان ج ١٩ ص ٦١ وراجع باب المعجزات السماوية في البحار، ج ١٧ ص ٣٤٨ ـ ٣٥٩.

(٢) راجع: همه بايد بدانند (فارسي) ص ٧٥.

(٣) الاسراء/ ٥٩.

كالخوارق الصادرة عن النبي «صلى الله عليه وآله وسلم»، لا عن اقتراح منهم الخ .

ثم أجاب أيده الله بما ملخصه: أن تكذيبهم بآية انشقاق القمر كان يستدعي العذاب، لأنها آية اقتراحية منهم، وما كان الله ليهلك جميع من أرسل نبيّه إليهم، وهم أهل الارض جميعاً إلا بعد إتمام الحجة عليهم، ولم تتم الحجة بعد على جميع الناس ثم كذبوه، ثم طلبوا الآية. بل تمت الحجة على بعض الأفراد من الذين كانوا يعيشون في مكة، لأن هذه الآية كانت قبل الهجرة بخمس سنين هذا بالإضافة إلى أنه ما كان الله ليهلك جميع أهل مكة ومن حولها، لأن فيهم جمعاً كبيراً من المسلمين، قال تعالى: **﴿ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤوهم، فتصيبكم منهم معرّة بغير علم، ليدخل الله في رحمته من يشاء، لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما﴾**[1].

ولم يتزيل المشركون عن المسلمين، ولا امتازوا عنهم.

كما أنه إذا كان الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» بينهم فانه لا يعذبهم. قال تعالى: **﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾**[2] وما كان الله لينجي المؤمنين، ويهلك الكفار بعد ان آمن جمع كثير منهم فيما بين سنة ثمان من البعثة، وثمان من الهجرة، ثم اسلم عامتهم يوم الفتح. والاسلام يكتفي فيه بظاهره.

وأيضاً، فان عامة أهل مكة ومن حولها لم يكونوا أهل جحود وعناد، وإنما كان ذلك في عظمائهم وصناديدهم، الذين كانوا يستهزؤن به «صلى الله عليه وآله وسلم»، ويعذبون المؤمنين.

---

(١) الفتح/ ٢٥.

(٢) الأنفال/٣٣.

والآيات التي تبين أنهمْ لكونهم يصدون على المسجد الحرام، ولكونهم يستفزونه «صلى الله عليه وآله وسلم» من الارض ليخرجوه منها. سوف ينشأ عنه أنهم لا يلبثون خلافه إلا قليلا، وليذوقوا العذاب بما كانوا يكفرون[1] ـ هذه الآيات ـ قد تحقق مضمونها بما أصابهم يوم بدر من القتل الذريع.

فقوله تعالى: **﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات الخ..﴾** إنما يفيد الامساك عن إرسال الآيات ما دام النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» فيهم، واما إرسالها وتأخير العذاب إلى حين خروجه من بينهم فلا دلالة فيه عليه.

وقوله تعالى **﴿وقالوا: لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعاً﴾** ـ إلى أن قال ـ: **﴿قل: سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولا﴾**[2]. لا يدل على نفي تأييد النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» بالآيات المعجزة، وانكار نزولها من الاساس. وإلا فان جميع الانبياء كانوا بشراً. ومعنى الآية: أنه من حيث هو بشر فانه لا يقدر على ذلك. وانما الأمر إلى الله تعالى فهو الذي يأتي بالآيات في الحقيقة[3].

ويقول البعض: إن آية: **﴿وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً﴾** لعلها ناظرة إلى أن دعوة النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» ليست معتمدة على الآيات، التي هي من قبيل ناقة ثمود، وآيات موسى «عليه السلام»، بل هي تعتمد بالدرجة الاولى على الاقناع، واقامة الحجة العقلية كدعوة ابراهيم ، وذلك لا ينافي صدور بعض الآيات في الموارد التي لا تنفع فيها الحجج العقلية، والبراهين القطعية.

---

(١) راجع الاسراء/٧٦ والانفال/٣٥.

(٢) الاسراء/٩٣.

(٣) راجع فيما تقدم: تفسير الميزان ج ١٩ ص ٦٠ ـ ٦٤.

انشقاق القمر، الحَدَث الكبير

وأوردوا على انشقاق القمر، بأنه لو انشق ـ كما يقال ـ لرآه جميع الناس، ولضبطه أهل الارصاد في الغرب والشرق، لكونه من اعجب الآيات السماوية، والدواعي متوفرة على استماعه ونقله.

وأجيب:

أولاً: إن من الممكن أن يغفل عنه، فلا دليل على كون كل حادث أرضي أو سماوي معلوماً للناس، محفوظا عندهم، يرثه خلف عن سلف[1].

وأوضح ذلك بعض الأعلام بما حاصله:

إنه لا بد من ملاحظة الأمور التالية

١ ـ إن هذا الانشقاق قد حصل في نصف الكرة الأرضية، حيث يوجد الليل دون النصف الآخر، حيث يوجد النهار.

٢ ـ وفي هذا النصف لا يلتفت أكثر الناس إلى ما يحصل في الاجرام السماوية إذا كان ذلك بعد نصف الليل، حيث الكل نائمون، فإنهم جميعاً لا يلتفتون إلى ذلك.

٣ ـ ولربما يكون في بعض المناطق سحاب يمنع من رؤية القمر.

٤ ـ والحوادث السماوية إنما تلفت النظر لو كانت مصحوبة بصوت كالرعد، أو بأثر غير عادي كقلة نور الشمس في الكسوف، إذا كان لمدة طويلة نسبياً.

٥ ـ هذا كله عدا عن أن السابقين لم يكن لهم اهتمام كبير بالسماء ومراقبة ما يحدث لاجرامها.

---

(١) تفسير الميزان ج ١٩ ص ٦٤.

٦ ـ ولم يكن ثمة وسائل إعلام تنقل الخبر من أقصى الأرض إلى أقصاها بسرعة مذهلة؛ لتتوجه الانظار إلى ما يحدث.

٧ ـ والتاريخ الموجود بين أيدينا ناقص جداً، فكم كان في تلك المئات والآلاف من السنين الخالية من كوارث وزلازل، وسيول عظيمة أهلكت طوائف وأمماً، وليس لها مع ذلك في التاريخ أثر يذكر. بل إن زرادشت وقد ظهر في دولة عظيمة، وله أثر كبير على الشعوب على مدى التاريخ، لا يُعرف حتى أين ولد ومات ودفن، بل ويشك البعض في كونه شخصية حقيقية، أو وهمية.

وبعد ما تقدم: يتضح أنه لا يجب أن يعرف الناس بانشقاق القمر، ولا أن يضبطه التاريخ بشكل واضح[1] كما هو معلوم.

وثانياً: لم يكن في المنطقة العربية وغيرها مرصد للأوضاع السماوية، وإنما كانت المراصد موجودة في المشرق والمغرب لدى الروم واليونان، وغيرهما. ولم يثبت وجود مرصد في هذا الوقت.

على أن بلاد الغرب، الذين كانوا معتنين بهذا الشأن بينها وبين مكة من اختلاف الأفق ما يوجب فصلاً زمانياً معتدّاً به. وقد كان القمر على ما في بعض الروايات بدراً قد انشق حين طلوعه، ودام مدة يسيرة، ثم التأم، فيقع طلوعه في بلاد المغرب وهو ملتئم ثانياً[2].

امكان الانشقاق والالتيام علمياً:

ويبقى هنا سؤال. وهو أنه هل يمكن علمياً الانشقاق في الاجرام السماوية؟، وإذا أمكن الانشقاق، فانما يمكن ببطلان التجاذب بين الشقتين حينئذٍ؛ فيستحيل الالتيام بعد الانشقاق.

---

(١) همه بايد بدانند (فارسي) ص ٩٤ للعلامة الشيخ ناصر مكارم الشيرازي.

(٢) تفسير الميزان ج ١٩ ص ٦٤/٦٥.

وأجيب عنه: بان خرق العادة بقدرة الله سبحانه ليس محالاً. كما أن العلماء يقولون: إنه قد حدثت انشقاقات كثيرة في الأجرام السماوية؛ بسبب عوامل خاصة، ومن الأمثلة على ذلك:

١ ـ ان ثمة حوالي خمسة آلاف من القِطَعِ الكبيرة والصغيرة التي تدور حول الشمس ويعتقد العلماء انها بقايا احدى السيارات التي كانت بين مداري المريخ، والمشتري، ثم انفجرت لاسباب مجهولة وتحولت إلى قطع متفاوتة الاحجام في مدارات حول الشمس.

٢ ـ ويقولون: إن الشهب هي أحجار صغيرة تسير بسرعة مذهلة في مدار حول الشمس. وربما تتقاطع مع الارض أحياناً، فتجذبها الارض، فتصطدم بالجو الارضي فتشتعل ثم تتلاشى. ويقول العلماء: انها بقايا نجوم انفجرت وتشققت بهذا النحو.

٣ ـ والمنظومة الشمسية أيضاً يقال ـ حسب نظرية لابلاس ـ: إنها كانت في الاصل قطعة واحدة، ثم انفجرت، لسبب غير معلوم فصارت على هذا النحو.

فلماذا لا ينشق القمر بسبب قاهر وهو القدرة الالهية، حيث إن النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» قد دعا الله فاستجاب له.؟ ولم يدّع أحد أنه ينشق بلا سبب أصلاً.

وأما عودته إلى الالتيام بعد ذلك. فقد قال العلماء: إن كل جرم كبير له جاذبية. ولذلك نجد أن الشمس كثيراً ما تجذب بعض القطعات التي تدور حولها.

فتتحول تلك القطع بفعل الصدمة والاحتكاك إلى لهب متلاش.

اذن، فما دام كل من شقي القمر قريباً إلى الآخر، وبعد رفع تأثير القوّة المانعة من تأثير الجاذبية، فلماذا لا يشد كل من النصفين النصف الآخر

إلى نفسه، ليعودا كما كانا، وأي محذور عقلي في ذلك[١].

وقد أوجز العلامة الطباطبائي الاجابة عن سؤال امتناع الالتيام لعدم الجاذبية، فقال: إن الاستحالة العقلية ممنوعة، والاستحالة العادية، بمعنى اختراق العادة، لو منعت عن الالتيام بعد الانشقاق، لمنعت أولاً عن الانشقاق بعد الالتيام ولم تمنع. وأصل الكلام مبني على خرق العادة[٢].

دلالة الآية القرآنية على ذلك:

ويحتمل البعض: أن يكون قوله تعالى: ﴿**اقتربت الساعة وانشق القمر**﴾ ناظراً إلى المستقبل، وأنه من أشراط الساعة، كتكوير الشمس، وانكدار النجوم.

وأجيب عنه بما حاصله:

أولاً: إن ظاهر قوله تعالى: ﴿**وان يروا آية يعرضوا ويقولوا: سحر مستمر**﴾ هو أن جماعة من مخالفي النبي لا يؤمنون بالآيات وكلما جاءتهم آية يزيد عنادهم واستكبارهم، ويعتبرونها من السحر. مما يدل على أنه قد جرى له «صلى الله عليه وآله وسلم» معهم في قصة انشقاق القمر مثل ذلك.

ثانياً: إن جملة «**انشق**» فعل ماض، ولا يراد الاستقبال من الفعل الماضي إلا بقرينة، وهي غير موجودة. بل الموجود خلافه؛ فقد قال الرازي: «المفسرون بأسرهم على أن المراد أن القمر انشق، ودلت الاخبار الصحاح عليه»[٣] ـ وإن كان الطبرسي وابن شهر اشوب يستثنيان:

---

(١) كتاب: همه بايد بدانند ص ٨٤ ـ ٩٠.

(٢) تفسير الميزان ج ١٩ ـ ٦٥.

(٣) التفسير الكبير للرازي ج ٢٩ ص ٢٨.

عطاء، والحسن والبلخي[١]. ثم قال: الطبرسي: وهذا لا يصح، لأن المسلمين أجمعوا على ذلك، فلا يعتد بخلاف من خالف فيه[٢].

وان قيل: إن اقتران جملة: اقتربت الساعة: بجملة: وانشق القمر، يوحي بأن زمانهما واحد.

فالجواب هو: ان كثيراً من الآيات تؤكد على أن الساعة قد قرب وقتها، فلم الغفلة؟، قال تعالى: ﴿**اقترب للناس حسابهم، وهم في غفلة معرضون**﴾[٣]. وينقل عنه «صلى الله عليه وآله وسلم» انه قال: «بعثت انا والساعة كهاتين»[٤] وأشار الى اصبعيه. «والظاهر: أن ذلك بملاحظة مجموع عمر الدنيا الطويل جداً، حتى ليصح أن يقال: إن هذا الفاصل الزماني بين بعثته «صلى الله عليه وآله وسلم» وقيام الساعة ليس بشيء».

وبعد هذا.. فان مفاد الآية يكون: ان الساعة قد اقتربت، وهذه الآية المعجزة قد ظهرت للنبي «صلى الله عليه وآله وسلم». ولكن هؤلاء المشركين المستكبرين لا يؤمنون، ولا يصدقون. بل يقولون: سحر مستمر[٥].

ولكن بعض المحققين يقول: إن قوله تعالى: ﴿**وإن يروا آية الخ..**﴾ جملة شرطية، لا دلالة فيها على وقوع ذلك. وجملة ﴿**انشق القمر**﴾ مساقها مساق قوله تعالى: أتى أمر الله؛ فلا تستعجلوه، فانها جملة

---

(١) مجمع البيان ج ٩ ص ١٨٦ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٢٢.

(٢) مجمع البيان ج ٩ ص ١٨٦.

(٣) الأنبياء/١.

(٤) نقله في مفتاح كنوز السنة ص ٢٢٧ عن البخاري، ومسلم، وابن ماجة والطيالسي، وأحمد، والترمذي والدارمي، فراجع.

(٥) راجع في كل ما ذكرناه في دلالة الآية كتاب: همه بايد بدانند (فارسي) ص ٧٦ ـ ٨٠.

فعلية ماضوية. ولكن الأمر لم يأت بعد بقرينة قوله: ﴿فلا تستعجلوه﴾. وكذا الحال في قوله تعالى: ﴿وانشق القمر﴾ بملاحظة قوله تعالى: ﴿وإن يروا إلخ﴾. والمراد بيان حالهم لو وقع لهم أمر كهذا. وأما الاجماع الذي أدعاه الطبرسي؛ فلا حجية فيه، إذ من المحتمل أن يكون منشؤه الفهم الخاطىء للآية. انتهى كلامه.

ونقول نحن: إن هذا الكلام له وجه، لو لم يكن لدينا أخبار صحيحة تدل على وقوع انشقاق القمر.

الاساطير:

هذا، وقد لعبت الأهواء والاساطير في قضية شق القمر، حتى لقد شاع على ألسنة الناس: أن أحد شقي القمر قد مرَّ من كُمِّ النبي «صلى الله عليه وآله وسلم». فيقول العلامة ناصر مكارم: إن هذا الكلام ليس له في كتب الحديث والتفسير عين ولا أثر، سواء عند السنة، أو عند الشيعة.

وثمة تفاصيل وخصوصيات تذكر في بعض الروايات لا نرى في تحقيق الحق فيها كبير نفع، ولا جليل أثر؛ ولذا فنحن نعرض عنها إلى ما هو أهم، ونفعه أعم.

نقض الصحيفة:

وبعد ثلاث سنوات تقريباً من حصر المسلمين في شعب أبي طالب، أخبر النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» عمه أبا طالب بأن الإرضة قد اكلت كل ما في صحيفتهم من ظلم وقطيعة رحم ولم يبق فيها إلا ما كان اسماً لله (وفي نص آخر: انها قد اكلت كل اسم لله تعالى فيها، ولم تُبْقِ إلا كل ظلم وشر، وقطيعة رحم.[1]).

---

(١) ولربما يقال: إن استمرار قريش على عدائه «صلى الله عليه وآله»، إلى حين نقض =

فخرج أبو طالب من شعبه، ومعه بنو هاشم إلى قريش، فقال المشركون: الجوع أخرجهم.

وقالوا له: يا أبا طالب، قد آن لك أن تصالح قومك. قال: قد جئتكم بخير، ابعثوا إلى صحيفتكم، لعله أن يكون بيننا وبينكم صلح فيها.

فبعثوا، فأتوا بها. فلما وضعت وعليها أختامهم. قال لهم أبو طالب: هل تنكرون منها شيئاً؟

قالوا: لا.

قال: إن ابن أخي حدثني ولم يكذبني قط: أن الله قد بعث على هذه الصحيفة الإرضة، فأكلت كل قطيعة وإثم، وتركت كل اسم هو لله؛ فان كان صادقاً أقلعتم عن ظلمنا، وإن يكن كاذباً ندفعه اليكم فقتلتموه.

فصاح الناس: أنصفتنا يا أبا طالب.

ففتحت، ثم أخرجت، فإذا هي كما قال «صلى الله عليه وآله وسلم»: فكبر المسلمون، وامتقعت وجوه المشركين.

فقال أبو طالب: أتبين لكم: أينا أولى بالسحر والكهانة؟.

فأسلم يومئذٍ عالم من الناس.

ولكن المشركين لم يقنعوا بذلك، بل استمروا على العمل بمضمون

= الصحيفة، يدل على أن الأرضة إنما محت اسم الله تعالى. وابقت قطيعة الرحم وسائر المواد التي اتفقوا عليها. وقد استبعد ذلك بأن أكل الارضة لأسم الله بعيد. فلعلهم التزموا بمضمونها وان كانت قد محيت، أو أنهم أعادوا كتابتها.

ولربما يرد على ذلك بأن الارضة إنما محت اسم الله عنها تنزيها له عن أن يكون في صحيفة ظالمة كهذه وهذا إعجاز مطلوب وراجح من أجل اظهار الحق، وليس في ذلك إهانة.

الصحيفة، حتى قام جماعة منهم بالعمل على نقضها، ويذكرون منهم :

هشام بن عمرو بن ربيعة، وزهير بن أمية بن المغيرة، والمطعم بن عدي، وأبا البختري بن هشام، وزمعة بن الاسود، وكلهم له رحم ببني هاشم والمطلب. وتكلموا في نقضها؛ فعارضهم أبو جهل فلم يلتفتوا الى معارضته، ومزقت الصحيفة، وبطل مفعولها.

وخرج الهاشميون حينئذٍ من شعب أبي طالب رضوان الله تعالى عليه[1].

حنكة أبي طالب ، وايمانه:

إن المطالع لأحداث ما قبل الهجرة النبوية الشريفة ليجد عشرات الشواهد الدالة على حنكة أبي طالب «عليه السلام».

وخير شاهد نسوقه الآن على ذلك، هو ما ذكرناه آنفا، حيث رايناه يطلب منهم أن يحضروا صحيفتهم، ويمزج ذلك بالتعريض بامكان أن يكون ثمة صلح في ما بينهم وبينه. وما ذلك إلا من أجل أن لا تفتح الصحيفة إلا علناً، يراها كل أحد، وأيضاً، حتى يهيئهم للمفاجأة الكبرى، ويمهد السبيل أمام طرح الخيار المنطقي عليهم، ليسهل عليهم تقبله، ثم الالتزام به.

ولا سيما إذا استطاع أن ينتزع منهم وعداً بما يريد، ويضعهم أمام شرف الكلمة، وعلى محك قواعد النبل واحترام الذات، حسب المعايير التي كانوا يتعاملون على أساسها. . وقد نجح في ذلك إلى حد بعيد،

---

(١) راجع فيما تقدم: السيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٤٤ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ١٦ ودلائل النبوة ط دار الكتب ج ٢ ص ٣١٢ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ٨٨ والسيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ١٣٧ و ١٣٨ ط دار المعرفة وتاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٣١ والبداية والنهاية ج ٣ ص ٨٥ و ٨٦.

حتى ليصيح الناس: أنصفتنا يا أبا طالب.

ثم تبرز لنا من النصوص المتقدمة حقيقة أخرى، لها أهميتها وانعكاساتها، وهي تدل مدى ثقة أبي طالب بصدق النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله وسلم»، وبسداد أمره، وواقعية ما جاء به. حتى لقد كان يتألم جداً من اتهام ابن أخيه بالسحر والكهانة، ويعتبر ذلك افتراءاً ظاهراً، ويغتنم الفرصة السانحة للتعبير عن خطل رأيهم، وسفه أحلامهم، فيقول لهم: «اتبين لكم: أينا أولى بالسحر والكهانة؟». وكانت النتيجة: أن اسلم بسبب هذه المعجزة يومئذٍ عالم من الناس.

القبلية و آثارها:

وقد لاحظنا فيما سبق: أن القبلية قد ساعدت إلى حد ما في منع الكثير من الأحداث التي تؤثر مستقبليا على الدعوة ونجاحها. وليكن ما قام به هؤلاء الذين عملوا على نقض الصحيفة هو أحد الشواهد على ذلك. ولكن الذي يلفت نظرنا هو أننا لا نرى أبا لهب فيمن قام في ذلك أو ساعد عليه.

كما أننا لا نجد اثراً لابن عم خديجة حكيم بن حزام، الذي تدّعي الروايات!! أنه كان يرسل الطعام لهم وهم محصورون في الشعب.

وأيضاً لا نجد مكاناً لابي العاص بن الربيع الأموي (!!)، الذي سوف يأتي حين الكلام على أسطورة تزويج علي[1] ببنت أبي جهل أنهم يدّعون (!!): ان النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» أثنى على صهره!! تعريضا بعلي الذي لم يكن يستحق إلا التقريع والتعريض (!!). علي الذي كان يخاطر بنفسه، ويأتي لهم بالطعام من مكة، ولو وجدوه لقتلوه، كما تقدم.

ما بعد نقض الصحيفة:

واستمر الرسول الاكرم «صلى الله عليه وآله وسلم» يعمل على نشر دينه، وأداء رسالته، واستمرت قريش تضع في طريقه العراقيل، وتحاول أن تمنع الناس من الاجتماع به، والاستماع اليه، بكل الوسائل التي تقع تحت اختيارها.

والنبي «صلى الله عليه وآله وسلم» يتحمل ويصبر. لا يكل ولا يمل. ولم تفلح قريش في ذلك، ولا وصلت إلى نتيجة.

والأحداث التي في هذا السبيل كثيرة، لو أردنا استقصاءها لطال بنا المقام. ولا محيص لنا عن تجاوزها إلى غيرها، وإن كان يعز ذلك علينا.

وفد من الحبشة:

وقدم على النبي الأعظم الاكرم «صلى الله عليه وآله وسلم» أول وفد من خارج مكة، وبالذات، من الحبشة، ومن النصارى، وقيل: من نجران. وكان يتألف ـ على قول ابن اسحاق وغيره ـ من عشرين رجلاً، وقيل غير ذلك. وكان على رأس الوفد جعفر بن أبي طالب رحمه الله[1]. فوجدوا النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» في المسجد؛ فكلموه، وسألوه، ورجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة، وبعد دعوة الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» لهم إلى الاسلام آمنوا وصدقوا.

فلما قاموا، اعترضهم أبو جهل، وعنفهم على اسلامهم، وتركهم دينهم؛ فقالوا: سلام عليكم، لانجاهلكم، لنا ما نحن عليه، ولكم ما انتم عليه، لم نأل أنفسنا خيراً؛ فأنزل الله تعالى: «الذين آتيناهم الكتاب من

---

(١) كذا قال البوطي في فقه السيرة ص ١٢٦ ومجمع البيان ج ٧ ص ٢٥٨ ويفهم منه أنهم قدموا مع جعفر حين قدومه نهائياً عام خيبر.

قبله، هم بـه يؤمنون، إلى قـوله تعـالى: إذا سمعوا اللغـو أعرضـوا عنـه، وقالوا: لنا اعمالنا ولكم اعمالكم، سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين[1]».

وكـانت هذه ـ بـطبيعة الحـال ـ ضربـة قاسيـة لقريش وكبـريـائهـا، وخططها واهدافها. وخصـوصاً إذا كـان ذلك الـوفد قـد جاء من الحبشـة، وبـالأخص بقيادة جعفـر «عليه السـلام»؛ فان ذلـك يعني: أن الدعـوة قـد بدأت تأخذ طريقها إلى القلوب في مناطق لا تخضع لقريش، وسلطانهـا، ونفوذها.

كما أنه إنذار لها بلزوم التحرك بسرعـة قبل أن يفـوت الاوان، ولكن كيفـ؟ وأنى؟. وهـذا أبو طـالب، ومعه الهـاشميون والمـطلبيـون يمنعـون محمداً ويحوطونه. فلابد إذن من الانتظار.

من مواقف أبي طالب:

وكان أبو طالب شيخ الأبطح «عليه السلام» هو الـذي حامىٰ ونـاصَرَ النبي «صلى الله عليه وآله وسلم»، وحدب عليه منذ طفولته، وحتى الآن: فقد نصره بيده ولسانه، وواجه المصاعب الكبيرة، والمشاق العظيمـة، في سبيل الدفـع عنه، والـذود عن دينه ورسـالته، واعـطائها الفـرصة للتـوسع والانتشار، ما وجدت الى ذلك سبيلا.

وهو أيضاً الذي كان يقدمه على اولاده جميعاً، وقد ارجعـه بنفسه من بصرى الى مكة عنـدما حـذره بحيراً من اليهـود عليه «صلى الله عليـه وآله وسلم».

نعم، وهو الذي رضي بعـداء قريش لـه، وبمعانـاة الجوع والفقـر،

---

(١) الآية في سورة القصص من آية ٥٢ حتى آية ٥٥، وراجع الحديث في سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣٢، وتفسير ابن كثير، والقرطبي، والنيشابوري في تفسير الآيات، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٨٢.

والنبذ الاجتماعي، ورأى الاطفال يتضاغون جوعاً، حتى اقتاتوا ورق الشجر، بل لقد عبّر صراحة: عن انه على استعداد لان يخوض حرباً طاحنة، تأكل الاخضر واليابس، ولا يسلم محمداً لهم، ولا يمنعه من الدعوة الى الله، بل هولا يطلب منه ذلك على الأقل.

وهو الذي يقف ذلك الموقف العظيم من جبابرة قريش وفراعنتها، حينما جاءه النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» ـ وقد القت عليه قريش سلا ناقة ـ فأخذ رحمه الله السيف، وامر حمزة بان ياخذ السلا، وتوجه الى القوم، فلما رأوه مقبلاً عرفوا الشرّ في وجهه، ثم أمر حمزة ان يلطّخ سبالهم، واحداً واحداً، ففعل.[1]

وفي نص آخر: انه نادى قومه، وامرهم بان يأخذوا سلاحهم؛ فلما رآه المشركون ارادوا التفرق؛ فقال لهم: «ورب البنية، لا يقوم منكم احد الا جللته بالسيف، ثم وجأ أنف من فعل بالنبي ذلك حتى ادماها ـ وفاعل ذلك هو ابن الزبعرى ـ وامرّ بالفرث والدم على لحاهم.[2]

وفي الشعب كان يحرس النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» بنفسه وينقله من مكان إلى آخر. ويجعل ولده علياً «عليه السلام» في موضع النبي «صلى الله عليه وآله وسلم»، حتى اذا كان امر اصيب ولده دونه وقد خاطب رحمه الله في هذه المناسبة عليا «عليه السلام» بأبيات معبرة،

---

(١) الكافي نشر مكتبة الصدوق ج ١ ص ٤٤٩ ومنية الراغب ص ٧٥ وراجع السيرة الحلبية ج ١ ص ٢٩١ و ٢٩٢ والسيرة النبوية لدحلان مطبوع بهامش الحلبية ج ١ ص ٢٠٢ و ٢٠٨ و٢٣١ والبحار ج ١٨ ص ٢٠٩.

(٢) راجع: الغدير ج ٧ ص ٣٨٨ و ٣٥٩ وج ٨ ص ٣ ـ ٤ وابو طالب مؤمن قريش ص ٧٣ كلاهما عن العديد من المصدر وثمرات الأوراق ص ٢٨٥/ ٢٨٦ ونزهة المجالس ج ٢ ص١٢٢ والجامع لاحكام القرآن ج ٦ ص ٤٠٥، ٤٠٦ وتاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢٤/٢٥.

وأجابه علي «عليه السلام» بمثلها[١] فلتراجع.

وكان يدفع قريشا عنه باللين تارة، وبالشدة اخرى. وينظم الشعر السياسي، ليثير العواطف، ويدفع النوازل، ويهيىء الاجواء لاعلاء كلمة الله، ونشر دينه، وحماية اتباعه.

وقد افتقد النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» مرة «فلم يجده؛ فجمع الهاشميين، وسلحهم، واراد ان يجعل كل واحد منهم الى جانب عظيم من عظماء قريش ليفتك به، لو ثبت ان محمداً اصابه شر.»[٢]

كل ذلك في سبيل الدفع عن الرسول الاعظم «صلى الله عليه وآله وسلم» ونصر دينه، واعلاء كلمته، ورفعة شأنه.

وواضح: ان الالمام بكل مواقف ابي طالب، وتضحياته الجسام يحتاج الى وقت طويل، وجهد مستقل ونحن نكتفي بهذه الاشارة، ونعترف اننا لم نقض حقه كما ينبغي (وذلك من اجل ان نوفّر الفرصة لبحوث أخرى في السيرة النبوية الشريفة.

مع تضحيات أبي طالب رضوان الله عليه:

مما تقدم يظهر ان أبا طالب، شيخ الأبطح، كان على استعداد لأن:

١ - يتخلى حتى عن مكانته في قومه، إلى بديل آخر هو في الاتجاه

---

(١) المناقب لابن شهر اشوب ج ١ ص ٦٤/ ٦٥ وأسنى المطالب ص ٢١ ولم يصرح بإسم (علي) وكذا في السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٤٢ وراجع البداية والنهاية ج ٣ ص ٨٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٤٤ ودلائل النبوة للبيهقي ط دار الكتب العلمية ج ٢ ص ٣١٢ وتاريخ الاسلام ج ٢ ص ١٤٠/١٤١ والغدير ج ٧ ص ٣٦٣ و ٣٥٧ و ٣٥٨ وج ٨ ص ٣ و ٤ وابو طالب مؤمن قريش ص ١٩٤.

(٢) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢٦. ابو طالب مؤمن قريش ص ١٧١ ومنية الراغب ص ٧٥/ ٧٦ والغدير ج ٢ ص ٤٩ و ٣٥٠ و ٣٥١.

المضاد تماماً، وهو العداء لهم، وسائر أهل بلده، بل والدنيا بأسرها، بل هو يتحمل النفي والنبذ الاجتماعي له، ولكل من يلوذ به، ولا يستسلم للضغوط المتنوعة التي يتعرض لها، ولا تلين قناته، ولا تصدع صفاته.

٢ - يرضى بتحمل الجوع والفقر والمحاصرة الاقتصادية، بل هو يبذل أمواله وكل ما لديه في سبيل هذا الدين.

٣ - يوطن نفسه على خوض حرب طاحنة، ربما تنتهي بابادة الهاشميين وأعدائهم، إذا لزم الأمر.

٤ - يضحي حتى بولده الأصغر سناً علي عليه السلام ويتحمل آثار غربة ولده الآخر جعفر، المهاجر إلى الحبشة.

٥ - يجاهد بيده ولسانه، ويستخدم كل مالديه من امكانات مادية ومعنوية، ولا يبالي بكافة الصعاب والمشاق، وهو يدافع عن هذا الدين، ويحوطه بالرعاية والعناية، ما وجد إلى ذلك سبيلاً.

سؤال وجوابه:

ويرد سؤال، هو: لماذا لا يكون ذلك كله بدافع عاطفي، ونابعاً عن حمية النسب والقبيلة؟! أو على حدّ تعبير البعض: بدافع من «حبه الطبيعي»[1]؟.

وجوابه:

١ - ما يأتي من ادلة قاطعة على ايمان ابي طالب عليه الصلاة والسلام ولا سيما اشعاره وتصريحاته الدالة على ذلك هذا بالإضافة إلى ما ورد عن رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» وعن الأئمة من ولده في حقه.

٢ - يؤيد ذلك انه إذا كان محمد «صلى الله عليه وآله وسلم» ابن

---

(١) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٣٩٤.

اخيه؛ فان علياً ولده، فلو كانت العاطفة النسبية هي الدافع، فلماذا يضحي بولده دون ابن أخيه، طائعاً مختاراً، بعد تفكير وتأمل وتدبر لعواقب ذلك؟ ولماذا يرضى بأن يكون الاغتيال ـ لو تم ـ موجها له دونه؟! أم يعقل أن يكون حبه الطبيعي لابن أخيه أكثر منه لولده، وفلذة كبده؟!.

٣ ـ أما الحمية القبلية، والرابطة النسبية، فلو كانت هي السبب في موقفه ذاك، فلماذا لم تدفع أبا لهب لعنه الله لان يقف موقف ابي طالب «عليه السلام»؛ فيدفع عن النبي «صلى الله عليه وآله وسلم»، ويضحي في سبيله؛ حتى بولده، وبمكانته، وبكل ما يملك؟!.

بل لقد رأيناه من اشد الناس على النبي، واكثرهم جرأة عليه، وايذاء له.

وأما ساير بني هاشم فانهم وإن دخلوا الشعب مع النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» إلا أن تضحياتهم في سبيل النبي لم تبلغ عشر معشار تضحيات أبي طالب، كما انهم انما وقفوا هذا الموقف تحت تأثير نفوذ ابي طالب، وإصراره..

وهكذا يتضح: ان حمية الدين اقوى من حمية النسب، ولذلك نرى المسلمين يصرحون بأنهم على استعداد لقتل آبائهم واولادهم في سبيل دينهم. وقد استأذن عبدالله بن عبدالله بن أبي رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» بقتل ابيه[1] وفي صفين أيضاً لم يرجع الأخ عن اخيه حتى أذن له امير المؤمنين (ع) بتركه،[2] الى غير ذلك من الشواهد الكثيرة.

٤ ـ ثم إنه لو كان أبو طالب يفعل ذلك من اجل الدنيا؛ فقد كان

---

(١) تفسير الصافي ج ٥ ص ١٨٠ والسيرة الحلبية ج٢ ص ٦٤ والدر المنثور ج ٦ ص ٢٤ عن عبد بن حميد، وابن المنذر والاصابة ج ٢ ص ٣٣٦.

(٢) صفين للمنقري ص ٢٧١/٢٧٢.

يجب ان يضحي بـابن اخيه دون ولـده، ويضحي بـه دون عشيـرتـه؛ لانـه يحصل على الدنيا من هذا الطريق؛ كما قتـل المأمـون أخاه، وسمّمت ام الهادي ولدها، لا أن يضحي بكل شيء دونـه، ثم تكون النتيجـة هي: أن يدمّره ويدمر نفسه معه، فان هذا لا يصح في منطق المصالح الدنيويـة بايـة صورة على الاطلاق.

٥ ـ وأيضـاً، فان الحميـة القبلية ـ لـو كانت ـ فـانما تؤثـر اثرهـا في حدود مصالح القبيلة، والحفاظ على شؤونها، ومستقبلها اما اذا كانت هذه الحمية سبباً في تدمير القبيلة والقضاء عليها، وتعطيل مصالحها، وتعريض مستقبلهـا لـلاخـطار الجسـام؛ فـان هـذه الحميـة لايمكن ان يفسـح لهـا المجال، ولا ان يظهر لها اثر لدى عقلاء الرجال.

وهكذا يتضح: اننا لا يمكن ان نفسر مـواقف ابي طالب (ع) تلك، الاّ على انها بدافع عقيدي وايماني راسخ، يدفع الانسان للبذل والعـطاء، لكل ما يملك في سبيل دينه وعقيدته.

فصلوات الله وسلامه عليك يا ابـا طالب، يـا ابا الـرجال، ويـا رائد قوافل التضحية والفداء، في سبيل الحق والدين، ورحمة الله وبركاته.

عام الحزن:

وفي السنة العاشرة من البعثة كانت وفاة الـرجل العـظيم، ابي طالب عليه الصلاة والسلام.

ففقد النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» بفقده نصيـراً قويـاً، وعزيـزاً وفياً، كان هو الحامي له، والدافع عنه، وعن دينـه، ورسالتـه، كما اشـرنا اليه.

ثم توفيت بعده بمدة وجيزة ـ قيل: بثلاثـة أيام، وقيـل بعده بحـوالي

شهر[١] خديجة أم المؤمنين صلوات الله وسلامه عليها، أفضل أزواج النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله وسلم»، وأحسنهن سيرة، وأخلاقاً مع النبي «صلى الله عليه وآله وسلم»، وقد كانت بعض نساء النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» (وهي عائشة) تغار منها غيرةً شديدة، كما سنرى، رغم أنها لم تجتمع معها في بيت الزوجية، لأن النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» قد تزوجها بعد وفاة خديجة بزمان.[٢]

ونستطيع أن نعرف: كم كان لأبي طالب «عليه السلام»، ولخديجة صلوات الله وسلامه عليهما من خدمات جلى في سبيل هذا الدين من تسمية النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» عام وفاتهما بـ :

«عام الحزن».[٣]

الحب في الله والبغض في الله:

ومن الواضح: أن النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» لم يكن ينطلق في حبه لهما، وحزنه عليهما من مصلحته الشخصية، أو من عاطفة رحمية، وإنما هو يحب في الله تعالى، وفي الله فقط. ويقدّر أي إنسان، ويحزن لفقده، ويرتبط به روحياً وعاطفياً، بمقدار ارتباط ذلك الانسان بالله، وقربه

---

(١) السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٤٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ١٣٢ البداية والنهاية ج ٣ ص١٢٧ والتنبيه والاشراف ص ٢٠٠.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ج ٣ ص ١٢٧ ـ ١٢٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ١٣٣ ـ ١٣٥ صحيح البخاري ج ٢ ص٢٠٢ وكتاب عائشة للعسكري ص ٤٦ فما بعدها. وقد ذكرنا بعض المصادر لذلك في ما يأتي في فصل: حتى بيعة العقبة، حين الكلام حول جمال عائشة وحظوتها.

(٣) سيرة مغلطاي ص ٢٦ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٠١ والمواهب اللدنية ج ١ ص ٥٦ والسيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ١٣٩ ط دار المعرفة واسنى المطالب ص ٢١.

منه، وتفانيه في سبيله، وفي سبيل دينه ورسالته.

أي أنه «صلى الله عليه وآله وسلم» لم يتأثر على ابي طالب وخديجة؛ لأن هذه زوجته وذاك عمه. وإلا فقد كان أبو لهب عمه أيضاً. وإنما لما لمسه فيهما من قوة إيمان، وصلابة في الدين، وتضحيات وتفان في سبيل الله، والعقيدة. وفي سبيل المستضعفين في الارض ولما خسرته الامة فيهما، من جهاد واخلاص قلّ نظيره في تلك الظروف الصعبة والمصيرية.

وقد المح النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» الى ذلك حينما جعل موت ابي طالب وخديجة مصيبة للأمة بأسرها، كما هو صريح قوله في هذه المناسبة:

«.. اجتمعت على هذه الأمة مصيبتان، لا أدري بأيهما أنا أشدّ جزعاً»[1].

نعم، وذلك هو الأصل الاسلامي الأصيل، الذي قرره الله تعالى بقوله: «لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر، يوادّون من حادّ الله ورسوله، ولو كانوا آباءهم أو ابناءهم، أو إخوانهم أو عشيرتهم الخ[2]» وهل ثمة محادّة لله ولرسوله أعظم من الشرك، الذي عبر الله عنه بقوله: «إن الشرك لظلم عظيم» و «إن الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك»؟!

والآيات والروايات التي تؤكد على الحب في الله والبغض في الله كثيرة تفوق حد الحصر في عجالة كهذه.

وعلى هذا الأساس قال الله تعالى لنوح عن ولده: ﴿انه ليس من

---

(١) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٣٥ ط صادر.

(٢) المجادلة الآية ٢٢ .

أهلك إنه عمل غير صالح﴾.[١]

وقال تعالى حكاية لقول ابراهيم (ع): **﴿من تبعني فإنه مني﴾**[٢]

وعلى هذا الأساس أيضاً كان سلمان الفارسي من أهل البيت. قال «صلى الله عليه وآله وسلم»: سلمان منا أهل البيت[٣]

وقال أبو فراس:

كانت مودة سلمان لهم رحماً ولم تكن بين نوح وابنه رحم

---

(١) سورة هود الآية٤٦ .

(٢) سورة ابراهيم الآية ٣٦ .

(٣) مصادر هذا الحديث مذكورة في كتابنا سلمان الفارسي في مواجهة التحدي.

الفصل الخامس:

أبو طالب مؤمن قريش

إيمان أبي طالب «ره»:

ولا بدَّ لنا هنا من الحديث بايجاز عن موضوع ما زال بين أخذ وردّ بين المسلمين. ألا وهو ايمان أبي طالب رحمه الله فمن مؤيد، ومن منكر

فأما أهل البيت وشيعتهم، فانهم مجمعون على اسلامه «رحمه الله»،[1] بل في بعض الاحاديث: أنه من الاوصياء[2]. وأن نوره يطغى في يوم القيامة على كل نور، ما عدا نور النبي «صلى الله عليه وآله وسلم»، والأئمة، وفاطمة «عليها السلام»[3]

ونحن وإن كنا لم نستطع أن نجزم بصحة هذه الأحاديث، إلا أن إيمانه بالله، وتصديقه برسالته «صلى الله عليه وآله وسلم»، وانقياده

---

(١) روضة الواعظين ص ١٣٨، وأوائل المقالات ص ١٣ والطرائف لابن طاووس ص ٢٩٨ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ١٦٥، والبحار ج ٣٥ ص ١٣٨ والغدير ج ٧ ص ٣٨٤ عنهم، وعن: التبيان ج ٢ ص ٣٩٨، وكتاب الحجة لابن معد ص ١٣، ومجمع البيان ج ٢ ص ٢٨٧.

(٢) الغدير ص ٣٨٩ ج٧.

(٣) الغدير ج ٧ ص ٣٨٧ عن مصادر كثيرة.

للأوامر والزواجر الالهية، كالنار على المنار، وكالشمس في رابعة النهار.

والأحاديث الدالة على ايمانه، والواردة عن أهل بيت العصمة كثيرة، وقد جمعها العلماء في كتب مفردة[1].

وواضح: أن أهل البيت أدرى بما فيه، من كل أحد. يقول ابن الأثير: «وما أسلم من اعمام النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» غير حمزة والعباس، وأبي طالب عند أهل البيت»[2].

وعدا عن ذلك، فان الأدلة الدالة على إيمانه كثيرة، وقد ألف في اثبات ايمانه الكثير من الكتب من السنة والشيعة على حد سواء. وقد انهاها بعضهم إلى ثلاثين كتاباً، ومنها كتاب: أبو طالب مؤمن قريش للاستاذ عبدالله الخنيزي، الذي كاد ان يدفع حياته ثمناً لهذا الكتاب؛ حيث حاول الوهابيون في السعودية تنفيذ حكم الاعدام فيه، بسبب كتابه هذا؛ فتداركه الله برحمته، وتخلص من شرّهم.

هذا عدا عن البحوث المستفيضة المبثوثة في ثنايا الكتب والموسوعات، ونخص بالذكر هنا ما جاء في الغدير للعلامة الاميني قده ج ٧ و ٨.

وقد نقل العلامة الاميني عن جماعة من أهل السنة: أنهم ذهبوا الى ذلك أيضاً، وكتبوا الكتب والبحوث في اثبات ذلك، كالبرزنجي في أسنى المطالب ص ٦ ـ ١٠ والاجهوري، والاسكافي، وأبي القاسم البلخي، وابن وحشي في شرحه لكتاب: شهاب الاخبار، والتلمساني في حاشية الشفاء، والشعراني، وسبط ابن الجوزي، والقرطبي، والسبكي، وأبي طاهر، والسيوطي، وغيرهم.

---

(١) وكان من الكتب الأخيرة كتاب: منية الراغب في ايمان ابي طالب للشيخ الطبسي.

(٢) البحار ج ٣ ص ١٣٩ والغدير ج ٧ ص ٣٦٩.

بل لقد حكم عدد منهم ـ كابن وحشي والاجهوري، والتلمساني بأن من أبغض أبا طالب فقد كفر، أو من يذكره بمكروه فهو كافر[١].

بعض الادلة على ايمان أبي طالب:

وقد استدل من قال بإسلامه بعدة أدلة، مثل:

أ ـ ما تقدم مما روي عن الائمة «عليهم السلام»، والنبي «صلى الله عليه وآله وسلم» مما يدل على ايمانه، وهم أعرف بأمر كهذا من كل أحد.

ب ـ ما تقدم من مناصرته للنبي «صلى الله عليه وآله وسلم»، وتحمله تلك المشاق والصعاب العظيمة، وتضحيته بمكانته في قومه، وحتى بولده، وتوطينه نفسه على خوض حرب طاحنة تأكل الاخضر واليابس. ولو كان كافراً؛ فلماذا يتحمل كل ذلك؟! ولماذا لم نسمع عنه ولو كلمة عتاب أو تذمر مما جرّه عليه محمد «صلى الله عليه وآله وسلم»؟!.

واحتمال: أنه كان يطمع بمقام أعظم.

غير وجيه، فانه كان حينئذٍ قد بلغ من الكبر عتيّاً، حيث إنه قد توفي عن بضع وثمانين سنة، وهو يرى: موقف قومه منه، ومن النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» كيف هو، ولا يأمل أن يعيش إلى حيث يبلغ مثل ذلك المقام، كما أنه لا يجد الفرصة كبيرة لنيل ابن أخيه لذلك المقام بعده.

ج ـ وقد استدل سبط ابن الجوزي على ايمانه بأنه ـ كما نقل ـ لو كان أبو عليّ كافراً لكان شنع عليه معاوية وحزبه، والزبيريون وأعوانهم، وسائر أعدائه «عليه السلام»، مع أنه «عليه السلام» كان يذمهم ويزري عليهم بكفر الآباء والامهات، ورذالة النسب[٢].

---

(١) راجع: الغدير ج ٧ ص ٣٨٢ و٣٨٣ وغير ذلك.

(٢) راجع: أبو طالب مؤمن قريش ٢٧٢ / ٢٧٣ ط سنة ١٣٩٨هـ. عن تذكرة الخواص.

د ـ تصريحاته وأقواله الكثيرة جداً؛ فانها كلها ناطقة بايمانه واسلامه. ويكفي أن نذكر نموذجاً من أشعاره التي عبر عنها ابن أبي الحديد المعتزلي بقوله: إن كل هذه الاشعار قد جاءت مجيىء التواتر، من حيث مجموعها[1].

ونحن نذكر هنا اثني عشر شاهداً من شعره، على عدد الائمة المعصومين من ولده عليه وعليهم السلام، تبركاً وتيمناً، والشواهد هي:

١ ـ ألم تعلموا: أنا وجدنا محمداً	نبياً كموسى خط في أول الكتب
٢ ـ نبي أتاه الوحي من عند ربه	ومن قال: لا، يقرع بها سنّ نادم
٣ ـ يا شاهد الله علي فاشهد	إني على دين النبي أحمد
٤ ـ أنت الرسول رسول الله نعلمه	عليك نُزِّل من ذي العزة الكتب
٥ ـ أنت النبي محمد	قرم أغر مسود
٦ ـ أو تؤمنوا بكتاب منزل عجب	على نبي كموسى أو كذي النون
٧ ـ وظلم نبي جاء يدعو إلى الهدى	وأمر أتى من عند ذي العرش قيم
٨ ـ لقد أكرم الله النبي محمداً	فأكرم خلق الله في الناس أحمد
٩ ـ وخير بني هاشم أحمد	رسول الإله على فترة[2]
١٠ ـ والله لا أخذل النبي ولا	يخذله من بني ذو حسب

١١ ـ وقال رحمه الله يخاطب ملك الحبشة، ويدعوه الى الإسلام.

أتعلم ملك الحبش أن محمداً	نبياً كموسى والمسيح ابن مريم
أتى بالهدى مثل الذي أتيا به	فكل بأمر الله يهدي ويعصم
وانكم تتلونه في كتابكم	بصدق حديث لا حديث الترجم

---

(١) شرح النهج ج ١٤ ص ٧٨ والبحار ج ٣٥ ص ١٦٥.

(٢) وقيل: ان قائل هذا البيت هو طالب بن أبي طالب. راجع: شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٧٨. إلا ان يقال إنه قاله على سبيل التمثّل بشعر أبيه «رحمه الله».

فـلا تجعـلوا لله نــداً فـأسلمـوا ... فـان طـريق الحق ليس بمـظلم

١٢ ـ وقال مخاطباً ولده حمزة رحمه الله :

فصبـراً أبـا يعلى على دين أحمـد ... وكن مـظهـراً للدين وفقت صـابـراً
وحط من أتى بـالحق من عند ربـه ... بصـدق وعزم لا تكن حمـز كافـرا
فقـد سـرني أن قلت: انـك مؤمن ... فكن لـرسـول الله في الله نـاصـراً
وبـاد قـريشـاً في الـذي قـد أتيتـه ... جهاراً، وقل: ما كان أحمد ساحراً

وأشعار ابي طالب الناطقة بايمانه كثيرة، وقد اقتصرنا منها على هـذا القـدر؛ لنفسح المجـال لذكـر لمحة عن سـائر مـا قيـل، ويقـال في هـذا الموضوع.

هـ ـ قـال المعتـزلي : «قلت: كـان صـديقنـا علي بـن يحيى البـطريق «رحمه الله» يقـول: لولا خـاصة النبـوة وسرهـا لما كـان مثل أبي طالب، وهو شيخ قريش، ورئيسها، وذو شرفهـا، يمدح ابن أخيـه محمداً وهـو شاب قـد ربي في حجره. وهـو يتيمه ومكفـوله، وجـار مجرى أولاده بمثل قوله :

وتلقـوا ربيـع الابـطحين محمـداً ... على ربـوة في رأس عنقـاء عيـطل
وتـأوي اليـه هـاشم إن هـاشمـاً ... عـرانين كـعب آخـر بـعـد أول

ومثل قوله :

وأبيض يستسقي الغمـام بـوجهـه ... ثمـال اليتـامى عصمـة لـلارامـل
يـطيف بـه الهـلاك من آل هـاشم ... فهم عنـده في نعمـة وفـواضـل

فان هذا الاسلوب من الشعر لا يمدح به التابع والذنـابى من الناس، وإنما هو من مديح الملوك والعظماء. فاذا تصورت: أنه شعر أبي طـالب، ذاك الشيخ المبجل العـظيم في محمد «صلى الله عليـه وآله وسلم». وهـو

شـاب مستجير بـه، معتصم بظله من قـريش، قد ربـاه في حجره غـلاماً، وعلى عـاتقه طفـلاً، وبين يديـه شابـاً. يأكـل من زاده، ويـأوي إلى داره، علمت موضع خاصية النبوة وسرّها، وأن أمره كان عظيماً[١].

كما أن قصيدته اللامية تلك التي يقول فيهـا: وابيض يستسقى الخ. وهي طويلة، وكان بنو هاشم يعلمونها أطفالهم[٢] فيها الكثير مما يدل على إيمانه العميق الصادق، وقد ذكرها ابن هشام وابن كثير، وغيرهـم.

و ـ لقد رأينا أبا طالب الـذي يدعـو ملك الحبشة إلى الاسـلام، هو الذي دعا ولده جعفراً وأمره بأن يصل جناح ابن عمـه في الصلاة.[٣] وهـو ايضاً الذي دعا زوجته فاطمة بنت أسد إلى الاسلام[٤] وأمـر حمزة بـالثبات على هذا الدين، وأظهر سروره باسلامه، وكذلك الحال بالنسبة لولده أميـر المؤمنين «عليه السلام». إلى غير ذلك مما يجده المتتبـع لكلامـه ومواقفـه في المناسبات المختلفة.

ز ـ وقد صرح ابو طالب في وصيته بأنـه كان قـد اتخذ سبيـل التقية في شـأن رسـول الله «صلى الله عليـه وآلـه وسلم»، وان مـا جـاء بـه الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» قد قبله الجنان وانكره اللسان؛ مخـافة الشنآن. واوصىٰ قريشاً بقبول دعوة الرسول ومتابعته على امره، ففي ذلـك

---

(١) شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٦٣ وماذا في التاريخ ج ٣ ص ١٩٦/١٩٧ عنه.

(٢) مقاتل الطالبيين ص ٣٩٦.

(٣) راجع: الاوائل لابي هلال العسكري ج ١ ص ١٥٤، وروضة الواعظين ص ١٤٠ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٦٩ والسيرة الحلبية ج ١ ص ٢٦٩ وأسنى المطالب ص ١٧ والإصابة ج ٤ ص ١١٦ وأسد الغابة ج ١ ص ٢٨٧ والغدير ج ٧ ص ٣٥٧.

(٤) شرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٧٢.

الرشاد والسعادة[١].

ح - ثم هناك ترحم النبي (ص) عليه، واستغفاره له باستمرار، وجزعه عليه عند موته[٢] وواضح: أنه لا يصح الترحم إلا على المسلم، ولأجل ذلك قال «صلى الله عليه وآله وسلم» لسفانة بنت حاتم الطائي: لو كان أبوك مسلماً لترحّمنا عليه[٣].

ط - وكيف يحكمون لزيد بن عمرو بن نفيل ابن عم عمر بن الخطاب، ولولده سعيد بن زيد، ولورقة بن نوفل، وقس بن ساعدة. ولابي سفيان الذي ما زال كهفاً للمنافقين، والذي ستأتي لمحة عن تصريحاته ومواقفه في أواخر غزوة أحد كيف يحكمون لهؤلاء بالاسلام.

بل يروون عنه «صلى الله عليه وآله وسلم»: أنه قال عن أمية بن أبي الصلت: انه كاد أن يسلم في شعره[٤].

ويقول الشافعي عن صفوان بن أمية: «وكان كأنه لا يشك في اسلامه» لأنه حين سمع يوم حنين قائلاً يقول: غلبت هوازن، وقتل محمد، قال له: «بفيك الحجر، فوالله، لرب قريش أحب الي من رب هوازن.»

نعم، كيف يحكمون لكل هؤلاء بالاسلام، وهم لم يدركوا الاسلام، أو أدركوه ولم يسلموا، أو اظهروا الاسلام، وأبطنوا الكفر.

---

(١) الروض الأنف ج ٢ ص ١٧١ وثمرات الاوراق ص ٩٤ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٠٠/٣٠١ والسيرة الحلبية ج ١ ص ٣٥٢ والبحار ج ٣٥ ص ١٠٧ والغدير ج ٧ ص ٣٦٦ عن مصادر أخرىٰ.

(٢) تذكرة الخواص ص ٨.

(٣) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٠٥.

(٤) صحيح مسلم ج ٧ ص ٤٨ - ٤٩، والاغاني ط ساسي ج ٣ ص ١٩٠. والتراتيب الادارية ج ١ ص ٢١٣.

ثم يحكمون بالكفر على ابي طالب الذي ما فتيء يؤكد ويصرح عشرات المرات، في أقواله وفي افعاله، ويعلن بالشهادة لله بالوحدانية، ولنبيه «صلى الله عليه وآله وسلم» بالنبوة والرسالة؟!.

وان حال ابي طالب مع الأمويين وأشياعهم مثل حال النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» مع المشركين الذين حكى القرآن عنهم بقوله: **﴿وقالوا: لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً. او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا. أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً، أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً أو يكون لك بيت من زخرف او تَرقىٰ في السماء، ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه الخ..﴾**[1].

والأمويون وأشياعهم يقولون: لن نقرّ بإيمان هذا الرجل ولو تضافرت على ذلك كل الأدلة والشواهد، وحتى لو نص الله ورسوله عليه، فبئس الخلف من الأمويين واشياعهم لبئس السلف من طواغيت الجاهلية وعتاتها.

ي ـ وبعد كل ما تقدم نقول:

إن اسلام أي شخص أو عدمه، إنما يستفاد من أمور اربعة:

١ ـ من مواقفه العملية، ومواقف ابي طالب، قد بلغت الغاية التي ما بعدها غاية في الوضوح والدلالة على اخلاصه وتفانيه في الدفاع عن هذا الدين.

٢ ـ من اقراراته اللسانية بالشهادتين، ويكفي أن نشير إلى ذلك القدر الكثير منها في شعره في المناسبات المختلفة.

٣ ـ وإما من موقف ممثل الاسلام ورائد الحق النبي الاعظم «صلى

---

(١) الإسراء: ٩٠ ـ ٩٣.

الله عليه وآله وسلم» منه. والموقف الرضي أيضاً ثابت منه «عليه السلام» تجاه أبي طالب على اكمل وجه.

٤ ـ من إخبار المطلعين على أحواله عن قرب، وعن حس، كاهل بيته، ومن يعيشون معه. وقد قلنا: انهم مجمعون على ذلك.

بل إن نفس القائلين بكفره لما لم يستطيعوا إنكار مواقفه العملية، ولا الطعن بتصريحاته اللسانية، حاولوا: أن يشبهوا على العامة بكلام مبهم، لا معنى له؛ فقالوا: «إنه لم يكن منقاداً[1]»!!.

كل ذلك رجماً بالغيب، وافتراء على الحق والحقيقة، من أجل تصحيح ما رووه عن المغيرة بن شعبة وامثاله من أعداء آل أبي طالب كما سنشير إليه حين الكلام على الأدله الواهية إن شاء الله تعالى.

ومن أجل أن نوفي أبا طالب بعض حقه، نذكر بعض ما يدل على إيمانه ـ من مصادر غير الشيعة عموماً ـ ونترك سائره، وهو يعد بالعشرات، لأن المقام لا يتسع لأكثر من أمثلة قليلة معدودة، وهي.

١ ـ **قال العباس**: يا رسول الله، ما ترجو لأبي طالب؟ قال: كل الخير أرجوه من ربي[2].

٢ ـ جاء ابو بكر بأبيه أبي قحافة إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» يقوده، وهو شيخ أعمى، يوم فتح مكة. فقال رسول الله. ألا تركت الشيخ في بيته حتى نأتيه؟! قال: أردت أن يؤجره الله. لأنا كنت باسلام أبي طالب أشد فرحاً مني باسلام أبي، التمس بذلك قرة عينك الخ[3].

---

(١) راجع: سيرة دحلان ج ١ ص ٤٤ ـ ٤٧، والاصابة ج ٤ ص ١١٦ ـ ١١٩.

(٢) الاذكياء ص ١٢٨ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٦٨، وطبقات ابن سعد ج ١ قسم ١ ص ٧٩، والبحار ج ٣٥ ص ١٥١ و ١٠٩.

(٣) مجمع الزوائد ج ٦ ص ١٧٤ عن الطبراني والبزار، وحياة الصحابة ج ٢ ص ٣٤٤ عن المجمع، والاصابة ج ٤ ص ١١٦ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٦٩.

والعلامة الاميني في الغدير، لا يوافق على أن يكون الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» قد قال لأبي بكر ذلك، وقد بحث ذلك بحثاً جيداً، ونحن نوافقه في ذلك أيضاً. وربما تكون هذه العبارة زيادة من بعض المتزلفين، كما عودونا في امثال هذه المناسبات.

٣ ـ قال المعتزلي: «روي باسأنيد كثيرة، بعضها عن العباس بن عبد المُطلب، وبعضها عن أبي بكر بن أبي قحافة: أن أبا طالب مامات حتى قال: لا إله إلا الله، محمد رسول الله[١]».

وتقدم في شعره تصريحات كثيرة بذلك أيضاً.

٤ ـ ولقد ترحم عليه ودعا له النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» واستغفر له، حتى في المدينة حينما استسقى لاهلها فجاءهم الغيث فذكر أبا طالب، واستغفر له على المنبر[٢] ولما مات ابو طالب تبع رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» جنازته مع انهم يروون النهي عن المشي في جنازة المشرك. كما أنهم يروون أنه «صلى الله عليه وآله وسلم» أمر عليا بأن يغسّله ويكفنه ويواريه[٣]، وانما لم يأمره بالصلاة عليه لأن صلاة

(١) شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٧١، وراجع: الغدير ج ٧ ص ٣٦٩ عن البداية والنهاية ج ٣ ص ١٢٣، وسيرة ابن هشام ج ٢ ص ٨٧ والاصابة ج ٤ ص ١١٦، وعيون الاثر ج ١ ص ١٣١، والمواهب اللدنية ج ١ ص ٧١ والسيرة الحلبية ج ١ ص ٣٧٢ والسيرة النبوية لدحلان بهامشها ج ١ ص ٨٩، واسنى المطالب ص ٢٠ ودلائل النبوة للبيهقي وتاريخ أبي الفداء ج ١ص ١٢٠ وكشف الغمة للشعراني ج ٢ ص ١٤٤.

(٢) راجع: عيون الانباء ص ٧٠٥.

(٣) راجع: في كل ذلك تذكرة الخواص ص ٨ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٨١، والسيرة الحلبية ج ١ ص ١٤٧ والمصنف ج ٦ ص ٣٨، والسيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ٨٧، وتاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٣٥، وطبقات ابن سعد ج ١ ص ٧٨ وتاريخ بغداد للخطيب ج ٣ ص ١٢٦، وج ١٣ ص ١٩٦ وتاريخ ابن كثير ج ٣ ص ١٢٥، والطرائف لابن طاووس ص ٣٠٥ عن الحنبلي في نهاية الطلب والبحار =

الجنازة لم تكن فرضت بعد. ولاجل ذلك قالوا: إن خديجة لم يصل عليها النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» حينما توفيت، مع انها سيدة نساء العالمين.

٥ - لقد رثاه ولده علي «عليه السلام» حينما توفي بقوله:

أبا طالب عصمة المستجير وغيث المحول ونور الظلم
لقد هدّ فقدك أهل الحفاظ فصلى عليك ولي النعم
ولقّاك ربك رضوانه فقد كنت للطهر من خير عم[1]

٦ - وكتب أمير المؤمنين «عليه السلام» رسالة مطولة لمعاوية جاء فيها: «ليس أمية كهاشم، ولا حرب كعبد المطلب، ولا أبو سفيان كأبي طالب، ولا المهاجر كالطليق، ولا الصريح كاللصيق»[2].

فإذا كان أبو طالب كافراً وأبو سفيان مسلماً، فكيف يفضل الكافر على المسلم ثم لا يردّ عليه ذلك معاوية بن أبي سفيان؟.

ولكن الحقيقة هي عكس ذلك تماماً؛ فان أبا سفيان هو الذي

= ج ٣٥ ص ١٥١ والتعظيم والمنة ص ٧ ولسان الميزان ج ١ ص ٤١. والاصابة ج ٤ ص ١١٦، والغدير ج ٧ ص ٣٧٢ و ٣٧٤/٣٧٥ عمن ذكر، وعن: شرح شواهد المغني للسيوطي ص ١٣٦، واعلام النبوة للماوردي ص ٧٧، وبدايع الصنايع ج ١ ص ٢٨٣، وعمدة القاري ج ٣ ص ٤٣٥، واسنى المطالب ص ١٥ و ٢١ و ٣٥ وطلبة الطالب ص ٤٣. ودلائل النبوة للبيهقي والبرزنجي، وابن خزيمة، وابي داود، وابن عساكر.

(١) تذكرة الخواص ص ٩.

(٢) وقعة صفين لنصر بن مزاحم ص ٤٧١ والفتوح لابن أعثم ج ٣ ص ٢٦٠، ونهج البلاغة الذي بهامشه شرح الشيخ محمد عبده ج ٣ ص ١٨ الكتاب رقم ١٧ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ١١٧ والامامة والسياسة ج ١ ص ١١٨، والغدير ج ٣ ص ٢٥٤ عنهم، وعن: ربيع الابرار للزمخشري باب ٦٦، وعن مروج الذهب ج ٢ ص ٦٢. وراجع أيضاً: الفتوح لابن اعثم ج ٣ ص ٢٦٠ ومناقب الخوارزمي الحنفي ص ١٨٠.

قال: «إنه لا يدري ما جنة ولا نار» كما سيأتي في أواخر غزوة أحد.

ويلاحظ هنا أيضاً: أن أمير المؤمنين يشير في كلامه الآنف الذكر إلى عدم صفاء نسب معاوية، ولهذا البحث مجال آخر.

٧ ـ وحمل محمد بن الحنفية يوم الجمل على رجل من أهل البصرة، قال: فلما غشيته قال: أنا على دين أبي طالب، فلما عرفت الذي أراد كففت عنه.[1]

٨ ـ وورد عنه «صلى الله عليه وآله وسلم» أيضاً قوله: إذا كان يوم القيامة شفعت لأبي، وأمي وعمي أبي طالب، وأخ لي كان في الجاهلية[2].

٩ ـ وعنه «صلى الله عليه وآله وسلم»: إن الله عز وجل قال له على لسان جبرئيل: حرمت النار على صلب أنزلك، وبطن حملك، وحجر كفلك. أما الصلب فعبدالله، وأما البطن فآمنة، وأما الحجر فعمه، يعني أبا طالب، وفاطمة بنت أسد. وبمعناه غيره مع اختلاف يسير[3].

١٠ ـ وسئل الإمام السجاد «عليه السلام» عن إيمان أبي طالب، فقال: واعجبا، إن الله نهى رسوله أن يقر مسلمة على نكاح كافر؛ وقد كانت فاطمة بنت أسد من السابقات إلى الاسلام، ولم تزل تحت أبي

---

(١) طبقات ابن سعد ج ٥ ص ٦٧ ط ليدن.

(٢) ذخائر العقبى ص ٧ عن تمام الرازي في فوائده، والدرج المنيفة للسيوطي ص ٨ ومسالك الحنفا ص ١٤ عن ابي نعيم وغيره وذكر أن الحاكم صححه، وتفسير القمي ج ١ ص ٣٨٠ وتفسير البرهان ج ٢ ص ٣٥٨ وتاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٣٥ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٢٣٢.

(٣) أصول الكافي ج ١ ص ٣٧١ والبحار ج ٣٥ ص ١٠٩ والتعظيم والمنة للسيوطي ص ٢٧ وراجع: روضة الواعظين ص ١٣٩ وشرح النهج ج ١٤ ص ٦٧ والغدير ج ٧ ص ٣٧٨ عنهم، وعن: كتاب الحجة لابن معد ص ٨، وتفسير أبي الفتوح ج ٤ ص ٢١٠.

طالب حتى مات[١].

ونزول آية النهي عن الامساك بعصم الكوافر في المدينة، لا يضر ولا يوجب بطلان هذه الرواية، لا مكان أن يكون النهي عن ذلك بالقول على لِسانه «صلى الله عليه وآله وسلم» قبل نزول القرآن. وعدم خضوع بعض المسلمين لذلك حينئذٍ ربما كان لظروف معينة فرضت عليهم ذلك.

١١ ـ وأخيراً، فقد كتب بعضهم يسأل الإمام علي بن موسى الرضا «عليه السلام» عن اسلام أبي طالب، فانه قد شك في ذلك، فكتب «عليه السلام» إليه: ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى، ويتبع غير سبيل المؤمنين[٢] الآية. وبعدها: إنك إن لم تقر بإيمان أبي طالب كان مصيرك إلى النار[٣].

١١ ـ وسيأتي في غزوة بدر: ان الرسول الأكرم «صلى الله عليه وآله وسلم» لم يقبل من شهيد بدر عبيدة بن الحارث أن يعرِّض بعمه أبي طالب، ولو بمثل أن يقول: إني أولى بما قال منه:

كذبتم وبيت الله يبزى محمد ولمّا نطاعن دونه ونناضل
ونُسْلِمُه حتى نُصَرَّع دونه ونُذهل عن أبنائنا والحلائل

فإذا كان النبي يغضب ولو لمثل هذا التعريض، فهل تراه سوف يكون مسروراً بمن يحكم على عمه بالشرك، ويجعله في ضحضاح من نار يغلي منه دماغه؟ إلى آخر ما هنالك؟!.

---

(١) شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٦٨، والغدير ج ٧ ص ٣٨١ و ٣٨٩ عنه وعن: كتاب الحجة ص ٢٤، والدرجات الرفيعة، وضياء العالمين، وادعي تواتر هذا الحديث عندنا.

(٢) النساء الاية/١١٥.

(٣) شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٦٨ والغدير ج ٧ ص ٣٨١ و ٣٩٤ عن الكراجكي ص ٨٠، وكتاب الحجة لابن معد ص ١٦، والدرجات الرفيعة والبحار وضياء العالمين.

وحسبنا ما ذكرناه من الامثلة الناطقة باسلام أبي طالب، ومن أراد التوسع فعليه بالكتب المعدة لذلك.

الأدلة الواهية.

وقد استدل القائلون بكفر أبي طالب ـ والعياذ بالله ـ بروايات وأدلة واهية، ونحن نشير هنا إلى عمدة ما اعتمدوا عليه في ذلك، وهي:

١ ـ حديث ابن الضحاح :

عن أبي سعيد الخدري أنه سمع النبي «صلى الله عليه وآله وسلم»، وقد ذكر عنده عمه، فقال: لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه. وحسب نص آخر: ان العباس قال للنبي «صلى الله عليه وآله وسلم»: ما أغنيت عن عمك، فوالله، كان يحوطك ويغضب لك، قال: هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الاسفل من النار[١].

ونقول:

أ ـ لقد ناقش كل من الاميني والخنيزي[٢] جميع أسانيد هذه الرواية، وبينا وهنها وضعفها، وتناقض نصوصها العجيب. ونحن نحيل القارىء الذي يرغب في التوسع إلى ما ذكره هذان العالمان حول هذا

---

(١) صحيح البخاري ط سنة ١٣٠٩ ج ٢ ص ٢٠٩، وج ٤ ص ٥٤، والمصنف ج ٦ ص ٤١، وانساب الاشراف بتحقيق المحمودي ج ٢ ص ٢٩ و ٣٠.

وصحيح مسلم، كتاب الايمان، وطبقات ابن سعد ج ١ قسم ١ ص ٧٩، ومسند أحمد ج ١ ص ٢٠٦ و ٢٠٧، والبداية والنهاية ج ٣ ص ١٢٥، الغدير ج ٨ ص ٢٣ عن بعضهم، وعن عيون الاثر ج ١ ص ١٣٢، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٦٦.

(٢) راجع: الغدير ج ٨ ص ٢٣/ ٢٤ وأبو طالب مؤمن قريش.

الموضوع.

ب ـ إنه إذا كان «صلى الله عليه وآله وسلم» قد نفع أبا طالب، وأخرجه من الدرك الأسفل إلى الضحضاح؛ فلماذا لا يتمم معروفه، ويخرجه من هذا الضحضاح أيضاً؟!.

وايضاً هل تكون الشفاعة في الدنيا؟!.

ج ـ **لقد رووا**: أن النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» طلب منه حين وفاته: أن يقول كلمة لا إله إلا الله، محمد رسول الله؛ ليستحل له بها الشفاعة يوم القيامة، فلم يعطه إياها. فهذا يدل على أنه قد أناط «صلى الله عليه وآله وسلم» مطلق الشفاعة بكلمة لا إله إلا الله[1]. فلماذا استحل هذه الشفاعة، مع أنه لم يعطه الكلمة التي توجب حليتها؟!.

ثم أوليس يروون: أن الشفاعة لا تحل لمشرك؟ فلماذا حلّت لهذا المشرك بالذات، بحيث أخرجته من الدرك الاسفل إلى الضحضاح؟[2].

د ـ قال المعتزلي، نقلاً عن الامامية والزيدية: «قالوا: وأما حديث الضحضاح؛ فانما يرويه الناس كلهم عن رجل واحد، وهو المغيرة بن شعبة، وبغضه لبني هاشم، وعلى الخصوص لعلي «عليه السلام» مشهور معلوم، وقصته وفسقه غير خاف»[3].

ولكننا نجدهم يروونه عن غير المغيرة أيضاً، كما في البخاري

---

(١) الترغيب والترهيب ج ٤ ص ٤٣٣ عن أحمد بسندين صحيحين، وعن البزار، والطبري باسانيد أحدها جيد وابن حبان في صحيحه وراجع: الغدير ج ٢٥/٢.

(٢) مستدرك الحاكم ج ٢ ص ٣٣٦، وتلخيصه للذهبي وصححاه والمواهب اللدنية ج ١ ص ٧١ والغدير ج ٨ ص ٢٤ عنهما وعن كنز العمال ج ٧ ص ١٢٨، وشرح المواهب للزرقاني ج ١ ص ٢٩١ وكشف الغمة للشعراني ج ٢ ص ١٢٤، وتاريخ أبي الفداء ج ١ ص ١٢٠.

(٣) شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٧٠ والبحار ج ٣٥ ص ١١٢.

وغيره، فلعل رواية غير المغيرة قد حدثت في وقت متأخر، فان من غير المعقول أن يورد الشيعة على غيرهم بذلك إن لم يكن له واقع. ! وقد سكت المعتزلي على ردّهم هذا، وكأنه يحتمل ما احتملناه ولو وسعه الرد لفعل.

هـ ـ وسئل الإمام الباقر «عليه السلام» عما يقوله الناس: إن أبا طالب في ضحضاح من نار؛ فقال: لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان، وايمان هذا الخلق في كفة أخرى لرجح ايمانه. ثم قال: ألم تعلموا: أن أمير المؤمنين علياً «عليه السلام» كان يأمر أن يحج عن عبدالله، وابنه، وأبي طالب في حياته، ثم اوصى في وصيته بالحج عنهم[١].

و ـ سئل علي «عليه السلام» في رحبة الكوفة عن كون ابيه معذباً في النار أو لا، فقال للسائل: مه، فضّ الله فاك، والذي بعث محمداً بالحق نبياً، لو شفع ابي في كل مذنب على وجه الارض لشفعه الله فيهم. أبي معذب في النار، وابنه قسيم الجنة والنار؟[٢]

ز ـ **يلاحظ**: وجود التناقض في روايات الضحضاح، فواحدة تقول: لعله تنفعه شفاعتي؛ فيجعل في ضحضاح يوم القيامة. واخرىٰ تجزم بأنه قد جعل في الضحضاح بالفعل. فراجع

٢ ـ إرث عقيل لابي طالب:

واستدلوا: بأن ولده عقيل هو الذي ورثه، ولم يرثه علي وجعفر،

---

(١) شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٦٨، والدرجات الرفيعة ص ٤٩، والبحار ج ٣٥ ص ١١٢ والغدير ج ٨ ص ٣٨٠ ـ ٣٩٠ عنهما وعن كتاب الحجة للسيد ص ١٨ من طريق شيخ الطائفة عن الصدوق، والفتوني في ضياء العالمين.

(٢) البحار ج ٣٥ ص ١١٠ وكنز الفوائد ص ٨٠ ط حجرية.

لأنه كان مشركاً وهما مسلمان. فهما من ملتين مختلفتين، واهل ملتين لا يتوارثان[١].

ولكن ذلك لا يصح أيضا.

فأولاً: من أين ثبت لهؤلاء: أن علياً وجعفراً لم يرثاه.

وثانياً: إن قوله أهل ملتين لا يتوارثان.

نقول بموجبه؛ لأن التوارث تفاعل، ولا تفاعل عندنا في ميراثهما، واللفظ يستدعي الطرفين، كالتضارب، فانه لا يكون إلا من اثنين، فان الصحيح هو مذهب أهل البيت من أن المسلم يرث الكافر، ولا يرث الكافر المسلم[٢].

وثالثاً: لقد روي عن عمر قوله: «أهل الشرك نرثهم ولا يرثونا[٣]» وقد حكم كثير من العلماء بأن ميراث المرتد للمسلمين لا يصح؛ وقالوا: نرثهم ولا يرثونا[٤].

ورابعاً: إنهم يقولون: ان الميراث في وقت موت أبي طالب لم يكن قد فرض بعد، وإنما كان الامر بالوصية؛ فلعل أبا طالب قد أوصىٰ لعقيل محبة له[٥].

٣ ـ وهم ينهون عنه، وينأون عنه:

لقد ذكروا: أن آية: وهم ينهون عنه، وينأون عنه، قد نزلت في أبي

---

(١) المصنف ج ٦ ص ١٥، وج ١٠ ص ٣٤٤، وفي هامشه أي هامش السادس عن البخاري ج ٣ ص ٢٩٣، وطبقات ابن سعد ج ١ قسم ١ ص ٧٩.

(٢) راجع شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٦٩.

(٣) مصنف الحافظ عبد الرزاق ج ١٠ ص ٣٣٩ وج ٦ ص ١٠٦.

(٤) المصنف لعبد الرزاق ج ٦ ص ١٠٦(١٠٧ و١٠٥ وج ١٠ ص ٣٣٨ حتى ص ٣٤١.

(٥) راجع: أسنى المطالب ص ٦٢.

طالب، الذي كان ينهى الناس عن أذى الرسول، وينأى عن أن يدخل في الاسلام[1].

ونقول:

أ ـ لقد تحدث الأستاذ الخنيزي حول أسانيد هذه الرواية بما فيه الكفاية[2] فليراجعه من أراد.

ب ـ إن هذه الآية لا تنطبق على أبي طالب بأي وجه؛ حيث إن الله تعالى يقول قبلها: ﴿**وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها، حتى إذا جاؤوك يجادلونك، يقول الذين كفروا: إن هذا إلا أساطير الأولين. وهم ينهون عنه الخ..**﴾[3].

فضمائر الجمع، ككلمة: (هم)، وفاعل (ينهون) و (ينأون) كلها ترجع إلى من ذكرهم الله في تلك الآية. وهم المشركون، الذين إن يروا كل آية لا يؤمنوا بها، ويجادلون الرسول في هذه الآيات، ويصفونها من عنادهم بأنها ليست سوى اساطير الأولين. ولا يقف عنادهم عند هذا وحسب، بل يتجاوزه إلى أنهم: ينهون الناس عن الاستماع إلى النبي، كما أنهم هم أنفسهم يبتعدون عنه.

وهذه الصفات كلها لا تنطبق على أبي طالب، الذي لم نجد منه إلا التشجيع على اتباع النبي «صلى الله عليه وآله وسلم»، والنصرة له باليد واللسان. بل يطلب من غيره أن يدخل في هذا الدين. وأن يتمسك به

---

(١) الاصابة ج ٤ ص ١١٥، وتفسير ابن كثير ج ٢ ص ١٢٧، وطبقات ابن سعد ج ١ قسم ١ ص ٧٨، وبهجة المحافل ج ١ ص ١١٦ وانساب الاشراف بتحقيق المحمودي ج ٢ ص ٢٦ والغدير ج ٨ ص ٣ عنهم وعن: تفسير الخازن ج ٢ ص ١١، وتفسير ابن جزي ج ٢ ص ٦، وعن الطبري والكشاف. ودلائل النبوة للبيهقي ط دار الكتب العلمية ج ٢ ص ٣٤٠ و ٣٤١.

(٢) أبو طالب مؤمن قريش ص ٣٠٥/٣٠٦.

(٣) الانعام/٢٥ ـ ٢٦.

ويصبر عليه، كما كان الحال بالنسبة لزوجته، ولحمزة، وجعفر، وعلي، وملك الحبشة حسبما تقدم.

كما أن المفسرين قد فهموا من الآية عمومها لجميع الكفار، وأن معناها: ينهون عن استماع القرآن، واتباع الرسول، ويتباعدون عنه.

وهذا هو المروي عن ابن عباس، والحسن، وقتادة، وأبي معاذ، والضحاك، وابن الحنفية، والسدي، ومجاهد، والجبائي، وابن جبير[1].

ج ـ ويقول الأميني: إن تلك الرواية تقول: إن آية الانعام: ﴿**وهم ينهون عنه إلخ..**﴾ قد نزلت حين وفاة أبي طالب «عليه السلام»، وتقول رواية أخرى: إن آية: ﴿**إنك لا تهدي من أحببت الخ..**﴾ قد نزلت حين وفاته أيضاً، مع أن هذه الآية قد وردت في سورة القصص التي نزلت قبل الانعام، ـ التي نزلت جملة واحدة ـ [2] بخمس سور. وهذا يدل على أن سورة الأنعام قد نزلت بعد وفاة أبي طالب بمدة.

إذن، فما معنى قولهم: إنها نزلت حين وفاته «عليه السلام»؟!.

د ـ انهم يقولون: ان سورة الانعام قد نزلت دفعة واحدة وكانت أسماء بنت يزيد ممسكة بزمام ناقته «صلى الله عليه وآله وسلم» [3] وذلك

---

(١) راجع: مجمع البيان ج ٧ ص ٣٥، و ٣٦، وتفسير ابن كثير ج ٢ ص ١٢٧ والغدير ج ٨ ص ٣، والدر المنثور ج ٣ ص ٨ و ٩ كلهم ـ كلا أو بعضاً عن القرطبي، والطبري، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن أبي شيبة وابن مردويه وعبد بن حميد، والقرطبي ج ٦ ص ٤٠٦.

(٢) الدر المنثور ج ٢ ص ٣، وفتح القدير ج ٣ ص ٩٢/٩١، وتفسير ابن كثير ج ٢ ص ١٢٢ والغدير ج ٨ ص ٥ عنهم وعن تفسير القرطبي ج ٦ ص ٣٨٣/٣٨٢ كلهم عن: ابي عبيد، وابن المنذر، والطبراني، وابن مردويه، والنحاس.

(٣) الدر المنثور ج ٣ ص ٢ عن الطبراني، وابن مردويه. وقد ذكر في ص ٢ و ٣ نزولها جملة واحدة في مكة أو باستثناء آية أو آيتين ليست الآية المذكورة واحدة منها فراجع ما رواه عن عشرات الحفاظ مثل البيهقي في شعب الايمان، والخطيب في تاريخه، وابي الشيخ، وابن المنذر، والنحاس في ناسخة، وعبد الرزاق، والفريابي، =

انما كان بعد بيعة العقبة، التي كانت بعد وفاة ابي طالب بمدة طويلة.

٤ ـ آية النهي عن الاستغفار للمشرك:

روى البخاري ومسلم، وغيرهما: عن ابن المسيب، عن ابيه، رواية تتلخص في أن النبي طلب من أبي طالب حين وفاته أن يقول كلمة لا إله إلا الله ليحاج بها له عند الله. فقال له أبو جهل، وعبدالله بن أمية: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل الرسول يعرضها عليه، ويقولان له ذلك، حتى قال أبو طالب آخر كلمة: على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم»: والله لأستغفرن لك مالم أُنه عنك. فأنزل الله: **﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين، ولو كانوا أولي قربى، من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم»﴾**.[1] وانزل الله في ابي طالب: **﴿إنك لا تهدي من أحببت إن الله يهدي من يشاء﴾**[2].

ولا نريد أن نناقش في أسانيد هذه الرواية[3]، المقطوعة، ولا نريد أن نفيض في الدلائل والشواهد على أن ابن المسيب فضلاً عن غيره متهم

= وعبد بن حميد، وإسحاق بن راهويه، والكلبي، وأبي عبيد، والطبراني وابن الضريس، وابن مردويه، والسلفي في الطيورات، والاسماعيلي، والحاكم وصححه، وراجع: الاتقان ج ١ ص ٣٧ وراجع السيرة الحلبية ج ١ ص ٢٦٠.

(١) التوبة/١١٣.

(٢) القصص/٥٦ والرواية في البخاري ط سنة ١٣٠٩ ج ٣ ص ١١١، وغير ذلك.

(٣) راجع في ذلك: أبو طالب مؤمن قريش ٣١٣ ـ ٣٤٠ وانساب الاشراف بتحقيق المحمودي ج ٢ ص ٢٥ و ٢٦. ودلائل النبوة للبيهقي ط دار الكتب العلمية ج ٢ ص ٣٤٢ و ٣٤٣.

على علي «عليه السلام»، كما نص عليه البعض[١]. ولكننا نشير إلى ما يلي:

أولاً: إن آية النهي عن الاستغفار للمشرك قد وردت في سورة التوبة، ولا ريب في كونها من أواخر ما نزل عليه «صلى الله عليه وآله وسلم» في المدينة، بل لقد ادّعى البعض أنها آخر ما نزل[٢]. ولا يعقل أن تكون هذه الآية قد بقيت أكثر من عشر سنوات منفردة، والقرآن ينزل، حتى نزلت سورة التوبة، فأضيفت إليها، لأن الآيات التي كانت تُلْحَق بالسور انما تلحق بما نزل سابقاً عليها، وكان ذلك في الأكثر في السور الطوال، التي كانت تنزل أجزاء متتابعة دون سائر السور التي كانت تنزل دفعة واحدة.

فكيف بقي «صلى الله عليه وآله وسلم» يستغفر لابي طالب طيلة هذه المدة، ويترحم عليه؟! مع أن ذلك من اظهر مصاديق المودّة للكافر، وقد نهى الله عن مودتهم في آيات كثيرة، نزلت قبل سورة التوبة كما في قوله تعالى: **﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر، يوادّون من حادّ الله ورسوله، ولو كانوا آباءهم، أو إخوانهم، أو عشيرتهم﴾**[٣].

وقوله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين﴾**[٤].

---

(١) الغارات للثقفي ج ٢ ص ٥٦٩.

(٢) الغدير ج ٨ ص ١٠ وأبو طالب مؤمن قريش ص ٣٤١ عن: البخاري، والكشاف، والبيضاوي، وتفسير ابن كثير والإتقان، وابن أبي شيبة والنسائي وابن الضريس، وابن المنذر، والنحاس، وأبي الشيخ، وابن مردويه.

(٣) المجادلة/٢٢، وقد نزلت قبل التوبة بسبع سور كما في الاتقان ج ١ ص ١١ وفي تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٣٢٩، وفتح القدير ج ٥ ص ١٨٦ والغدير ج ٨ ص ١٠ عنهم وعن تفسير الآلوسي ج ٣٧/٢٨ واخرجه ابن أبي حاتم، والطبراني والحاكم والبيهقي وابو نعيم: أنها نزلت في بدر أو في أحد.

(٤) النساء/١٤٤.

وقوله تعالى: ﴿**الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة**﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿**لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين**﴾[٢] إلى غير ذلك مما لا مجال لتتبعه.

ثانياً: قال تعالى: في سورة المنافقين، التي نزلت في غزوة بني المصطلق، سنة ست على ماهو المشهور، ونزلت قبل سورة التوبة على كل حال: ﴿**سواء عليهم، استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم**﴾.

فإذا كان النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» يعرف ان الله لن يغفر لهم، سواء استغفر لهم ام لا، فلماذا يتعب نفسه في امر لا نتيجة له؟؛ فان ذلك امر لا يقرُّه العقلاء، ولا يقدمون عليه.

ثالثاً: إننا نجد النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» نفسه يقول: «اللهم لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندي نعمة[٣]».

كما أنه «صلى الله عليه وآله وسلم» قد ردّ هدية حكيم بن حزام؛ لأنه كان مشركاً، قال عبيدالله: حسبت انه قال: إنا لا نقبل من المشركين شيئاً، ولكن ان شئت ا حذناها بالثمن[٤].

وردّ أيضاً هدية عامر بن الطفيل، لأنه لم يكن قد اسلم بعد. ورد

---

(١) النساء/ ١٣٩.

(٢) سورة آل عمران الآية٢٨ .

(٣) راجع ابو طالب مؤمن قريش للخنيزي.

(٤) مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٤٨٤ وتلخيصه للذهبي بهامش نفس الصفحة، وصححاه حياة الصحابة ج ٢ ص ٢٥٨ و ٢٥٩ و ٢٦٠ عن كنز العمال وعن مجمع الزوائد ج ٨ ص ٢٧٨ وكنز العمال ج ٦ ص ٥٧ و ٥٩ عن احمد والطبراني، والحاكم وسعيد بن منصور. والتراتيب الادارية ج ٢ ص ٨٦ ويلاحظ هنا: انه «صلى الله عليه وآله» حين الهجرة لا يقبل ناقة أبي بكر إلا بالثمن.

أيضاً هدية ملاعب الأسنة، وقال: لا أقبل هدية مشرك[١].

عن عياض المجاشعي: انه اهدى إلى النبي هدية فأبى قبولها، وقال: اني نهيت عن زبد المشركين[٢].

ولم يكن ذلك منه «صلى الله عليه وآله وسلم» إلا لأنه يوجب احتراماً ومودة من النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» له.

إلا ان الكشي ذكر رواية تقول: «ان رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» لم يرد هدية على يهودي ولا نصراني»[٣].

وهذا إن صح يشير إلى الفرق بين هدية الكتابي وهدية المشرك فكان(ص) يرد هدية الثاني دون الأول وذلك يدل على عدم صحة قولهلهم: إنه(ص) في هدنة الحديبية استهدى أبا سفيان أدماً[٤].

وقد يكون ذلك لأجل الفرق بين المشرك والكتابي ـ لو صحت هذه الرواية ـ فكان «صلى الله عليه وآله وسلم» يقبل هدية الثاني دون الأول.

وبعد ما تقدم، فإننا نعرف عدم صحة قولهم ان النبي قد استهدى من أبي سفيان أدما، وذلك أيام هدنة الحديبية.

---

(١) كنز العمال ج ٣ ص ١٧٧ طبعة اولى عن ابن عساكر ط ثانية ج ٦ ص ٥٧ عن الطبراني والمصنف لعبد الرزاق ج ١ ص٤٤٦ و٤٤٧ وفي الهامش عن مغازي ابن عقبة ومجمع البيان المجلد الاول ص ٥٣٥.

(٢) كنز العمال ج ٦ ص ٥٧ و ٥٩ عن ابي داود والترمذي وصححه واحمد والطيالسي والبيهقي، وراجع ما عن عمران بن حصين في الكنز نفس الجلد والصفحة والمصنف لعبد الرزاق ج ١٠ ص ٤٤٧ وفي الهامش عن ابي داود واحمد وعن الترمذي ج ٢ ص ٣٨٩. وراجع الوسائل ج ١٢ ص ٢١٦ عن الكافي والمعجم الصغير ج ١ ص ٩.

(٣) رجال الكشي ط جامعه طهران ص ٦١٠ والبحار ج ٥٠ ص ١٠٧ والوسائل ج ١٢ ص ٢١٧.

(٤) راجع التراتيب الادارية ج١ ص ١٩٨ عن الاستيعاب.

ورابعاً: لقد روي بسند صحيح ـ كما يقول الأميني ـ عن علي: أنه سمع رجلاً يستغفر لأبويه، وهما مشركان؛ فذكر علي «عليه السلام» ذلك للنبي «صلى الله عليه وآله وسلم» فنزلت الآية المذكورة[١].

وفي أخرى: ان المسلمين قالوا: ألا نستغفر لآبائنا؟ فنزلت[٢].

وفي رواية: انها نزلت حينما استأذن «صلى الله عليه وآله وسلم» الله في الاستغفار لأمه فلم يأذن له، ونزلت الآية، فسأله أن يزور قبرها، فأذن له[٣].

وإن كنا نعتقد: أن الرواية الأخيرة بعيدة عن الصحة لاعتقادنا بأن أم النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» كانت مؤمنة موحدة، كما أسلفناه في بحث ايمان آبائه «صلى الله عليه وآله وسلم». ولكنها على أي حال مناقضة لما تقدم فلعل الرواة طبقوها على هذا المورد، اجتهاداً عمدياً او سهوياً منهم، والصحيح هو النص المتقدم عن علي «عليه السلام». وإلا

---

(١) الغدير ج ٨ ص ١٢، وغيره عن: الطيالسي، وابن أبي شيبة، وأحمد، والترمذي، والنسائي، وأبي يعلى، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابي الشيخ، وابن مردويه، والحاكم وصححه، والبيهقي في شعب الايمان، والضياء في المختارة، والاتقان، واسباب النزول، وتفسير ابن كثير، والكشاف، واعيان الشيعة، واسنى المطالب ص ١٨، لدحلان وابو طالب مؤمن قريش، وشيخ الابطح ومسند أحمد ج ١ ص ١٣٠/١٣١.

(٢) مجمع البيان ج ٥ ص ٧٦ عن الحسن، وتفسير ابن كثير ج ٢ ص ٣٩٣، وابو طالب مؤمن قريش ص ٣٤٨، عنهما وعن الاعيان ج ٣٩ ص ١٥٨ و ١٥٩ عن ابن عباس والحسن، والكشاف ج ٢ ص ٢٤٦.

(٣) تفسير الطبري ج ١١ ص ٣١، والدر المنثور ج ٣ ص ٢٨٣، وارشاد الساري ج ٧ ص ٢٨٢ و١٥٨ عن مسلم في صحيحه، وتفسير ابن كثير ج ٢ ص ٣٩٤ وأحمد في مسنده، وأبو داود في سننه، والنسائي، وابن ماجة، والحاكم، والبيهقي، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه والكشاف ج ٢ ص ٤٩. وابو طالب مؤمن قريش ص ٣٤٩.

فلماذا نسي النبي الاستغفار لامه إلى آخر أيام حياته؟ هذا عدا عما تقدم.

وخامساً: إن آية لا تهدي من أحببت، يقال: إنها نزلت يوم احد، حينما كسرت رباعيته، وشج وجهه «صلى الله عليه وآله وسلم»، فقال: اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون، فانزل الله: إنك لا تهدي من أحببت إلخ[1].

وقيل: إنها نزلت في الحارث بن عثمان بن نوفل، الذي كان الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» يرغب في اسلامه، بل لقد ادّعي الاجماع على ذلك[2].

سادساً: إذا كان النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» يحب إيمان أبي طالب فالله يحب ذلك أيضاً، لأن الرسول لا يحب إلا ما أحب الله. وقولهم: كان «صلى الله عليه وآله وسلم» يكره إيمان وحشي، ثم آمن، لا يصح؛ لأن هذا من نوع التضاد بين الرسول والمرسل، لو لم يتوافقا، وإذا توافقا، فكيف يمكن أن يكره الله ورسوله إيمان أحد[3].

وسابعاً: ان قوله تعالىٰ: لا تهدي من أحببت لا يمنع من ايمان ابي طالب، فإن الله قد شاء الهداية لأبي طالب ايضاً كما دلّت عليه النصوص. والآية انما تريد تعليم النبي «صلى الله عليه وآله وسلم»: ان محبته لهداية شخص غير كافية. بل لا بد معها من مشيئة الله سبحانه.

وأخيراً، فان عبد المطلب لم يكن كافراً ولا مشركاً حسبما قدمنا،

---

(١) راجع التراتيب الإدارية ج ١ ص ١٩٨ عن الإستيعاب.
أبو طالب مؤمن قريش ص ٣٦٨ عن أعيان الشيعة ج ٣٩ ص ٢٥٩ والحجة ص ٣٩. ولربما يأتي بعض مصادر ذلك في وقعة أحد.

(٢) أبو طالب مؤمن قريش ص ٣٦٩ عن شيخ الابطح ص ٦٩.

(٣) راجع هامش أنساب الأشراف ج ٢ ص ٢٨ عن الدكتور زرزور في مقدمته على تفسير الحاكم الجشمي.

بل كان مؤمناً على دين الحنيفية. وقد صرح المسعودي في بعض كتبه بانه قد مات مسلماً[١]. فقول ابي طالب: بل على ملة عبد المطلب لا يدل على كفره؛ فلو كان قد قال ذلك حقاً. فلا بد أن يكون قد قال ذلك تعمية على قريش، لمصالح يراها لا بد من ملاحظتها في تلك الفترة.

الوجبة الأخيرة:

كان ما تقدم هو عمدة ما استدل به القائلون بكفر ابي طالب، والعياذ بالله، وقد رأينا: أنه لا يستطيع أن يثبت أمام النقد الواعي والدقيق. وقد بقيت بعض الروايات، التي يمكن الاستدلال بها على ذلك. وليس فيها أيضاً ما ينفع أو يجدي ونحن نشير إليها باختصار شديد؛ فنقول: إنهم قد رووا أيضاً:

١ ـ أن الرسول قال لابي بكر حول ما ينجي من الوسوسة: «ينجيكم من ذلك: أن تقولوا مثل الذي أمرت به عمي عند الموت؛ فلم يفعل، يعني شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله[٢]».

وفي رواية عن عمر: إن كلمة التقوى التي ألاص عليها نبي الله عمه أبا طالب عند الموت: شهادة إلخ[٣].

ونقول:

أ ـ ان من الواضح: ان الذين يسألونه عما ينجي من الوسوسة كانوا يقولون تلك الكلمة، ويشهدون الشهادتين، ولكنهم كانوا ـ مع ذلك ـ

---

(١) الروض الانف ج ٢ ص ١٧٠/١٧١.

(٢) حياة الصحابة ج ٢ ص ٥٤٠/٥٤١ وكنز العمال ج ١ ص ٢٥٩ ـ ٢٦٠ ـ ٢٦١ عن أبي يعلى والبوصيري في زوائده، وعن طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٣١٢.

(٣) مجمع الزوائد ج ١ ص ١٥، وكنز العمال ج ١ ص ٢٦٢ و٦٣ عن أبي يعلى، وابن خزيمة، وابن حبان والبيهقي وغيرهم كثير جداً.

مبتلين بالوسوسة فكيف يأمرهم «صلى الله عليه وآله وسلم» بقولها للنجاة من ذلك؟! .

إلا ان يكون المراد: كثرة التلفظ بها وتكرارها.

ولكن ربما يقال: إن ارادة هذا المعنى بعيد عن مساق الرواية.

ب ـ إن نفس هذه الرواية مروية بسند صحيح، وتفيد: أن الخلاف كان بين سعد وعثمان، وأن الذي حكم بينهما هو عمر بن الخطاب، وذكر: دعوة ذي النون: «لا إله إلا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين». ولم يذكر أبا طالب[1].

٢ ـ لما مدّ أبو قحافة يده ليسلم بكى أبو بكر، فقال له (ص): ما يبكيك؟ قال: لأن تكون يد عمك مكان يده، ويسلم، ويقر الله به عينك أحب إلي من أن يكون[2].

ونقول:

أ ـ قد تقدمت هذه الرواية بنحو يدل على ايمان أبي طالب عن عدد من المصادر، فلا نعيد.

ب ـ قد جاء أنه لما اسلم أبو قحافة لم يعلم أبو بكر باسلامه، حتى بشره النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» بذلك[3] فكيف يكون أبو بكر قد قال ذلك حين مدّ يده؟! .

---

(١) مجمع الزوائد ج ٧ ص ٦٨ عن أحمد ورجاله رجال الصحيح، باستثناء ابراهيم بن محمد بن سعد وهو ثقة، وحياة الصحابة عنه وعن الترمذي وعن الكنز ج ١ ص ٢٩٨ عن أبي يعلى والطبراني ـ وصحح.

(٢) الاصابة ج ٤ ص ١١٦ والحاكم وصححه على شرط الشيخين، وعن عمر بن شبة وابي يعلى، وأبي بشر سمّويه في فوائده، ونصب الراية ج ٦ ص ٢٨١/٢٨٢ عن عدد من المصادر في هامشه، والمصنف ج ٦ ص ٣٩، وفي هامشه عن ابن أبي شيبة ج ٤ ص ١٤٢ و ٩٥ وأبي داود ٤٥٨ ومسند أحمد ج ١ ص ١٣١.

(٣) المحاسن والمساوىء ج ١ ص ٥٧.

٣ ـ لما توفي ابو طالب، جاء علي إلى النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» وقال له: إن عمك الشيخ الضال قد توفي.

وفي رواية أن علياً رفض ما أمره به النبي ««صلى الله عليه وآله وسلم» من تغسيله، ودفنه، فأمر أن يتولى ذلك غيره[1].

ونقول:

أ ـ قد روى أحمد في مسنده هذه الرواية، وفيها: إن عمك الشيخ قد توفي، من دون ذكر كلمة «الضال»[2].

ب ـ ولو لم يكن مؤمناً فلماذا يأمر بتغسيله؟.

ثم كيف يأمر علياً بتغسيله ولا يأمر عقيلاً، أو طالباً اللذين كانا مشركين؟. إلا أن يقال: إنهما لم يكونا على استعداد لإطاعته.

ج ـ كيف يتناسب هذا مع كونه «صلى الله عليه وآله وسلم» قد حزن، وترحم عليه، ودعا له، وعارض جنازته، ومشى فيها، مع أنهم يروون: أنه لا يجوز المشي في جنازة المشرك؟![3].

د ـ هل صحيح: أن علياً «عليه السلام» رفض تنفيذ ما أمره به النبي «صلى الله عليه وآله وسلم»، حتى احتاج لأن يأمر بأن يتولى ذلك غيره؟ فهل كان علي يملك نفسية متمردة كهذه النفسية؟ حاشاه!

هـ ـ ماذا يصنع هؤلاء بما ورد عن كثير من المصادر من أن علياً عليه السلام هو نفسه قد تولى تغسيله ودفنه، واغتسل

---

(١) المصنف ج٦ ص ٣٩ وراجع كنز العمال ج ١٧ ص ٣٢ و٣٣ ونصب الراية ج ٢ ص ٢٨١ و٢٨٢ وفي هامشه عن عدد من المصادر.

(٢) مسند الامام أحمد ج ١ ص ١٢٩/ ١٣٠ وانساب الأشراف بتحقيق المحمودي ج ٢ ص ٢٤ وفيه أنه أمره هو فواراه.

(٣) قد تقدمت بعض مصادر ذلك في أوائل هذا البحث، وعن عدم جواز المشي في جنازة المشرك، راجع كتب الحديث كسنن البيهقي وغيره.

بعد تغسيله إياه غسل المس الواجب من مس كل ميت مسلم[١].

خطابيات وأرجاز المديني:

وبعد ما تقدم، إذا كان أبو طالب مسلماً مصدقاً؛ فلا يصغى لأرجاز وخطابيات أمثال المديني، غير الموافقة للعقل والدين. ولا يفيدهم تملقهم البارد، ولا تظاهرهم بالصلاح، حتى ليقول المديني: «وددت أن ابا طالب كان اسلم، فسرّ به رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» وأني كافر[٢]»!!.

سرّية إيمان أبي طالب:

إننا إذا تتبعنا سير الدعوة، ومواقف أبي طالب فاننا نجد: أنه كان بادىء ذي بدء يكتم إيمانه، تماماً كمؤمن آل فرعون، والظاهر أنه قد استمر يظهر ذلك تارة، ويخفيه أخرى إلى أن حُصِرَ الهاشميون في الشعب، فصار يكثر من اظهار ذلك.

وقد ورد عن الامام الصادق «عليه السلام» قوله: «إن مثل أبي طالب مثل أصحاب الكهف أسرّوا الايمان واظهروا الشرك، فآتاهم الله اجرهم مرتين[٣]».

وعن الشعبي، يرفعه عن أمير المؤمنين «عليه السلام» قال: كان والله أبو طالب بن عبد المطلب بن عبد مناف مؤمناً مسلماً يكتم إيمانه؛

---

(١) تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٠١.

(٢) عيون الاخبار ج ١ ص ٢٦٣ لابن قتيبة.

(٣) أمالي الصدوق ص ٥٥١، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٧٠، وأصول الكافي ج ١ ص ٣٧٣، وروضة الواعظين ص ١٣٩، والبحار ج ٣٥ ص ١١١ والغدير ج ٧ ص ٣٨٠ - ٣٩٠ عنهم وعن: الحجة لابن معد ص ١٧ و ١١٥ وتفسير أبي الفتوح ج ٤ ص ٢١٢، والدرجات الرفيعة، وضياء العالمين.

مخافة على بني هاشم أن تُنَابِذَها قريش. وكذا عن ابن عباس[١].

وقد تقدم: أن محمد بن الحنفية حمل في حرب الجمل على رجل من اهل البصرة، قال: فلما غشيته قال: أنا على دين ابي طالب، فلما عرفت الذي اراد كففت عنه[٢].

وثمة أحاديث أخرى عديدة بهذا المعنى لا مجال لذكرها[٣].

ولكن لا بد أن نذكر رواية أخرى، ولعلها هي الأقرب الى واقع الأمر، وهي ما ذكره الشريف النسابة العلوي، المعروف بالموضح، باسناده: أن أبا طالب لما مات لم تكن الصلاة على الموتى، فما صلى النبي عليه، ولا على خديجة، وإنما اجتازت جنازة أبي طالب، وعلي وجعفر[٤]، وحمزة جلوس، فقاموا، وشيعوا جنازته، واستغفروا له.

فقال قوم: نحن نستغفر لموتانا وأقاربنا المشركين أيضاً ـ ظنا منهم أن أبا طالب مات مشركا؛ لأنه كان يكتم إيمانه فنفى الله عن أبي طالب الشرك، ونزّه نبيه، والثلاثة المذكورين «رحمهم الله» عن الخطأ في قوله: **﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين، ولو كانوا أولي قربى﴾**.

فمن قال بكفر أبي طالب، فقد حكم على النبي بالخطأ والله تعالى قد نزهه عنه في أقواله وافعاله الخ[٥].

---

(١) الغدير ج ٧ ص ٣٨٨ عن كتاب الحجة ص ٢٤ و ٩٤ و ١١٥. وراجع أمالي الصدوق ص ٥٥٠.

(٢) الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ج ٥ ص ٦٧.

(٣) راجع الغدير ج ٧ ص ٣٣٨ ـ ٣٩٠ عن: الفصول المختارة ص ٨٠ واكمال الدين ص ١٠٣، وكتاب الحجة لابن معد عن أبي الفرج الاصفهاني.

(٤) لقد كان جعفر بالحبشة، فإما أن يكون قد جاء في زيارة قصيرة ثم رجع. وإما أن يكون الراوي قد ذكره من عند نفسه سهواً أو عمداً.

(٥) الغدير ج ٧ ص ٣٩٩ عن كتاب الحجة لابن معد ص ٦٨.

ضرورة سرية إيمان شيخ الابطح:

ونستطيع أن نقول: إن سرية إيمان أبي طالب كانت ضرورة لا بد منها؛ لأن الدعوة كانت بحاجة إلى شخصية إجتماعية قوية تدعمها، وتحافظ على قائدها، شرط أن لا تكون طرفاً في النزاع. فتتكلم من مركز القوة لتتمكن الدعوة من الحركة، مع عدم مواجهة ضغط كبير يشل حركتها، ويحد من فاعليتها.

قال ابن كثير وغيره: «إذ لو كان اسلم أبو طالب (ونحن نقول: أسلم، ولكنه كتم إيمانه واسلامه)؛ لما كان له عند مشركي قريش وجاهة، ولا كلمة، ولا كانوا يهابونه ويحترمونه، ولاجترؤا عليه، ولمدوا أيديهم والسنتهم بالسوء إليه»[١].

لماذا الإفتراء على أبي طالب:

وأخيراً.. فلعل ذنب أبي طالب الوحيد، هو أنه كان أبا لأمير المؤمنين علي «عليه السلام»، فالمستهدف بهذه النسبة الشنيعة في الحقيقة هو ولده، الشوكة الجارحة في أعين الأ مويين، والزبيريين، وكل أعداء الاسلام. فهم يريدون النيل من علي في كل أمر يرتبط به حتى وصلت النوبة إلى أخيه جعفر، وابيه أبي طالب «رحمه الله»، ثم إلى كل شيعته ومحبيه، بل إننا لا نكاد نرى فضيلة ثبتت له بسند صحيح عند مختلف الفرق الاسلامية الا ولها نظير في الخلفاء الثلاثة، ولكن بسند ضعيف عندهم على الأكثر، ولله الحمد وله الحجة البالغة.

ويقينا لو كان أبو سفيان أو أي شخص آخر، من آباء مخالفي علي «عليه السلام» قد عمل معشار ما عمله أبو طالب، لرأيت من الثناء العاطر عليه، والتبجيل والتقدير، والأحاديث في فضله، وماله من

---

(١) البداية والنهاية ج ٣ ص ٤١، وراجع السيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ٤٦.

الكرامات والشفاعات، إن دنيا، وإن آخرة، ما يفوق حدّ الحصر، ويزيد ويتضاعف باستمرار في كل مصر، وعصر.

والغريب في الأمر: أن أبا سفيان، أبا معاوية الذي يقول لعثمان حينما صارت إليه الخلافة: قد صارت إليك بعد تيم وعدي فأدرها كالكرة، واجعل اوتادها بني أمية، فإنما هو الملك ولا أدري ما جنة ولا نار[١] إن أبا سفيان هذا مؤمن تقي عادل، معصوم، وأبو طالب ـ أو فقل: أبو علي ـ كافر مشرك، وفي ضحضاح من نار، يبلغ كعبه، ويغلي منه دماغه!! ما عشت أراك الدهر عجباً!!.

أبو لهب ونصرة النبي (ص):

ونشير أخيراً هنا إلى أنهم يذكرون: أنه بعد أن توفي أبو طالب أعلن أبو لهب استعداده لنصرة النبي «صلى الله عليه وآله وسلم». فاحتالت قريش فأخبرته أنه يقول: إن اباك عبد المطلب في النار، فسأله عن ذلك، فأخبره بما طابق ما أخبروه به؛ فتخلى عن نصرته، وانقلب ليكون عدواً له ما عاش[٢].

ونحن لا نشك في كذب هذه القضية.

فأولاً: كيف لم يعلم أبو لهب طيلة عشر سنين من عدائه للنبي، ومحاربته له: أن هذا هو رأيه ورأي الاسلام في كل من يموت مشركاً بالله تعالى؟! وعلى أي شيء كان يحاربه طيلة هذه المدة إذن؟!.

وثانياً: لماذا عاداه في حياة أبي طالب، ثم عاد إلى حمايته ونصرته بعد وفاته؟!. ولماذا لم يفعل أبو طالب كما فعل أبو لهب؟، أو لماذا لم

---

(١) النزاع والتخاصم ص ٢٠.

(٢) راجع على سبيل المثال: البداية والنهاية ج ٣ ص ١٣٤ عن ابن الجوزي وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٠٢.

يفعل أبو لهب مثل فعل أبي طالب!

وثالثاً: قد اسلفنا أن عبد المطلب لم يكن مشركاً، بـل كان على دين الحنيفية مؤمناً صادق الإيمان.

سر افتعال الرواية:

ولعل سر افتعال هذه الرواية هنا هو إظهار: أن حماية أبي طالب لم تكن إلا بدافع العصبية والحمية القبلية، أو الحب الطبيعي.

ولكن أين كانت حمية وعصبية أبي لهب قبل هذا الوقت، وأين كـان حبـه الطبيعي لابن أخيـه؟ ولا سيما حينمـا حصرت قـريش الهاشميين في الشعب، وكادوا يهلكون جوعاً؟!.

وأين ذهبت حميته بعد ذلك؟ وهو الذي كان يتتبع محمداً «صلى الله عليه وآله وسلم» من مكان إلى مكان يؤذيه، ويصد النـاس عنه مـا استطاع إلى ذلك سبيلاً.

وقد قدمنا بعض الكلام في ذلـك، حين الكلام على تضحيـات أبي طالب، فلا نعيد.

الباب الرابع:

من وفاة أبي طالب حتى الهجرة الى الحبشة

الفصل الأول:

الهجرة الى الطائف

لا بد من تحرك جديد:

لقد فقد النبي الاعظم «صلى الله عليه وآله وسلم» بوفاة أبي طالب نصيراً قوياً، دافع عن النبي «صلى الله عليه وآله وسلم»، وعن دعوته الالهية، بيده ولسانه، وشعره، وولده، وعشيرته، وكل مواهبه وطاقاته، وضحى من أجله بمركزه وماله وعلاقاته الاجتماعية، كما قدمنا ـ فاعتقدت قريش انه «صلى الله عليه وآله وسلم» سيضعف عزمه عن مواصلة جهوده، بعد أن مات ناصره. فنالته بعد وفاة شيخ الابطح بأنواع الاذى، مما عجزت عنه في حياة عمه العظيم، ووجدت الفرصة للتنفيس عن حقدها، وصب جام غضبها على ذلك الذي ترى فيه سبباً لكل مشاكلها ومتاعبها.

ورأى «صلى الله عليه وآله وسلم» أن الدعوة الاسلامية تتعرض لضغوط قوية تمنع من انتشارها، ومن دخول الآخرين فيها، ما داموا لا يرون في ذلك الدخول إلا العذاب والنكال، وإلا الذل والمهانة. بل يمكن أن يتعرض ما حصل عليه، وجاهد من أجله وفي سبيله لأخطار ربما لا يكون في وسعه مواجهتها وتجاوزها بنجاح تام.

ومن هنا فقد كان لا بد من تحرك جديد، يعطي للدعوة دفعة جديدة، ويجعلها أكثر حيوية، وأكثر قدرة على مواجهة الاخطار المحتملة

واذا كان بقاؤه «صلى الله عليه وآله وسلم» في مكة ـ إن لم يكن فيه خطر على الدعوة ـ معناه جمودها، وتحجميها، وشل حركتها، فان من الطبيعي أن يبحث عن مكان آخر تتوفر فيه له حرية الحركة، والدعوة إلى الله، بعيداً عن أذايا قريش ومكائدها. ويتوفر فيه متنفس لهؤلاء المسلمين الذين تنالهم قريش بمختلف أنواع العذاب والتنكيل، قبل ان يتطرق اليأس الى نفوسهم، وينهاروا امام تلك الضغوط التي يتعرضون لها باستمرار.

فكان كل ذلك وسواه دافعاً إلى الهجرة الى الطائف.

الهجرة الى الطائف في كلمات المؤرخين:

فبعد ان أذن الله له «صلى الله عليه وآله وسلم» بالخروج من مكة إذ قدمات ناصره؛ خرج إلى الطائف، ومعه علي «عليه السلام»[1] ـ أو زيد بن حارثة او هما معاً[2] على اختلاف النقل ـ وذلك لليال بقين من شوال سنة عشر.

فأقام في الطائف عشرة أيام، وقيل: شهراً، لا يدع من أشرافهم أحداً إلا جاءه، وكلمه، فلم يجيبوه، وخافوا على أحداثهم؛ فطلبوا منه أن يخرج عنهم، وأغروا به سفهاءهم؛ فجلسوا له في الطريق صفين، يرمونه بالحجارة، وعلي «عليه السلام» يدافع عنه، حتى شج في رأسه، او ان الذي شج في رأسه هو زيد بن حارثة.

ويقولون: إنه «صلى الله عليه وآله وسلم» التجأ الى بستان لعتبة وشيبة ابني ربيعة، وجلس في أحد جوانبه، فتحركت عاطفة ابني ربيعة،

---

(١) سيرة المصطفى ص ٢٢١/٢٢٢ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٤ ص ٩٧ عن الشيعة.

(٢) شرح النهج للمعتزلي ج ٤ ص ١٢٧ عن المدائني وسيرة المصطفى ص ٢٢١/٢٢٢.

وهما يريان ما به من الجهد، فأرسلا اليه غلامهما عداساً وهو نصراني من أهل نينوى ـ بعنب، فوضعه بين يديه، فمد إليه يده، وقال: بسم الله الرحمن الرحيم، فتعجب عداس من ان يكون بهذا البلد أحد يذكر الله، وجرت بينهما مكالمة انتهت باسلام عداس. فقال احدهما للآخر: أما غلامك فقد أفسده عليك.

ثم انصرف «صلى الله عليه وآله وسلم» راجعا الى مكة، فاستعد اعداؤه للقائه بأنواع من الاذى لم يعرفها من قبل.

ولكنه «صلى الله عليه وآله وسلم» كان مصمما على مواجهة كل الاحتمالات؛ حيث قال لرفيقه علي، او زيد: إن الله جاعل لما ترى فرجاً ومخرجاً، وان الله ناصر دينه، ومظهر نبيه.

فطلب من الأخنس بن شريق ان يجيره ليتمكن من دخول مكة، فرفض على اعتبار انه حليف، والحليف لا يجير على الصميم[1].

ثم طلب من سهيل بن عمرو أن يجيره، فرفض أيضاً، لأنه من بني عامرفلا يجير على بني كعب، فدخل مكة بجوار المطعم بن عدي، الذي تجهز ومن معه بالسلاح لحمايته؛ فأمضت قريش جواره.

ويقول البعض: إنه رد عليه جواره من أول يوم وصوله. وقال آخرون: بل استمر في جواره مدة.

هكذا باختصار يروي المؤرخون قضية الهجرة الى الطائف، ثم العودة منها.

هجرات أخرى له «صلى الله عليه وآله وسلم»:

ويقولون أيضاً: إنه بعد وفاة عمه خرج إلى بني صعصعة، ومعه

---

(١) قد تقدمت مصادر ذلك حين الكلام على هجرة أبي بكر، ثم دخوله مكة بجوار ابن الدغنة.

علي؛ فلم يجيبوه، وغاب عن مكة عشرة أيام.

وهاجر أيضاً مع علي وأبي بكر الى بني شبيان، وغاب ثلاثة عشر يوماً، فلم يجد عندهم نصرة[1].

ولا بد لنا هنا من وقفات لبيان بعض الامور التي ترتبط بما تقدم، ونراها هامة، الى حدما، وهي التالية:

١ ـ ما ذكر عن عداس:

إننا نشك فيما ذكر من دور عداس، وأكله «صلى الله عليه وآله وسلم» العنب المهدى اليه، وذلك لما يلي:

أولاً: ما تقدم في الفصل السابق من أن النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» لم يكن يقبل هدية مشرك، ولا يرضى بأن يكون له أي فضل او نعمة عليه، يستحق بها المكافأة. فكيف قبل هدية ابني ربيعة المشركين، ورضي بأن يكون لهما فضل عليه؟! إلا أن يقال: إنما قبل هدية عداس، ولعله لم يكن يعلم أن ابني ربيعة هما اللذان أرسلاه.

وثانياً: إن هذه الرواية تنص على أن عداساً قد أسلم. مع ان البعض ينص على أنه «صلى الله عليه وآله وسلم» قد عاد من الطائف محزوناً، لم يستجب له رجل ولا إمرأة[2].

إلا أن يقال: إن المراد: أنه لم يستجب له أحد من الأحرار، او لم يستجب له أحد من أهل نفس البلد. وعداس من أهل نينوى.

ثالثاً: كان قد مضى على دعوة الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» الناس الى الاسلام حوالى عشر سنوات، وكانت شهرة دعوته قد تجاوزت مكة الى غيرها من الاقطار والامصار. وأصبح ذكره وذكر ما جاء به على

---

(١) شرح النهج للمعتزلي ج ٤ ص ١٢٦.

(٢) راجع: طبقات ابن سعد ج ١ القسم الأول ص ١٤٢.

كل شفة ولسان.

كما أنه قد مضى على وجود النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» في الطائف نفسها عشرة أيام، أو شهر وهو يدعو الناس الى الله، لا يفتر ولا يمل فكيف إذن يتعجب عداس من ذكر الله في ذلك البلد؟!.

فهل من المعقول: أن يكون عداس لم يسمع بذكره «صلى الله عليه وآله وسلم» ولا بدعوته هذه المدة كلها، سواء مدة وجوده في الطائف، أو مدة دعوته الى الله في المنطقة؟!.

وقد قدمنا بعض الكلام عن عداس في مناقشتنا لروايات بدء الوحي فلا نعيد.

٢ ـ دخوله «صلى الله عليه وآله وسلم» مكة بجوار:

وتقدم: أن الأخنس بن شريق، وسهيل بن عمرو لم يقبلا أن يجيرا النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» ليدخل مكة. واحتج الاخنس بانه حليف، والحليف لا يجير على الصميم. فدخل «صلى الله عليه وآله وسلم» بجوار المطعم بن عدي، ونحن نشك في ذلك أيضاً.

فأولاً: قد قدمنا: أنه «صلى الله عليه وآله وسلم» لم يكن يقبل ان يكون لمشرك عنده يد يستحق الشكر عليها. وهذه يد ولا شك.

وثانياً: كيف لم يعلم النبي الذي بلغ من العمر حوالى خمسين عاماً، ويعيش بين العرب، كيف لم يعلم طيلة هذه المدة: أنه ليس للحليف أن يجير على الصميم عندهم؟!!

وان بني عامر لا تجير على بني كعب؟!

وثالثاً: أليس هذا يعتبر ركوناً للظالمين، ولغير أهل دينه، والله تعالى يقول: **﴿ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم﴾**. ويقول: **﴿ولا تركنوا الى الذين ظلموا، فتمسكم النار﴾**[1]؟

---
(١) سورة هود الآية ١١٣.

إلا ان يجاب عن هذا بالنفي، فإن هذا المقدار من الركون ليس بمقصود في الآية.

ورابعاً: إننا نجد عثمان بن مظعون يرد جوار الوليد بن المغيرة، رغبة منه في مواساة أصحابه؛ فهل يعقل أن يكون النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» أقل من ابن مظعون في ذلك؟! ولا يستطيع الصبر على تحمل المشاق والاذى الذي استعدت قريش لتناله به؟ إن ذلك لعجيب حقاً!!.

ثم لماذا لم يخف من الاذى حين رد على المطعم جواره، لا سيما إذا كان قد رده عليه من أول يوم؟!.

وأما أنه كان يخشى على نفسه القتل، فلذلك طلب الجوار؛ فجوابه أنه كان يعلم: أن قريشاً لا تستطيع ذلك. وأنها تعرف: أنه في غير صالحها في تلك الظروف، وبالأخص إذا كان ذلك علناً.

ثم أين كان عنه الهاشميون في تلك الساعة؟ ولماذا لا يحمون كبيرهم وسيدهم حتى يحتاج الى جوار الآخرين؟!

وأين كان عنه أسد الله وأسد رسوله، الذي فعل بأبي جهل ما فعل كما تقدمت الإشارة إليه؟!.

٣ ـ إسلام نفر من الجن:

ويذكر هنا: أنه وهو «صلى الله عليه وآله وسلم» منصرف من الطائف الى مكة، التقى ببعض الجن، فقرأ عليهم القرآن فآمنوا به، ورجعوا الى قومهم، مبشرين ومنذرين، فقص الله خبرهم في سورة الجن، فقال: ﴿**قل اوحي الي: أنه استمع نفر من الجن، فقالوا: إنا سمعنا قرآناً عجباً * يهدي الى الرشد**﴾.

ولكن الظاهر: أن قضية الجن قد كانت في أوائل البعثة؛ حيث إن الرواية تذكر: أنه لما بعث النبي «صلى الله عليه وآله وسلم»، حيل بين

الجن وبين استراق السمع في السماء، وأرسلت عليهم الشهب، ففهموا: أن ذلك إنما هو لحدث جرى في الارض فعادوا اليها، وبحثوا عن الأمر، فوجدوا أن النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» قد بعث، فاستمعوا القرآن وآمنوا، فنزلت الآية[١].

وفي رواية أخرى: أن ابليس أرسل جنوده ليكشفوا له الأمر، فعادوا إليه بنبأ بعثته «صلى الله عليه وآله وسلم»[٢].

وإلى ما ذكرناه من كون ذلك في أوائل البعثة ذهب ابن كثير أيضاً[٣].

ويدل على ذلك أيضاً: أن عدداً من الروايات تذكر: أن إبن مسعود كان معه «صلى الله عليه وآله وسلم» ليلة الجن[٤]. وإبن مسعود من المهاجرين الى الحبشة، فلا بد أن تكون القضية قد حدثت قبل هجرته اليها، أي قبل الخامسة من البعثة.

٤ ـ الطائف وعلاقاتها بمن حولها:

إن أهل الطائف كانوا مرتبطين إقتصادياً بأهل مكة، ومن حولهم، لأنهم كانوا يصدرون الفاكهة التي هي عمدة محاصيلهم إلى مكة وغيرها

---

(١) راجع: الدر المنثور ج ٦ ص ٢٧٠/٢٧٥، عن: البخاري، ومسلم، وعبد بن حميد، وأحمد، والترمذي والنسائي، والحاكم، وإبن المنذر، والطبراني، وابن مردويه، وأبي نعيم، والبيهقي معاً في الدلائل وغير ذلك. وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٠٣ ـ ٣٠٤ ويقال: إن آيات سورة الاحقاف قد نزلت حين رجوعه من الطائف بهذه المناسبة. ولكن يدفع ذلك ما في الدر المنثور ج ٦ ص ٤٥ عن مسلم، وأحمد، والترمذي، وعبد بن حميد وغيرهم.

(٢) تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٠٤.

(٣) تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٠٣ عن المواهب اللدنية.

(٤) تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٠٤.

من الأطراف المحيطة بهم.

فهم يرون مصيرهم مرتبطاً إقتصادياً وإجتماعياً بغيرهم، وهم بحاجة إلى التقرب والتزلف إلى ذلك الغير، واستجلاب محبتهم ورضاهم، حتى لا يتعرضوا للضغط الاجتماعي، أو إلى حصار إقتصادي ـ كما جرى لبني هاشم ـ من قبل من يحيط بهم، لا سيما من المكيين، حيث السوق الرئيس لمنتجاتهم.

ثم إنه قد كان لهم صنم يقال له اللات، وكان له سدنة. ويزوره العرب[١] فكان لهم مركز ديني أيضاً بين العرب، يهتمون جداً بالمحافظة عليه.

ومن هذا وذاك، نعرف السر في انهم كانوا اشداء في مواجهة النبي «صلى الله عليه وآله وسلم»، وحريصين على اخراجه من بينهم بسرعة.

ويشار هنا: إلى ان أهل الطائف الذين قتلوا عروة بن مسعود الداعي الى الإسلام قد تأخر اسلامهم الى أواخر حياة النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» فوفدوا عليه «صلى الله عليه وآله وسلم» في سنة تسع، سنة الوفود ولم يؤمنوا إلا بعد أن ادركوا: أنه لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب. فلا يخرج لهم مال إلا نهب، ولا إنسان إلا أخذ؛ فلما رأوا عجزهم اجتمعوا وأرسلوا.. الخ[٢].

---

(١) الاصنام للكلبي ص ١٦، والسيرة النبوية لدحلان مطبوع بهامش الحلبية ج ٣ ص ١١ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ١٣٥.

(٢) راجع: الكامل في التاريخ ج ٢/٢٨٣ وراجع أيضاً: السيرة النبوية لدحلان ج ٣ ص ٩ مطبوع بهامش الحلبية والسيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ١٨٣ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ١٣٥.

٥ ـ الإسلام دين الفطرة:

إننا نلاحظ، أن أهل الطائف قد خافوا على أحداثهم من دعوة النبي «صلى الله عليه وآله وسلم»، رغم أن النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» لم يقم بينهم سوى فترة قصيرة جداً. الأمر الذي يؤكد على ان الإسلام كان يجد سبيله بيسر وسهولة إلى العقول الصافية والنفوس البريئة وينسجم مع الفطرة السليمة، التي لم تتلوث بعد بالمفاهيم المنحرفة، ولم تطغ عليها عوامل المصالح الشخصية، والعواطف القبلية، وغير ذلك.

وكيف لا يجد سبيله إليها بيسر، وهوالدين القائم على الدليل والبرهان العقلي، والمنسجم مع الفطرة، وهو دين الضمير والوجدان الحي.

ومن هنا، فإننا نلاحظ: أنهم لم يمكنهم الرد عليه ومناقشته، بل طلبوا منه أن يخرج من بينهم، وحاولوا ان يشوهوا صورته في أذهان أولئك الذين استمعوا إليه، ـ وفي أذهان الصغار الذين اغروهم به «صلى الله عليه وآله وسلم» والذين يمكن ان تؤثر فيهم دعوته ـ بما استعملوه ضده من أساليب غير منطقية، وإنما تتميز بالاهانة والأذى، ثم السخرية والاستهزاء الجارح والمهين.

٦ ـ هل كانت هذه سفرة فاشلة؟!.

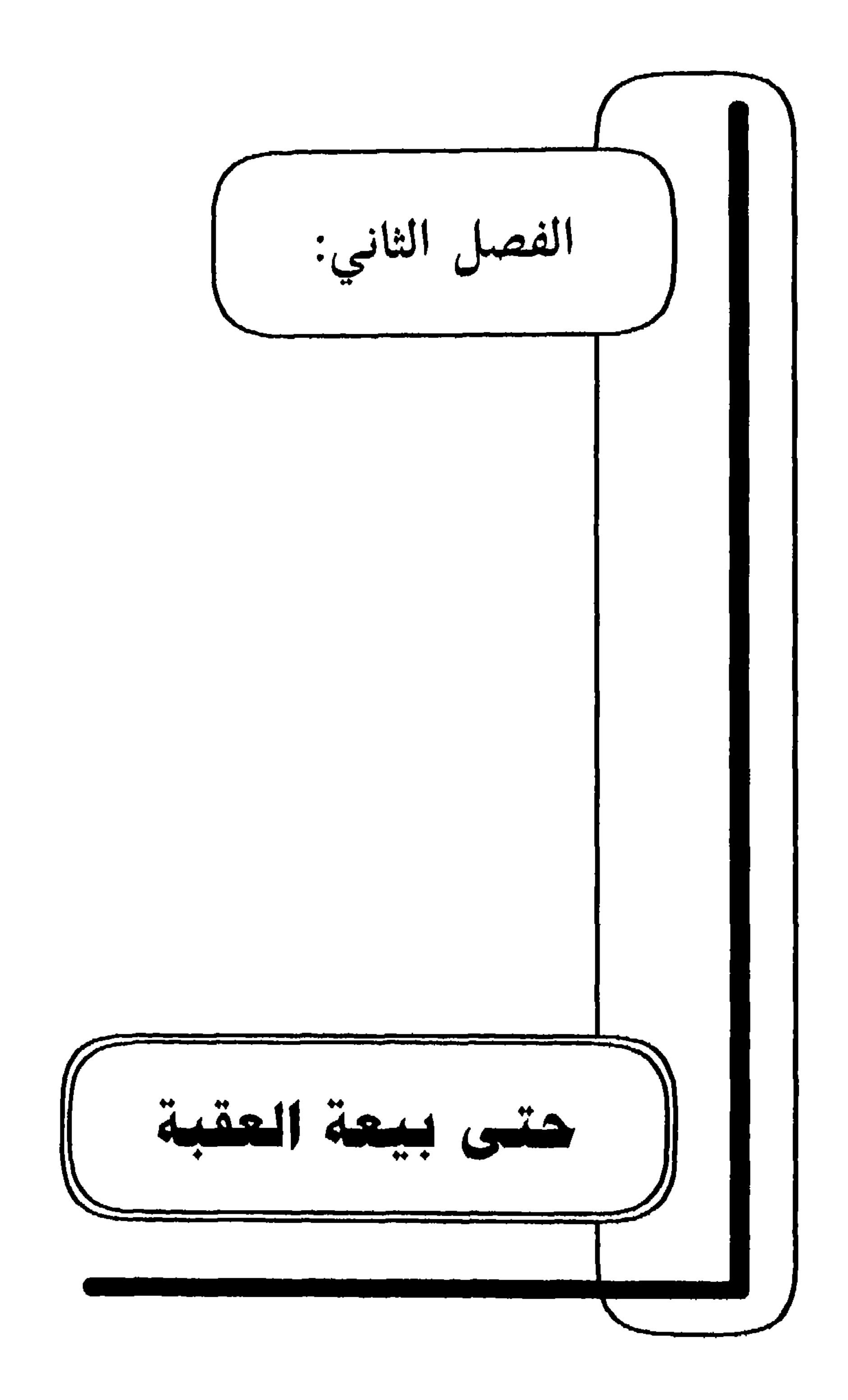
ولربما يتساءل البعض: عن الفائدة لهذه الرحلة الفاشلة؟

وفي جوابه نقول: إن هذه الرحلة لم تكن فاشلة، كما ربما يتصور البعض.

فإن من الطبيعي أن تترك هذة الحادثة آثاراً إيجابية من نوع ما في أذهان من التقى بهم، وكلمهم، وان تثمر فيمابعد ثمارها المطلوبة والمرجوة

منها. حيث قد أثرت بشكل واضح في تهيئة الجو لإيمان ثقيف فيما بعد ذلك عندما قويت شوكة الإسلام، ولم تعد تخشى الضغوط الإقتصادية والإجتماعية عليها ممن حولها، ولا سيما من قريش بل أصبح الضغط من جانب المسلمين لأن القبائل كانت تفد الى النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» فتعلن عن إسلامها، ويكتب لها كتاباً، ويشترط قطع العلاقات مع المشركين فأخافهم ذلك وأرعبهم.

وقد كانت قريش تشيع عن النبي «صلى الله عليه وآله وسلم»: أنه مجنون أو ساحر، او كاهن الخ، فها هو «صلى الله عليه وآله وسلم» يتصل بالناس مباشرة، ويلمسون بأنفسهم حقيقة الأمر، ويتعرّفون عن قرب على شخصيته وخصائصه، بحيث تسقط كل الإشاعات الكاذبة والمغرضة؛ وليصير الإيمان به وبرسالته، وبنبوته أسهل وأيسر، وليصبح اكثر قوة وعمقاً ورسوخاً.



الفصل الثاني:

حتى بيعة العقبة

المجاعة:

ثم هاجت الأزمة، وهي الجوع في قريش، وأهل مكة، وكان ذلك بدعاء النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» الذي دعا عليهم ـ حتى أكلوا العلهز[1]، والقد، وحتى أحرقواالعظام فأكلوها واكلوا الكلاب الميتة، والجيف، ونبشوا القبور، وأكلت المرأة طفلها.. وحتى كان الرجل يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان؛ فشغل ذلك الناس بأنفسهم وبمشاكلهم، فأتيحت الفرصة للنبي «صلى الله عليه وآله وسلم» ـ ولو لفترة قصيرة ـ ليتحرك في سبيل دينه ورسالته داعياً الى الله، ومجاهداً في سبيله.

فلما دخلت سنة إحدى عشرة من البعثة، جاء أبو سفيان الى النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» فقال: يا محمد، جئت بصلة الرحم، وقومك قد هلكوا جوعاً، فادع الله لهم، فدعا رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» لهم؛ فكشف عنهم يقول الله عز وجل: **﴿إنا كاشفوا العذاب قليلاً إنكم عائدون﴾**[2].

---

(١) العلهز: دم يابس يدق به اوبار الابل في المجاعات ويؤكل.

(٢) الدخان/١٥. راجع: البدء والتاريخ ج ٤ ص١٥٧، وتفسير البرهان ج ٤ ص ١٦٠ عن المناقب لابن شهر آشوب.

فإن الظاهر هو ان هذه الآية قد جاءت جواباً لقولهم: ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون. ثم تحدث عنهم تعالى بأسلوب الغائب مشيراً الى ما صدر منهم سابقاً مما يدل على عدم وثوقه في وعدهم، ثم عاد الى خطابهم بالآية الآنفة الذكر، متوعداً إياهم بالعذاب الأليم في الآخرة في صورة عودتهم الى العناد.

ونشير هنا: إلى ان رجوع أبي سفيان الى النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» ليؤكد على أن المشركين كانوا يعرفون أن ما جاء به «صلى الله عليه وآله وسلم» هو الحق، ولكنهم جحدوا ذلك استكباراً وعتواً، وعلواً، وحفاظاً على الإمتيازات الظالمة التي جعلوها لأنفسهم.

ومن الجهة الثانية، فإننا نجده «صلى الله عليه وآله وسلم» يستجيب لطلب أبي سفيان، ولكن ليس فقط لاجل ما ذكره من لزوم صلة الرحم؛ لأن الاسلام هو الصلة الحقيقية بين أبناء البشر جميعاً، وعلى أساسه تكون الأخوة بينهم. وإنما يستجيب له ليعطيه دليلاً جديداً على أحقية ما جاء به، وليقيم الحجة عليه، وعلى كل من يرى رأيه؛ ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حي عن بينة. وليمنح الفرصة للذين يعيشون بعيداً عن الأضواء، وليس لهم مصالح دنيوية كبيرة، ليفكروا بموضوعية وتجرد؛ بعيداً عن الاجواء المصطنعة.

عرض الإسلام على القبائل:

لقد كان النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله وسلم» يغتنم الفرصة في مواسم الحج؛ فيعرض على القبائل، قبيلة قبيلة، أن تعتنق الإسلام، وتعمل على نشره وتأييده، وحمايته ونصرته. بل كان لا يسمع بقادم الى مكة، له إسم وشرف، إلا تصدى له، ودعاه الى الإسلام. ولكن عمه أبا لهب كان يتبعه أنى توجه، ويعقب على كلامه، ويطلب منهم ان لا يقبلوا منه ولا يطيعوه في شيء. هذا بالإضافة الى اتهامه

بالجنون، والسحر والكهانة، والشعر، وغير ذلك.

وكان الناس في الغالب يسمعون من قريش! إما خشية من سلطانها ونفوذها، وإما حفاظاً على مصالحهم الإقتصادية في مكة، لا سيما في مواسم الحج، وعكاظ.

كما أن تصدي أبي لهب عمّ النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» بالذات لإفساد الأمر عليه «صلى الله عليه وآله وسلم» كان أبعد تأثيراً في ذلك، على اعتبار: أنه عمه، وأعرف الناس به.

ولقد افادت تحركات النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» هذه، حيث إنهم بعد ان ذهبت شوكة قريش، وخمد عنفوانها، وأصيب نفوذها بنكسة قوية بسبب ظهور دعوته وإنتشار دينه «صلى الله عليه وآله وسلم»، وتوالي انتصاراته عليها، ولا سيما بعد فتح مكة. بدأت وفادات العرب تترى الى المدينة، بعد أن أمنوا غائلة عداء قريش، ليعلنوا عن ولائهم ومساندتهم، لأن دعايات قريش واشاعاتها الكاذبة قد ذهب أثرها، وبطل مفعولها، لأنهم قد رأوا هذا النبي عن قرب، وعرفوا فيه رجاحة العقل، واستقامة الطريقة، منذ اجتمعوا به في تلك المواسم، وعرض دعوته عليهم.

وقد صرح المؤرخون بأن العرب كانوا ينتظرون بإسلامهم قريشاً و كانوا إمام الناس، وأهل الحرم، وصريح ولد إسماعيل لا تنكر العرب ذلك.

فلما فتحت مكة واستسلمت قريش عرفت العرب أنها لا طاقة لها بحرب رسول الله ولا عداوته، فدخلوا في الدين أفواجاً[1].

بل إنه «صلى الله عليه وآله وسلم» حينما كان يعرض دعوته على القبائل كانوا يردون عليه. أقبح الردّ، ويقولون: اسرتك وعشيرتك أعلم

---

(١) راجع الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٨٦/٢٨٧.

بك حيث لم يتبعوك[١].

وهـذا يدل على ان الخـوف من قريش لم يكن هـو الدافـع الوحيـد للامتناع عن الدخول في الاسـلام لا سيما وأن الكثيـرين من العرب كـانوا بعيدين عن مكة، ولا يخشون سطوتها.

ونقـطة أخرى لا بـد من الاشارة اليهـا. وهي ان تحرك النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» وعرض دين الله على القبائل، وهجراتـه المتعددة في سبيله ليعتبر إدانة للمنطق القائل: إن على صاحب الدعوة: أن يجلس في بيتـه، ولا يتحـرك، وعلى النـاس أن يقصـدوه ويسـألـوه عمـا يهمهم، ويحتاجون اليه.

بنو عامر بن صعصعة،ونصرة النبي «صلى الله عليه و آله وسلم»:

ونشير هنا الى واقعـة هامـة، حدثت في خـلال عرض النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» دعوته على القبائل، وهي:

ان رسـول «صلى الله عليه وآلـه وسلم» قـد أتى بني عـامـر بن صعصعـة، فـدعاهم الى الله، وعـرض عليهم دعوتـه فقـال لهم رجـل منهم، إسمـه: «بيحـرة بن فراس»: والله، لـو أني أخذت هـذا الفتى من قريش لأكلت بـه العرب. ثم قال له: أرأيت إن نحن بايعناك على امرك، ثم اظهـرك الله على من خالفك، أيكون لنا الأمر من بعدك؟

قال: الامر لله، يضعه حيث يشاء.

فقال له: أفنهدف نحورنا للعرب دونك، فاذا اظهـرك الله كان الأمـر لغيرنا؟! لا حاجة لنا بأمرك.

فأبوا عليه. فلما صدر الناس، رجع بنو عامر الى شيخ لهم؛ فسألهم عما كان في مـوسمهم، فقالـوا: جاءنـا فتى من قريش، ثم أحـد بني عبد

---

(١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣.

المطلب، يزعم أنه نبي، يدعونا الى أن نمنعه، ونقوم معه، ونخرج به الى بلادنا.

فوضع الشيخ يديه على رأسه، ثم قال: يابني عامر، هل لها من تلاف؟ هل لذناباها من مطلب؟ والذي نفس فلان بيده، ما تقولها إسماعيلي قط، وإنها لحق، فأين رأيكم كان عنكم![1]

ومثل ذلك جرى له «صلى الله عليه وآله وسلم» مع قبيلة كندة، كما ذكره أبو نعيم في دلائل النبوة[2].

ونحن نسجل هنا ما يلي:

١ ـ ألامرلله:

لقد نصت الرواية على ان الامر لله يضعه حيث يشاء، ونستفيد من ذلك:

ألف: ان الرسول لم يعط هؤلاء وعداً بما طلبوه منه، من جعل الأمر لهم بعده، بل أجابهم بأن الأمرلله، يضعه حيث يشاء أي انه لا يمكن ان يعد بما لا يعلم قدرته على الوفاء به، تماماً على العكس من السياسيين الذين عرفناهم في عصرنا الحاضر، وعلى مرّالعصور الذين لا يتورعون عن إغداق الوعود المعسولة على الناس، حتى اذا وصلوا الى غايتهم، وجلسوا على كرسي الزعامة فإنهم ينسون كل ما قالوه، وما وعدوا به.

ولكن نبي الإسلام الأكرم «صلى الله عليه وآله وسلم» رغم انه كان

---

(١) راجع: سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٦٦، والثقات لابن حبان ج ١ ص ٨٩ ـ ٩١، بهجة المحافل ج ١ ص ١٢٨، وحياة محمد لهيكل ص ١٥٢ والسيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ١٤٧، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣، والروض الانف ج ١ ص ١٨٠، والبداية والنهاية ج ٣ ص ١٣٩، و ١٤٠، وعن دلائل النبوة لابي نعيم ص ١٠٠ وحياة الصحابة ج ١ ص ٧٨ و ٧٩.

(٢) راجع: البداية والنهاية ج ٣ ص ١٤٠.

بأمس الحاجة الى من يمد له يدالعون لا سيما من قبيلة كبيرة تملك من العدد والعدة ما يمكنها من حمايته، والرد عنه. إلا إنه يرفض ان يعد بما لا يملك الوفاء به، حتى ولو كان هذا الوعد يجر عليه الربح الكثير فعلاً.

ب ـ إن جواب النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» لهم بقوله: «الأمرلله يضعه حيث يشاء» يؤيد ما يذهب إليه أهل البيت(ع) وشيعتهم الابرار رضوان الله تعالى عليهم، من ان خلافة النبوة ليست من المناصب التي يرجع البت فيها الى الناس. بل هي منصب الهي، والأمرلله فيها، يضعه حيث يشاء.

٢ ـ سمو الهدف، والنظرة الضيقة:

وإن عرض هذه القبيلة مساعدتها على النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بهذا النحو، إنما يدل على أنها لا تريد في مساعدتها له وجه الله سبحانه، ولا تنطلق في موقفها ذاك من قاعدة إيمانية قوية، وقناعة عقائدية راسخة، ولا طمعاً بثواب الله، ولا خوفاً من عقابه.

وإنما تنطلق في ذلك من نظرة ضيقة، مصلحية تجارية بالدرجة الأولىٰ: وتريد من نصرها له أن تأكل به العرب، وتحصل على المجد والسلطان.

ومن الواضح ـ بناء على هذا ـ أن نصرها له لسوف ينتهي، عندما تجد: أن مصلحتها قد انتهت، وحصلت على كل ما تريد، أو حينما ترى: أن تجارتها الدنيوية قد خسرت، بل لربما تنقلب عليه إذا رأت فيه عائقاً يمنعها من تحقيق أهدافها، أو الاحتفاظ بالامتيازات الظالمة التي تفرضها لنفسها.

وهكذا يتضح: أن الاعتماد على من يفكر بعقلية كهذه، ويتعامل من منطلق كهذا ليس إلا اعتماداً على سراب، إن لم يجر على من يعتمد عليه البلاء والعذاب.

٣ ـ الدين، والسياسة:

وقد لاحظ بعض المحققين هنا: أن هـذا العربي، وهـو من بني عامـر بن صعصعـة، لما أخبـروه بما يـدعو إليـه النبي صلى الله عليـه وآلـه وسلم، ونقلوا إليه ما جرى لهم معه قد أدرك: أن هذا الدين ليس مجرد تـرهُّبٍ في الصـوامع، وصـلاة، ودعاء، وأوراد، وأذكـار، بـل هـو دين يشتمـل على التدبير والسياسة، والحكم، ولأجـل هذا قـال: «لو أني أخـذت هذا الفتى (يعني محمداً بماله من الدعوة الشاملة) لأكلت به العرب».

ولقد سبقه إلى إدراك هـذه الحقيقة شيـخ الأنصار أسعـد بن زرارة، لما قدم إلى مكة، وعرض عليه النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» ما يـدعو إليـه، فرأى: أن فيـه وفي دعوتـه ما يصلح مجتمعـه، ويعـالـج مشـاكلهم المستعصية بينهم وبين إخوانهم من الأوس، وعلى هذا كانت الهجرة[1].

وقد أدرك ذلك أيضاً نفس أولئك الـذين اشترطـوا على النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» أن يكون لهم الأمر من بعـده، فرفض صلى الله عليـه وآلـه وسلم طلبهم. وسيأتي ذلـك عن عـامـر بن الـطفيـل، في غـزوة بئـر معونة.

فما أبعد ما بين فهم هؤلاء للإسلام، ولدعـوة القرآن، حتى إن هـذا الفهـم هو الذي مهّد لإسلام الأنصـار، ثم الهجرة. وكـذلك لبيعتهم (بيعـة العقبة الأولى والثانية)، واختيار النقباء والكفلاء على المبايعين، وبين ذلك الـذي يعتبر الـدين منفصلاً عن السيـاسـة، وأن السيـاسـة أمـر غـريب عن الدين. فإن ذلـك ولا شك من القـاءات الاستعمار، ومن الفكـر المسيحي الغريب المستورد، كما هو ظاهر.

---

(١) راجع: البحار ج ١٩ ص ٩ واعلام الورى ص ٥٧ عن القمي.

٤ ـ نتائج عرضه «صلى الله عليه و آله وسلم» دعوته على القبائل:

ويمكننا: أن نستفيد مما تقدم:

١ ـ ما تقدمت الإشارة إليه، من أن مقابلة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم للناس، والتحدث معهم مباشرة كان من شأنه: أن يعطي الناس الانطباع الحقيقي عن شخصية الرسول الأكرم «صلى الله عليه وآله وسلم»، وحقيقة ما جاء به. ويدفع كل الدعايات والإشاعات الكاذبة، والمغرضة، التي كانت تبثها قريش وأعوانها، ككونه ساحراً، أو كاهناً، أو شاعراً، أو مجنوناً، أو غير ذلك من ترّهات.

٢ ـ إن ما جرى في قضية بني عامر ليدل دلالة واضحة: على أن عرضه صلى الله عليه وآله وسلم دعوته على القبائل، قد أسهم في الدعاية لهذا الدين، ونشر صيته، في مختلف الأنحاء، والأرجاء، فقد كان من الطبيعي أن يتحدث الناس، إذا رجعوا إلى بلادهم بما رأوه وسمعوه في سفرهم ذاك ولم يكن ثمة خبر أكثر إثارة لهم من خبر ظهور هذا الدين الجديد، وفي مكة بالذات.

زواج النبي «صلى الله عليه و آله وسلم» بسودة وعائشة:

ويقولون: إن النبي صلى الله عليه وآله قد تزوج بسودة بنت زمعة، وعقد على عائشة بنت أبي بكر وكان ذلك بعد عشر سنوات من البعثة.

ولا نجد لسودة دوراً هاماً في التاريخ، ولا في حياة النبي صلى الله عليه وآله، أو بعده وكل الاهتمامات مركّزة على عائشة، حتى لقد حكموا باستحباب العقد في شوال، لأنه صلى الله عليه وآله قد تزوج عائشة في شوال[1]!! مع أنه «صلى الله عليه وآله وسلم» نفسه تزوج غيرها في أشهر أخرى!!.

---

(١) نزهة المجالس ج ٢ ص ١٣٧.

وعلى كل حال، فاننا لن نستطيع أن نُلِمَّ في هذه العجالة بجميع ما قيل، أو يقال حولها؛ فإن ذلك متعسر، بل متعذر ولذلك فنحن نكتفي بذكر أمرين لهما صلة بموضوع زواجه«صلى الله عليه وآله وسلم» بها. ولربما يأتي إن شاء الله بحوث أخرى لجوانب أخرى مما يرتبط بها.

وهذان الأمران هما: سِنّ عائشة وجمالها وحظوتها عند النبي«صلى الله عليه وآله وسلم»؛ فنقول:

١ ـ سن عائشة:

ويقولون: إنه «صلى الله عليه وآله وسلم» قد عقد على عائشة، وهي بنت ست سنين، أو سبع. ثم انتقلت إلى بيته بعد هجرته إلى المدينة، وهي بنت تسع. وهذا هو المروي عنها[١].

ونحن نقول: إن ذلك غير صحيح، وأن عمرها كان أزيد من ذلك بكثير، ونستند في ذلك إلى ما يلي:

أولاً: إن ابن إسحاق قد عدّ عائشة في جملة من أسلم أول البعثة، قال: وهي يومئذ صغيرة. وأنها أسلمت بعد ثمانية عشر إنساناً فقط[٢]. فلو جعلنا عمرها حين البعثة سبع سنين مثلاً فإن عمرها حين العقد عليها كان ١٧ سنة، وحين الهجرة ٢٠ سنة.

---

(١) راجع فيما ذكرناه: طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٣٩، والاصابة ج ٤ ص ٣٥٩، وتاريخ الطبري ج ٢ ص ٤١٣ وتهذيب التهذيب ج ١٢، وأسد الغابة ج ٥ وغير ذلك وراجع: شرح النهج للمعتزلي ج ٩ ص ١٩٠ لكنه ناقض نفسه ص ١٩١ فقال: انها توفيت سنة ٥٧ هـ. وعمرها ٦٤ سنة، وهذا يعني أنها كان عمرها حين الهجرة سبع سنوات فقط.

(٢) راجع: سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٧١، وتهذيب الاسماء واللغات ج ٢ ص ٣٥١ و ٣٢٩ عن ابن ابي خيثمة في تاريخه عن ابن اسحاق، والبدء والتاريخ ج ٤ ص ١٤٦.

ثانياً: وفي مقام رفع التنافي بين قوله«صلى الله عليه وآله وسلم» لفاطمة: أنها سيدة نساء العالمين، وبين ما نسب إليه «صلى الله عليه وآله وسلم» من أنه لم يكمل من النساء إلا مريم ابنة عمران، وآسية امرأة فرعون، وأن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام[١].

يقول الطحاوي: «قد يحتمل أن يكون ما في هذا الحديث قبل بلوغ فاطمة، واستحقاقها الرتبة التي ذكرها رسول الله«صلى الله عليه وآله وسلم» لها. إلى أن قال: وأن كل فضل ذكر لغير فاطمة، مما قد يحتمل أن تكون فضلت به فاطمة، محتملاً لأن يكون وهي حينئذٍ صغيرة، ثم بلغت بعد ذلك الخ»[٢].

لقد قال الطحاوي هذا، بعد أن جزم قبل ذلك بقليل، بأن فاطمة صلوات الله وسلامه عليها كان عمرها حين توفيت خمساً وعشرين سنة[٣].

وهذا يعني أنها قد ولدت قبل البعثة بسنتين، والفرض: أن فاطمة كانت صغيرة حينما كانت عائشة بالغة مبلغ النساء.

وثالثاً: يذكر ابن قتيبة أن عائشة قد توفيت سنة ٥٨ ـ وعند غيره سنة ٥٧ هـ ـ وقد قاربت السبعين[٤] ولضم ذلك إلى ما يقوله البعض من أن خديجة قد توفيت قبل الهجرة بثلاث، أو بأربع، أو بخمس سنين ثم ما

---

(١) راجع: السيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ١٣٧.

(٢) مشكل الآثار ج ١ ص ٥٢.

(٣) مشكل الآثار ج ١ ص ٤٧. وقد حمل بعض العلماء حديث فضل عائشة كفضل الثريد الخ. على المزاح منه «صلى الله عليه وآله وسلم» معها؛ لأن جوها لا ينسجم مع جو التفضيل كما في قوله «صلى الله عليه وآله وسلم»: فاطمة سيدة نساء العالمين، ولم يكمل من النساء إلا مريم وآسية إلخ. ولا سيما بملاحظة: أن النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» لم يكن من المهتمين بأمور الاطعمة، واللذيذ منها ليأتي بها كمثال على تفضيل في أمر حساس كهذا.

(٤) المعارف لابن قتيبة ص ٥٩ ط سنة ١٣٩٠ هـ.

روي عن عائشة من قولها: تزوجني رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم»، وأنا بنت تسع سنين[٢].

[ولعل هذه الرواية هي الأقرب بقرينة ما قدمناه، ولكثرة الخلط بين كلمتي «سبع» و «تسع» بسبب عدم نقط الكلمات في السابق. بل أن هذا الرقم أيضاً مشكوك فيه لما تقدم، ولأن المرأة تميل إلى تقليل مقدار عمرها عادة].

فكلام ابن قتيبة والذي بعده يدل على أنها قد ولدت أما سنة البعثة أو قبلها. وهذا الثاني هو الأرجح لما قدمناه. في المستند الأول والثاني.

إذن، فيكون عمر عائشة حين عقد النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» عليها في سنة عشر من البعثة أكثر من ست سنين بكثير، أي ما بين ثلاثة عشر إلى سبعة عشر سنة.

من طرائف الروايات الموضوعة:

ومن الموضوعات الغريبة في هذا المجال، ما جاء عن أبي هريرة: من أن النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» لما دخل المدينة، واستوطنها طلب التزويج؛ فقال لهم: أنكحوني. فأتاه جبرئيل بخرقة من الجنة فيها صورة لم ير الراؤون أحسن منها، وأبلغه أمر الله له: أن يتزوج على تلك الصورة.

فقال له النبي «صلى الله عليه وآله وسلم»: أنا من أين لي مثل هذه الصورة يا جبرئيل؟

فقال له: إن الله يقول لك: تزوج بنت أبي بكر الصديق. فمضى رسول الله إلى منزل أبي بكر، فقرع الباب، ثم قال: يا أبا بكر، إن الله أمرني أن أصاهرك، فعرض عليه بناته الثلاث فقال: إن الله أمرني أن

---

(١) راجع: حديث الإفك ص ٩٣.

أتزوج هذه الجارية وهي عائشة، فتزوجها رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم»[١]. انتهى باختصار.

وعدا عما في سند هذه الرواية، فاننا نقول:

أولاً: لم نفهم كيف يتصرف النبي تصرفاً لا يصدر عن العقلاء الذين يحترمون أنفسهم، فيطلب التزويج من الناس، ويقول لهم: أنكحوني!!. إلا أن يكون صبياً صغيراً، لا حياء عنده، ولا عقل لديه!! والغريب في الأمر: أنه لم يبادر أحد لإجابة طلبه هذا، بل عاملوه بالجفاء، وأهملوا تنفيذ طلبه، حتى جاء جبرئيل فتولى حلّ مشكلته.

وثانياً: هل صحيح: أن عائشة كانت من الحسن بهذه المثابة: حتى إن صورتها لم ير الراؤون أحسن منها؟!! لعل في ما سيأتي مقنعاً وكفاية لمن أراد الرشد، والحق، والهداية.

وثالثاً: لقد تزوج النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» عائشة بمكة قبل الهجرة بثلاث سنوات، ولم يتزوجها في المدينة، وإجماع المؤرخين على ذلك ظاهر للعيان.

ورابعاً: لم نعرف البنات الثلاث اللواتي عرضهن أبو بكر على النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» فأسماء كانت تحت الزبير، وقدمت المدينة وهي حامل بولدها عبدالله وعائشة قد تزوجت النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» في مكة وأم كلثوم، قد ولدت بعد وفاة أبي بكر[٢]. ولم يولد له غيرهن.

وأخيراً، فإن لقب (الصديق) قد جاء إلى أبي بكر بعد وفاة النبي

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب ج ٢ ص ١٩٤، وميزان الاعتدال للذهبي ج ٣ ص ٤٤، وقد كذبا (الخطيب والذهبي) هذا الحديث الذي جميع رجال أسناده ثقات باستثناء محمد بن الحسن الدّعّاء الأصم. وراجع: الغدير ج ٥ ص ٣٢١.

(٢) راجع: نسب قريش لمصعب الزبيري ص ٢٧٥ ـ ٢٧٨ لتعرف من ولدهم أبو بكر.

صلى الله عليه وآله من محبي الخليفة الأول، كما ربما نشير إليه حين الكلام على قضية الغار إن شاء الله تعالى.

٢ ـ جمال عائشة وحظوتها:

ونسجل هنا: أن أكثر، إن لم يكن كل ما يقال عن جمال عائشة، وعن حظوتها، وحب النبي«صلى الله عليه وآله وسلم» لها، إنما هو مروي عنها نفسها، أو عن ابن أختها عروة. ونحن نقطع بعدم صحة ذلك كله من الأساس.

فأولاً: لماذا لم يرو ذلك كله إلا من طريق عائشة، أو عروة ابن أختها كما يظهر من تتبع الروايات؟!.

وثانياً: إن ابن عباس يواجهها بعد حرب الجمل بحقيقة: أنها لم تكن أحسن نساء النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» وجها، ولا بأكرمهن حسباً[1]. كما أن عمر إنما يصف زينباً بالحسن، دون عائشة؛ فإنه لم يشر إليها في قليل ولا كثير؛ كما سيأتي.

وثالثاً: قال علي فكري: «وما رواه ابن بكار: من أن الضحاك بن أبي سفيان الكلابي كان رجلاً دميماً قبيحاً؛ فلما بايعه النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» قال: إن عندي امرأتين أحسن من هذه الحميراء (يريد عائشة، وذلك قبل أن تنزل آية الحجاب)؛ أفلا أنزل لك عن إحداهما فتتزوجها؟ ـ وعائشة جالسة تسمع؛ فقالت: أهي أحسن أم أنت؟

فقال: بل أنا أحسن وأكرم.

فضحك رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» من سؤالها إياه (لأنه كان دميماً قبيح الوجه)[2]».

---

(١) الفتوح لابن أعثم ج ٢ ص ٣٣٧ ط الهند.

(٢) السمير المهذب ج ٢ ص ٨ ـ ٩.

ورابعاً: قال عباد بن العوام لسهيل بن ذكوان: صف لي عائشة.

قال: كانت أدماء.

وقال يحيى: قلنا لسهيل بن ذكوان: رأيت عائشة؟

قال: نعم.

قيل: صفها.

قال: كانت سوداء[١]

إذن، فما يقال عنها، أنها كانت شقراء، ثم الاستشهاد على ذلك بقول رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» لها: «يا حميراء». . يصبح موضع شك وريب كبير.

ولعل قول النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» لها ذلك قد جاء على سبيل التلطف والرفق بها. أو لعله إشارة إلى قول العرب: شر النساء الحميراء المحياض[٢] فقال لها «صلى الله عليه وآله وسلم» ذلك على سبيل المداعبة والتلطف والمزاح.

وخامساً: إن من يتتبع سيرة زوجات النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» يجد: أن عائشة هي التي كانت تحسد وتغار من كل زوجة وسُرِّيّة له «صلى الله عليه وآله وسلم». ويدرك بما لا مجال معه للشك: أن أكثرهن ـ إن لم يكن كلهنّ ـ كنّ أكثر حظوة لدى النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» منها. إن لم نقل أنهن أجمل وأضوء منها أيضاً؛ فإن من الطبيعي أن نجد الدميم هو الذي يحسد على الجمال ويغار، أما الجميل فليس من الطبيعي أن يحسد الدميم، وأن يغار منه.

كما أنه ليس من الطبيعي أن يكون الميل لغير ذات الجمال أكثر منه للجميلة الوضيئة، وقد ذكر في حديث الإفك على لسان أم المؤمنين عائشة

---

(١) الضعفاء الكبير للعقيلي ج ٢ ص ١٥٥.

(٢) ربيع الابرار ج ٤ ص ٢٨٠ وروض الاخيار ص ١٣٠.

قولها: «فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها، ولها ضرائر إلا كثرن عليها».

ولو صدقنا: أنها كانت هي ذات الحظوة لدى الرسول، وأنه كان يحبها أكثر من غيرها، فلماذا هذه الغيرة، وهذا الحسد منها لهن؟ فإن الحسد لا بد وأن يكون على شيء يفقده الحاسد، ويتمنى زواله عن المحسود، وانتقاله إليه.

وإليك بعض موارد غيرة وحسد عائشة لضرائرها.

٣ـ حسد وغيرة عائشة:

١ ـ خديجة عليها السلام:

عن عائشة قالت: ما غرت على امرأة كما غرت على خديجة، وما بي أن أكون أدركتها. ولكن لكثرة ذكر رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» إياها، وإن كان ليذبح الشاة؛ فيتبع بذلك صدائق خديجة يهديها لهن[١].

وللحديث عبارات وأسانيد مختلفة لا مجال لها الآن.

وقد ذكر النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» خديجة يوماً، فغارت أم المؤمنين، فقالت: هل كانت إلا عجوزاً أبدلك الله خيراً منها؟ وفي لفظ مسلم: «وما تذكر من عجوز من عجائز قريش، حمراء الشدقين، هلكت في الدهر، أبدلك الله خيراً منها»؟ فغضب «صلى الله عليه وآله وسلم»،

---

(١) صحيح البخاري ج ٩ ص ٢٩٢، وج ٥ ص ٤٨، وج٧ ص ٤٧، وج ٨ ص ١٠، وصحيح مسلم ج ٧ ص ١٣٤ و١٣٣، وأسد الغابة ج ٥ ص ٤٣٨، والمصنف ج ٧ ص ٤٩٣، والإستيعاب هامش الإصابة ج ٤ ص ٢٨٦، وصفة الصفوة ج ٢ ص ٨، عن البخاري، ومسلم، وتاريخ الاسلام للذهبي ج ٢ ص ١٥٣، والبداية والنهاية ج ٣ ص ١٢٨.

حتى اهتز مقدم شعره، ثم قال: لا والله، ما أبدلني الله خيراً منها الخ الرواية[١].

وقال العسقلاني والقسطلاني: «وأن عائشة كانت تغار من نساء النبي «صلى الله عليه وآله وسلم»، لكن كانت تغار من خديجة أكثر»[٢].

ولعمري، لقد كان هذا بعد الوفاة، فكيف لو كانت خديجة على قيد الحياة؟! ـ وإذا كانت غيرة أم المؤمنين قد بلغت الأموات، فما حالها مع الأحياء. وكيف كانت معاملتها لهن؟!.

٢ ـ زينب بنت جحش.

لقد اعترفت عائشة في حديث الأفك بأن زينب هي التي كانت تساميها من أزواج النبي «صلى الله عليه وآله وسلم».

واعترفت عائشة أيضاً: أنها قد أخذها ما قرب وما بعد، حينما أراد النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» أن يتزوج زينب، لما كان يبلغهم من جمالها[٣].

وما فعلته عائشة وحفصة مع زينب، في قضية المغافير مشهور ومسطور، حتى ليقولون: إن هذا هو سبب نزول آية التحريم[٤]، وإن كنا

(١) صحيح مسلم ج ٧ ص ١٣٤، لكنه لم يذكر جوابه «صلى الله عليه وآله وسلم» وأسد الغابة ج ٥ ص ٥٥٧/٥٥٨ و٤٣٨ والإصابة ج ٤ ص ٢٨٣، والإستيعاب هامشها ج ٤ ص ٢٨٦/٢٨٧، وصفة الصفوة ج ٢ ص ٨، ومسند أحمد ج ٦ ص ١١٧، وليراجع البخاري ج ٢ ص ٢٠٢ ط سنة ١٣٠٩ هـ.ق والبداية والنهاية ج ٣ ص ١٢٨ واسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار ص ٩٦.

(٢) فتح الباري ج ٧ ص ١٠٢، وإرشاد الساري ج ٦ ص ١٦٦ وج ٨ ص ١١٣.

(٣) الإصابة ج٤ ص ٣١٤، وطبقات ابن سعد ج٨ ص ٧٢، والدر المنثور ج ٥ ص ٢٠٢ عن ابن سعد، والحاكم.

(٤) طبقات ابن سعد ج ٨ص ٧٦، وحياة الصحابة ج ٢ص٧٦١عن البخاري ومسلم.

نعتقد أنها نزلت في غير هذه القضية.

واعترف عمر بن الخطاب بجمال زينب، عندما قال لابنته، ليس لك حظوة عائشة، ولا حسن زينب[١].

فلو كانت عائشة موصوفة بالحسن لقدمها على زينب في هذا الأمر.

أما بالنسبة للفقرة الأولى فنحن نشك في صحتها، ونعتقد أنها سياسة من عمر تجاه أم المؤمنين، أو من تزيد[٢] الرواة لحاجة في النفس، وذلك لما تقدم وسيأتي.

ومهما يكن من أمر، فإن أم سلمة تذكر:

أن زينب كانت معجِبةً لرسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم». وكان يستكثر منها[٣].

٣ ـ أم سلمة رحمها الله تعالى:

كانت أم سلمة من أجمل الناس[٤].

وعن **الإمام الباقر**: أنها أجمل نساء النبي «صلى الله عليه وآله وسلم». ويذكرون أن قصة المغافير من عائشة وحفصة كانت معها[٥]. كما أن عائشة قد اعترفت بأن أم سلمة وزينب كانتا أحب نسائه «صلى الله عليه وآله وسلم» إليه بعدها[٦].

---

(١) طبقات ابن سعد ج ٨ ص ١٣٧، ١٣٨.

(٢) طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٧٣، وتهذيب الاسماء واللغات ج ٢ ص ٣٤٧.

(٣) المواهب اللدنية ج ١ ص ٢٠٥ وتهذيب الأسماء واللغات ج ٢ ص ٣٦٢.

(٤) راجع طبقات ابن سعد ج ٨ ص ١٢٢، والدر المنثور ج ٦ ص ٢٣٩.

(٥) طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٨١.

(٦) الإصابة ج ٤ ص ٤٥٩، وطبقات ابن سعد ج ٨ ص ٦٦.

تقول عائشة: «ولما تزوج رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» أم سلمة حزنت حزناً شديداً، لما ذكر لنا من جمالها، فتلطفت حتى رأيتها؛ فرأيت والله أضعاف ما وصفت الخ»[1].

وقال ابن حجر: «كانت أم سلمة موصوفة بالجمال البارع، والعقل البالغ الخ»[2].

٤ ـ صفية بنت حيّي بن أخطب:

قالت أم سنان الأسلمية: «كانت من أضوأ ما يكون من النساء»[3]. ولما قدمت المدينة جئن نساء الأنصار ينظرن إلى جمالها، وعائشة متنقبة معهن. فلما سألها رسول الله: كيف رأيت يا عائشة؟ قالت: رأيت يهودية. فنهاها«صلى الله عليه وآله وسلم» عن قولها ذاك[4].

وعندما وقعت في السبي جعلوا يمدحونها، ويقولون: رأينا في السبي امرأة ما رأينا ضربها[5]. ولما أرسلت صفية قصعة فيها طعام إلى النبي وهو في بيت عائشة أخذتها رعدة حتى استقلها افكل، وضربت القصعة، فرمت بها الخ[6].

وقد أكد لها رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم»: أنها خير من

---

(١) الإصابة ج ٤ ص ٤٥٩.

(٢) الإصابة ج٤ ص ٣٤٧، وص ٤٦٣ وطبقات ابن سعد ج٨ ص ٨٧.

(٣) الإصابة ج ٤ ص٣٤٧، وطبقات ابن سعد ج ٨ ص ٩٠.

(٤) طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٨٨.

(٥) مسند أحمد ص ٢٧٧ ج ٦، والبخاري باب الغيرة، أواخر كتاب النكاح، لكنه لم يصرح باسم عائشة!!!

(٦) أسد الغابة ج ٥ ص ٤٩١.

حفصة وعائشة(١).

٥ ـ جويرية بنت الحارث:

تقول عائشة أنها كانت امرأة حلوة ملاحة، لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه؛ فأتت رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» تستعينه في كتابتها. قالت عائشة: فوالله ما هي إلا أن رأيتها، فكرهتها، وقلت: يرى منها ما قد رأيت. فلما دخلت على رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» الخ(٢).

٦ ـ مارية القبطية:

قالت عائشة: ما غرت على امرأة إلا دون ما غرت على مارية، وذلك أنها كانت جميلة جعدة، فأعجب بها رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم». وكان أنزلها أول ما قدمت في بيت لحارثة بن النعمان؛ فكانت جارتنا؛ فكان عامة الليل والنهار عندها، حتى فرغنا لها، فجزعت، فحوّلها إلى العالية، وكان يختلف إليها هناك، فكان ذلك أشد علينا(٣).

وعن أبي جعفر عليه السلام: أنه «صلى الله عليه وآله وسلم» قد حجب مارية «وكانت ثقلت على نساء النبي «صلى الله عليه وآله وسلم»، وغرن عليها، ولا مثل عائشة»(٤).

وكان رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» يعجب بمارية، «وكانت

---

(١) الإصابة ج ٤ ص ٢٦٥، والإستيعاب هامش الإصابة ج ٤ ص ٢٥٩، وصفة الصفوة ج ٢ ص ٥٠.

(٢) الإصابة ج ٤ ص ٤٠٥، وطبقات ابن سعد ج ٨ ص ١٥٣، ولتراجع: البداية والنهاية ج ٣ ص ٣٠٣/٣٠٤ ووفاء الوفاء للسمهودي ج ٣ ص ٨٢٦.

(٣) طبقات ابن سعد ج ١ قسم ١ ص ٨٦ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٠٩.

(٤) طبقات ابن سعد ج ١ قسم ١ ص ٨٦. والإصابة ج ٤ ص ٤٠٥.

مارية بيضاء جعدة، جميلة»[١]. وكانت حسنة الدين[٢].

وتنافست الأنصار فيمن يرضع ابراهيم، وأحبوا أن يفرغوا مارية للنبي «صلى الله عليه وآله وسلم»، لما يعلمون من هواه فيها[٣].

ولعل مما زاد في غيرة عائشة قضية ولادة ابراهيم منها، حتى تجرأت على نفي شبهه برسول الله، رغم تأكيد النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» لها على ذلك[٤] وحتى كان ما كان من نزول آية التحريم، كما عن السيوطي وغيره.

٧ ـ سودة بنت زمعة:

كانت عائشة تقول: ما من الناس امرأة أحب إلي أن أكون في مسلاخها من سودة بنت زمعة، إلا أنها امرأة فيها حسد[٥].

وليراجع ما فعلته حفصة بسودة، وضحكها هي وعائشة عليها[٦].

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات ج ٢ ص ٣٥٥، وطبقات ابن سعد ج ١ قسم ١ ص ٨٦ والبداية والنهاية ج ٣ ص ٣٠٣.

(٢) ذخائر العقبى ص ٥٤ والاستيعاب هامش الإصابة ج ١ ص ٤٢، وطبقات ابن سعد ج ٨ ص ١٥٣.

(٣) طبقات ابن سعد ج ١ ص ٨٨ والدر المنثور ج ٦ ص ٢٤٠ عن ابن مردويه والبداية والنهاية ج ٣ ص ٣٠٥ وقاموس الرجال ج ١١ ص ٣٠٥ عن البلاذري. وراجع السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٠٩ ومستدرك الحاكم ج ٤ ص ٣٩ وتلخيصه للذهبي بهامشه وتاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٨٧ ط صادر.

(٤) طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٣٧، والبداية والنهاية ج ٨ ص ٧٠.

(٥) حياة الصحابة ج ٢ ص ٥٦٠ ومجمع االزوائد ج٤ ص ٣١٦.

(٦) طبقات ابن سعد ج ٨ ص ١٠٤ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٤١٥، ٤١٦ دون تصريح باسم من خدعها.

٨ ـ أسماء بنت النعمان:

كانت أجمل أهل زمانها وأشبّه. وقد حسدنها نساء النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» وخدعنها. وكانت الخديعة لها من عائشة وحفصة معاً. حتى قالت للنبي «صلى الله عليه وآله وسلم»: أعوذ بالله منك، فطلقها[١].

٩ ـ مليكة بنت كعب:

كانت تذكر بجمال بارع، فدخلت عليها عائشة، فقالت لها: أما تستحيين أن تنكحي قاتل أبيك، فاستعاذت من رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم»: فطلقها[٢].

١٠ ـ أم شريك:

وهبت نفسها للنبي «صلى الله عليه وآله وسلم»، فقبلها«صلى الله عليه وآله وسلم»، فقالت عائشة: ما في امرأة حين تهب نفسها لرجل خير. قالت أم شريك: فأنا تلك، فسماها الله مؤمنة؛ فقال: وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي، فلما نزلت هذه الآية، قالت عائشة للنبي «صلى الله عليه وآله وسلم»: إن الله ليسرع لك في هواك[٣].

١١ ـ شراف بنت خليفة:

خطب رسول الله امرأة من كلب؛ فبعث عائشة تنظر إليها، فذهبت، ثم رجعت. فقال لها رسول الله: ما رأيت؟ فقالت: ما رأيت طائلاً.

---

(١) طبقات ابن سعد ج ٨ ص ١٠٦، وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٤١٦.

(٢) طبقات ابن سعد ج ٨ ص ١١٢.

(٣) طبقات ابن سعد ج ٨ ص ١١٥.

فقال رسول الله: لقد رأيت طائلاً، لقد رأيت خالا بخدّها، اقشعرّت كل شعرة منك. فقالت: يا رسول الله، ما دونك سر[٢].

١٢ ـ حفصة بنت عمر:

بل أن عائشة كانت تغار حتى من رفيقتها حفصة، ويقال: إن قضية المغافير كانت لها معها[١].

نهاية المطاف:

هذه كانت حالة عائشة مع زوجات النبي «صلى الله عليه وآله وسلم». وأكثر هذه المشاكل كانت فيما يبدو بسبب غيرتها منهن، لجمالهن البارع، وحسنهن الرائع كما قدمنا، ولم نجد لأي من زوجات النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» معشار ما وجدناه لعائشة من المشاكل والتجاوزات. ـ اللهم إلا رواية أو روايتان مرويتان عن عائشة نفسها!!! فهذا السيل العارم منها ـ خاصة ـ دون غيرها منهن، يكشف عن أن ثمة ما يبرز منها وهو أنها تُحِسّ بالنقص في نفسها تجاههن من حيث الجمال على الأقل.

وهكذا، تسقط جميع الادعاآت والروايات التي عن عروة وغيره وعنها، والتي تدعي حظوتها ومكانتها لدى النبي صلى الله عليه وآله. أو على الأقل تصير محل شك وريب. وأما ما يقال في حديث الإفك فإنه أيضاً باطل وقد فصلنا القول في ذلك في كتاب مستقل طبع مؤخراً.

وملاحظة أخيرة نسجلها هنا، وهي: أننا نجد عائشة تكثر من أحاديث تقبيل النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» ومباشرته لها، وهي

---

(١) راجع: حياة الصحابة ج ٢ ص ٧٦٢ عن البخاري ومسلم وعن تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٣٨٧ وعن جمع الفوائد ج ١ ص ٢٢٩ وعن طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٨٥.

حائض واغتسالها وإياه من إناء واحد، وغير ذلك من الأحاديث التي تتخذ طابع الجنس، والاغراء، واللذة. ولا نجد من ذلك الشيء الكثير عند غيرها من نسائه «صلى الله عليه وآله وسلم»، ولعل ذلك يرجع إلى أنه لم يكن ثمة ما يربطها برسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» بصورة قوية، حيث لم يكن لها ولد منه «صلى الله عليه وآله وسلم» وليس لديها من المستوى الفكري والثقافي والعملي ما يصلح أن يكون نقطة اشتراك ويجعل لها به ارتباطاً خاصاً ووثيقاً وليست اهتماماتها من جنس اهتماماته «صلى الله عليه وآله وسلم» ولا تطلعاتها تلتقي مع تطلعاته «صلى الله عليه وآله وسلم».

وماذا بعد:

هذا وأننا لا نجد مبرراً لتحمل النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» من عائشة جرأتها. وتجاوزاتها المتكررة وإيذائها له في أخيه علي، وفي زوجاته، إلا أنه لم يكن يستطيع أن يتخذ القرار النهائي بالنسبة إليها، لأن السياسة كانت تقضي عليه بتحمل كل هذه المشاق. ويدلنا على أن النبي كان يتعامل مع زوجاته من موقعه السياسي الحرج، لا من جو بيت الزوجية. قول عمر لحفصة ـ عندما تظاهرت على النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» مع عائشة، واعتزلهن: «والله، لقد علمت أن رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» لا يحبكِ، ولولا أنا لطلقك رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم»»[1].

هذا، ولم يكن ثمة من يستطيع الجهر بالحقيقة، وإظهار الواقع. لأن الجهاز الحاكم كله كان يمسك بركاب عائشة، ويعلي قدرها، ويرفع من شأنها؛ لأنه كان يستفيد منها أعظم الفوائد، وأسناها. وكان ثمة خطة

---

(١) صحيح مسلم ج ٤ ص ١٨٩. ولسوف يأتي مزيد توضيح لذلك في البحث عن سبب تكثر زوجاته قبل واقعة احد في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

مرسومة لإظهار عظيم منزلتها، وإغداق الأوسمة عليها، بثمن، أو بغير ثمن!!

وكانت هي تستغل موقعها كزوجة للنبي «صلى الله عليه وآله وسلم»، وكأم للمؤمنين إلى أقصى الدرجات، كما أنها كانت تستفيد من حاجة الهيئة الحاكمة إليها، وكل ذلك يفسر لنا السر في أنها كانت توحي للناس بأنها أقرب زوجات النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» إليه، وآثرهن لديه؛ لجمالها، ولكونه «صلى الله عليه وآله وسلم» قد تزوجها بكراً حسب دعواها. وكأن النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» كان يهتم للبكارة وللجمال (مع نقاش لنا في ذلك).

ولا ندري ما هو السر في تواضع أم المؤمنين إلى هذا الحد حتى إنها لم تر في نفسها المؤهلات لأن تعتز بالدين، وبالمعاني الإنسانية النبيلة أو لعلها كانت ترىٰ أن النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» لا ينطلق في حبه وبغضه من الدين والأخلاق، وإنما من الشهوة، فصورته للمسلمين على أنه رجل شهواني لا أكثر.

دخول الاسلام إلى المدينة:

وثمة خلاف بين المؤرخين في من؟ ومتى؟ وكيفية إسلام أول دفعة من أهل المدينة. ولكننا نستطيع أن نؤكد على أن الإسلام قد دخل المدينة على مراحل. فأسلم أولاً: أسعد بن زرارة. وذكوان بن عبد القيس، حينما كان المسلمون محصورين في الشعب. ثم أسلم خمسة، أو ثمانية، أو ستة نفر بعد ذلك، ثم كانت بيعة العقبة الأولى، ثم كانت بيعة العقبة الثانية، وهذا هو ما يظهر من مغلطاي[1] وغيره.

ولذلك فهم يقولون: إن أسعد بن زرارة، وذكوان بن عبد القيس

---

(١) راجع سيرة مغلطاي ص ٢٩.

الخزرجيين قدما مكة في أحد المواسم، حينما كانت قريش تحاصر الهاشميين في الشعب (شعب أبي طالب)، بهدف طلب الحلف من عتبة بن ربيعة على الأوس. فرفض عتبة ذلك، وقال: بعدت دارنا عن داركم، ولنا شغل لا نتفرغ لشيء. فسأله عن هذا الشغل؛ فأخبره بخروج النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» فيهم، وأنه أفسد شبابهم، وفرق جماعتهم ثم حذره من الاتصال به، فإنه ساحر يسحره بكلامه. وأمره إذا أراد الطواف أن يضع القطن في أذنيه، حتى لا يسمع ما يقوله النبي صلى الله عليه وآله، الذي كان آنئذٍ يجلس في الحِجْر مع طائفة من بني هاشم. وكانوا قد خرجوا من شعبهم ليشهدوا الموسم.

وجاء أسعد للطواف، ورأى النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» جالساً في الحِجْر، فقال في نفسه: ما أجد أجهل مني. أن يكون هذا الحديث في مكة فلا أتعرّفه، حتى أرجع إلى قومي فأخبرهم؟، ثم آخذ القطن من أذنيه فرمى به، وجاء إلى النبي «صلى الله عليه وآله وسلم»، فسلم عليه، وكلمه؛ فعرض عليه «صلى الله عليه وآله وسلم» ما جاء به فأسلم، واسلم بعده ذكوان.

وفي رواية: أنه لما التقى النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» بأسعد بن زرارة وذكوان، قال أسعد للنبي «صلى الله عليه وآله وسلم»: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، أنا من أهل يثرب، من الخزرج، وبيننا وبين أخوتنا من الأوس حبال مقطوعة، فإن وصلها الله بك، ولا أجد أعز منك، ومعي رجل من قومي، فإن دخل في هذا الأمر رجوت أن يتمم الله لنا أمرنا فيك. والله يا رسول الله، لقد كنا نسمع من اليهود خبرك، ويبشروننا بمخرجك، ويخبروننا بصفتك، وأرجو أن يكون دارنا دار هجرتك عندنا، فقد اعلمنا اليهود ذلك؛ فالحمد لله الذي ساقني إليك، والله ما جئت إلا لنطلب الحلف على قومنا، وقد آتانا الله بأفضل مما أتيت له.

ثم اقبل ذكوان، فقال له أسعد: هذا رسول الله الذي كانت اليهود

تبشرنا به، وتخبرنا بصفته؛ فهلم فأسلم؛ فأسلم ذكوان الخ[١].

ثم في سنة إحدى عشرة من النبوة خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الموسم، يعرض على القبائل دعوته، ويطلب منهم نصرته؛ فالتقى على العقبة برهط من الخزرج؛ فدعاهم إلى الله والإسلام، وقرأ عليهم القرآن فآمنوا به، وكانوا ستة نفر، وهم: اسعد بن زرارة، وجابر بن عبدالله بن رئاب، وعوف بن الحارث ورافع بن مالك، وعقبة وقطبة ابنا عامر. وقيل: ثمانية نفر وقيل غير ذلك (وثمة اختلاف في أسمائهم، وذكر أشخاص آخرون مكان بعض من قدمنا أسماءهم، ولا مجال لتحقيق ذلك).

ورجع أولئك النفر إلى قومهم في المدينة، فذكروا لهم رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم»، ودعوهم إلى الإسلام. ثم كانت بيعة العقبة الأولى في سنة اثنتي عشرة من البعثة أي قبل الهجرة بسنة[٢].

ولعل أسعد بن زرارة كان قد كتم إسلامه هو وذكوان، حتى كان لقاء هؤلاء الستة أو الثمانية معه «صلى الله عليه وآله وسلم» قبل الهجرة بسنة فأعلنوا ذلك

ونحن قبل أن نمضي في الحديث نشير إلى ما يلي:

١ ـ اخبارات أهل الكتاب:

يفهم مما تقدم: إن أهل المدينة كانوا يسمعون من اليهود خبر ظهور النبي عن قريب، وأن ذلك قد جعلهم مهيئين نفسياً لقبول الدين الذي جاء به هذا النبي «صلى الله عليه وآله وسلم».

---

(١) البحار ج ١٩ ص ٩ واعلام الورى ص ٥٧ عن علي بن ابراهيم.
(٢) البحار ج ١٩ ص ٩ واعلام الورى ص ٥٧ عن علي بن ابراهيم.

٢ ـ المشاكل بين الأوس والخزرج:

لقد كان ثمة حروب هائلة بين الأوس والخزرج، كانت آخرها وقعة بعاث التي انتصرت فيها قبيلة الأوس، حينما كان الهاشميون والنبي «صلى الله عليه وآله وسلم» محصورين في شعب أبي طالب. وكانت الحالة بين القبيلتين صعبة للغاية، حتى ليذكرون: أنهم ما كانوا يضعون السلاح لا في الليل ولا في النهار(١) مما يعني أنهم يعانون من أقسى الحالات التي يمكن أن يواجهها من يملك إمكانات معيشية محدودة مثلهم.

وحتى لقد كان واضحاً: أنهم كانوا يتطلعون بشوق إلى الخروج من هذه الحالة المأساة. ويأملون في وصل الحبال المقطوعة فيما بينهم، كما عبر عنه أسعد بن زرارة، الذي كان يعمل من أجل عقد حلف مع عتبة بن ربيعة ضد الأوس.

فأهل المدينة إذن قد ذاقوا مرارة الانحراف والظلم. وهم يريدون المنقذ الحقيقي لهم. وقد وجدوه في نبي الإسلام الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، الذي جاءهم بتعاليم الشريعة السهلة السمحاء. ولذلك فقد قالوا لرسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم»: «نرجع إلى قومنا، ونخبرهم بالذي كلمتنا به، فما أرغبنا فيك. إنا قد تركنا قومنا على خلاف فيما بينهم، لا نعلم حياً من العرب بينهم من العداوة ما بينهم. وسنرجع إليهم بالذي سمعنا منك، لعل الله يقبل بقلوبهم، ويصلح بك ذات بينهم، ويؤلف بين قلوبهم»(٢).

٣ ـ تعاليم الشريعة السمحاء:

إن تعاليم الإسلام لهي التعاليم الموافقة للفطرة السليمة، وبلا تعقيد

---

(١) البحار ج ١٩ ص ٨ و ٩ و ١٠ واعلام الورى ص ٥٥.

(٢) الثقات لابن حبان ج ١ ص ٩٠/٩١.

أو إبهام فيها، فهي بسيطة وسهلة، لا يحتاج إدراك حقانيتها إلى تفكير عميق، أو إجهاد في فهم مراميها، والتكهن بنتائجها.

ولذلك نجد أهل المدينة يدركون بسرعة قدرة هذه الدعوة على حل مشاكلهم، فيسارعون إلى قبولها، بمجرد سماعهم لأهدافها، ومبادئها. ومن الواضح: أن أهل المدينة كانوا لا يعانون من ظروف أهل مكة، الذين يحاربون الإسلام؛ لأنهم رأوا فيه خطراً على مصالحهم الشخصية، وامتيازاتهم الظالمة التي فرضوها لأنفسهم، وأهوائهم وانحرافاتهم، كما أوضحناه في غير موضع.

إن أهل المدينة بالإضافة إلى إخبارات اليهود لهم، قد رأوا منذ اللحظات الأولى في الإسلام وتعاليمه المنقذ لهم، والمخرج من الظلمات إلى النور، ومن الموت إلى الحياة، ورأوا فيه الموافقة للفطرة والعقل السليم. سواء على صعيد العقائد أو التشريع، أو على صعيد اتخاذ القرار الاجتماعي والسياسي، فقد سألوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم عما يدعو إليه، فقال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، وأدعوكم الى:

«أن لا تشركوا به شيئاً، وبالوالدين إحساناً، ولا تقتلوا أولادكم من املاق، نحن نرزقكم وإياهم، ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون، ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن، حتى يبلغ أشده، وأوفوا الكيل والميزان بالقسط، لا نكلف نفساً إلا وسعها، وإذا قلتم فاعدلوا، ولو كان ذا قربى، وبعهد الله أوفوا، ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون»[١].

ولأجل ذلك اعتقدوا بهذه الدعوة، وحاربوا قريشاً والعرب من أجلها

---

(١) الانعام/١٥١ ـ ١٥٢.

وفي سبيلها.

٤ ـ المدنيون والمكيون:

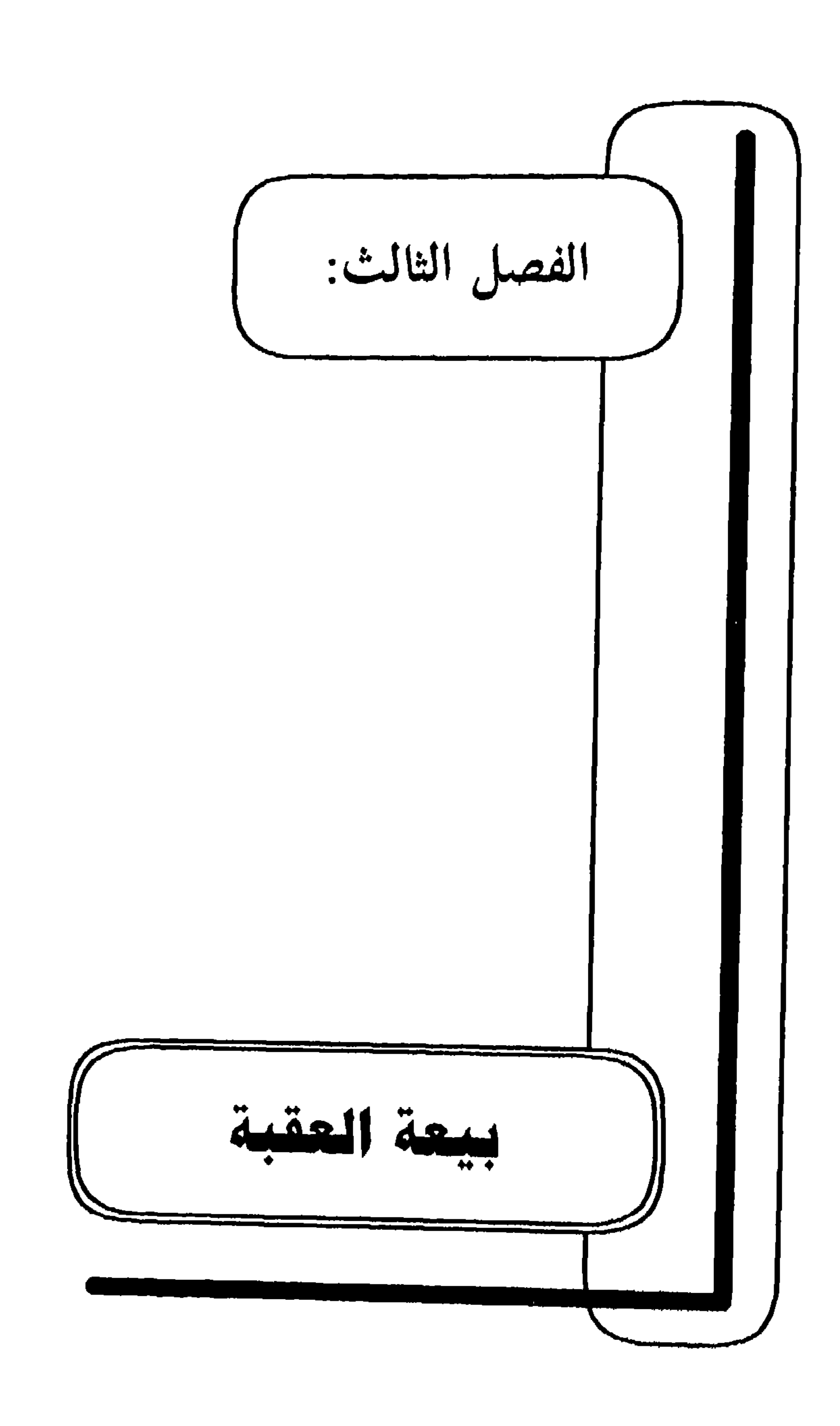
إن الوثنية التي كان أهل المدينة يدينون بها لم تستطع أن تحل مشاكلهم الداخلية، على اختلافها، ولا حتى أن تخفف من حدتها. كما أنها لم تكن تجلب لهم امتيازات اجتماعية، ولا اقتصادية ولا غيرها. ولذلك فقد ضعفت ووهنت، وزاد في ضعفها ووهنها مخالفتها للفطرة السليمة، والعقل القويم. ثم جاءت اخبارات اليهود لهم بقرب ظهور نبي يخبر عن الله لتزيد من ذلك الضعف والوهن إلى حد بعيد.

وهذا تماماً على عكس الحال في مشركي مكة؛ فإنهم كانوا يستفيدون من وثنيتهم اجتماعياً واقتصادياً. وجعلوا من أنفسهم محوراً تلتقي عليه سائر الفئات والقبائل في المنطقة، وكرّسوا لأنفسهم الكثير من الامتيازات الظالمة. ـ ولم يكونوا على استعداد للتخلي عن هذه الامتيازات من أجل خدمة الحق والإنسان، بل كانوا يضحون بالإنسان والحق في سبيل امتيازاتهم، وانحرافاتهم، ومصالحهم تلك.

هذا، ولا بد من ملاحظة ما قدمناه حين الكلام على العوامل التي ساعدت على انتصار الإسلام وانتشاره، لنجد: أن شخصية الرسول العظيمة، وأخلاقه الكريمة، وكونه من أرفع بيت في قريش والعرب ـ ويضيف البعض: رابطة القربى، التي كانت تربطه ببني النجار الخزرجيين، عن طريق آمنة بنت وهب[1] كل ذلك وسواه مما تقدم قد أسهم في إقبال أهل المدينة على الإسلام، وتقبل دعوته، والتضحية في سبيله.

---

(١) ولكنه تعليل لاشاهد له، مادام ان مجرد وجود رابطة كذلك لا توجب ما ذكر.



الفصل الثالث:

بيعة العقبة

بيعة العقبة الأولى:

يقول المؤرخون: إنه حنيما عاد أولئك النفر المدنيون الذين أسلمواالى المدينة ذكروا لأهلها رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم»، ودعوهم الى الإسلام، حتى فشا فيهم، فلم يبق دار من دور الإنصار، إلا وفيها ذكر من رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم».

حتى إذا كان العام المقبل أي في السنة الثانية عشرة من البعثة، وافى الموسم اثنا عشر رجلا اثنان منهم اوسيان، والباقون من الخزرج، فالتقوا مع الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» في العقبة، وبايعوه على بيعة النساء، أي البيعة التي لا تشتمل على حرب، أي: «على أن لا يشركوا بالله شيئاً، ولا يسرقون، ولا يزنون، ولا يقتلون أولادهم، ولا يأتون ببهتان يفترونه من بين أيديهم وأرجلهم، ولا يعصونه في معروف، فان وفوا فلهم الجنة وان غشوا من ذلك شيئاً فأمرهم الى الله عز وجل، ان شاء عذب، وان شاء غفر».

ولما رجعوا الى المدينة أرسل النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» معهم مصعب بن عمير ليقرئهم القرآن، ويعلمهم الإسلام، ويفقههم في

الدين، فكان يسمى المقري. وألحقه بـا بن أم مكتوم[١] كمـا قيل. وأقـام مصعب أول صلاة جمعة في المدينة!!.

وقد نجح مصعب، ومن معه ممن أسلم في الدعـوة الى الله تعالى، واسلم سعد بن معاذ، الذي كان السبب في إسلام قومه بني عمير بن عبـد الاشهل، حيث إنه حين اسلم على يد مصعب رجع الى قومه، فلمـا وقف عليهم قال: يا بني عبد الأشهل، كيف تعرفون أمري فيكم؟

قالوا: سيدنا وافضلنا رأياً، وايمننا نفساً وأمراً.

قـال: فـان كـلام رجـالكم ونسـائكم علي حـرام حتى تؤمنـوا بـالله ورسوله.

قال: فوالله، ما أمسى في دار قبيلة بني عبد الاشهل رجل ولا إمـرأة إلا مسلمـاً، او مسلمة[٢]، فـأسلموا كلهم في يـوم واحـد، (إلا عمـرو بن ثابت، فانه تأخر اسلامه الى أحد، فـأسلم، ثم استشهد قبـل أن يسجد لله سجدة واحدة، كما قيل).

وأقام مصعب بن عمير يدعو الناس الى الاسلام، حتى أسلم الرجال والنسـاء، من الانصار بـاستثناء جمـاعة من الاوس، اتبعـوا في ذلك أحـد زعمائهم، الذي تأخر اسلامه الى ما بعد هجرة الرسول الاعظم «صلى الله

---

(١) السيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ١٥١ و١٥٢ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٩ وفيه أن الواقدي ذكر ان ابن أم مكتوم إنما قدم المدينة بعد بدر بقليل، وفي كلام ابن قتيبة أنه قدم المدينة مهاجراً بعد بدر بسنتين. ثم جمع الحلبي بين الاقوال باحتمال: أن يكون قد علم أهل المدينة ثم عاد إلى مكة، ثم عاد فهاجر بعد بدر.. وهو احتمال وجيه لاباس به.

(٢) راجع ماتقدم: في سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٧٩ - ٨٠ و السيرة الحلبية ج ٢ ح ص ١٤ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٩٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ١٨٤.

عليه وآله وسلم»[١].

ولنا هنا وقفات، فلنقف أولاً مع:

دعوة سعد بن معاذ قومه:

إن الدعوة الى الله ليست مختصة بالانبياء والاوصياء بل هي شاملة لكل مكلف بحسب ما يملك من طاقات وقدرات. وهي من الامور التي يلزم بها العقل الفطري السليم، ويوجبها على كل إنسان، ولا تحتاج الى جعل شرعي؛ فإن العقل يدرك أن في ارتكاب المنكرات، وترك الواجبات، والإنحراف في الفكر والعقيدة والسلكوك ضرراً جسيماً على المجتمعات وعلى الأجيال ولذلك فهو يحكم بلزوم الدعوة الى الإلتزام بالخط الفكري الصحيح، وترك المنكر، وفعل المعروف.

وهذا هو ـ بالذات ـ ما يفسر لنا اندفاع سعد بن معاذ في الدعوة الى الله تعالى، حتى انه على استعداد لقطع كل علاقة مع قومه إذا كانوا ضالين منحرفين.

وان عظمة هذا الموقف لتتضح أكثر إذا عرفنا مدى ارتباط سعادة ومصير الانسان العربي في تلك الفترة بقبيلته ومدى ارتباطه بها فهو حين يضحي بعلاقاته القبلية، فإنه يكون قد ضحى بأمر عظيم وأساسي في حياته وفي مصيره، ومستقبله، في سبيل دينه.

وقد جاء القرآن مؤيداً لحكم العقل والفطرة هذا؛ ففرض على كل من كان له بصيرة في امر الدين ان يدعو الى الله قال تعالى: **﴿قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني﴾**[٢].

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ١٨٤ وراجع تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٩٠ و السيرة لابن هشام ج ٢ ص ٧٩ ـ ٨٠ و السيرة الحلبية ج ٢ ح ص ١٤.

(٢) يوسف/١٠٨.

كما أننا لا بد أن نشير أيضاً: إلى أن من عرف الحق، وذاق حلاوة الايمان، فإنه لا يملك نفسه من الاندفاع في محاولة لجلب الآخرين نحو هذا الحق، وجعلهم يؤمنون به، ويستفيدون منه، ويلتذون به ويشعرون بحلاوته.

ولذلك نجد الامام على بن الحسين «عليه السلام»، الذي كان يخشى على شيعته، الذين هم الصفوة في الامة الاسلامية، والذين كانوا يتعرضون لمختلف أنواع الاضطهاد، والبلايا في الدولة الاموية، وبعدها في الدولة العباسية كان يظهر تذمره من عدم مراعاة الشيعة للظروف والمناسبات، وهو يرى حدة اندفاعهم نحو إظهار أمرهم، بسبب شعورهم بحلاوة الإيمان، وضرورة ابلاغ كلمة الحق، قال الإمام السجاد «عليه السلام»: «وددت اني افتديت خصلتين في الشيعة ببعض لحم ساعديّ: النزق وقلة الكتمان»[1]

أضف الى ذلك: أن التراحم فيما بين المؤمنين، والشدة على الكافرين يصبح امراً طبيعياً، كما قال تعالى: **﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾**.

البيعة:

ونجد: أن نص البيعة قد تضمن الخطوط العريضة، وأهم المبادىء التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي، وهي تتضمن جانباً عقائدياً، وآخر عملياً. وقد حملهم «صلى الله عليه وآله وسلم» مسؤوليات معينة في علاقاتهم مع بعضهم بعضاً. وجعل التزامهم هذا قائماً على اعطاء تعهد من قبلهم، يرون مخالفته تتنافى مع شرف الكلمة وقدسيتها؛ وذلك تحت

---

(١) سفينة البحار ج ١ ص ٧٣٣ والبحار ج ٧٥ ص ٦٩ و٧٢ عن الخصال ج ١ ص ٢٤ والكافي ج ٢ ص ٢٢١.

عنوان: «البيعة» التي تعني اعطاء كلمة الشرف بالالتزام بتلك المبادىء.

ولكنه لم يقرر عقاباً عنيفاً لمن ينقض هذا العهد، ويتجاوز ويغش فيه؛ فإن الوقت حينئذ لم يكن مناسباً لقرار كهذا. بل اوكل ذلك الى الوجدان والضمير الشخصي لكل منهم، مع ربطه بالمبدأ العقيدي. ومع إعطاء الفرصة له للعودة لاصلاح الخطأ إن كان؛ حيث أبقى الامل حياً لدى ذلك الذي يمكن أن يغش، وأوكل امره الى الله، إن شاء عذب، وإن شاء غفر.

صلاة الجمعة:

وقد تقدم في الحديث: أن مصعب بن عمير قد جمع بالمسلمين في المدينة قبل الهجرة[1]. وربما يشكل على ذلك: بأن سورة الجمعة قد نزلت بعد هجرته «صلى الله عليه وآله وسلم» إلى المدينة؛ فكيف صلى مصعب الجمعة قبل تشريعها.

والجواب: أننا لو سلمنا أن المراد بجمع، صلى الجمعة. إذ من المحتمل: أن يكون المراد صلى جماعة ـ لو سلمنا ذلك ـ فإن قوله تعالى في سورة الجمعة: **﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله﴾**[2]. ليس المقصود به تشريع إقامة الجمعة، وإنما هو يوجب السعي الى الجمعة التي تقام، فلعل وجوب إقامتها كان قبل ذلك قد جاء على لسانه «صلى الله عليه وآله وسلم» في مكة، ولكن لم يكن يمكن إقامتها، أو كان يقيمها سراً ولم يصل ذلك إلينا.

ويؤيد ذلك قوله تعالى: **﴿وإذا رأوا تجارة أولهواً انفضوا إليها**

---

(١) وراجع: السيرة الحلبية ج ٢ ص٩ والتعليق المغني (مطبوع بهامش سنن الدار قطني) ج ٢ ص ٥ عن الطبراني في الكبير والأوسط.

(٢) الجمعة/٩.

وتركوك قائماً، قل: ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة﴾ (١)؛ فإن ذلك يشير الى ان الجمعة كانت قد شُرِّعت قبل ذلك. وأن هذا كان سلوكهم معه «صلى الله عليه وآله وسلم».

ويؤيد ذلك: ما أخرجه الدارقطني، عن ابن عباس، قال: أذن النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» الجمعة قبل أن يهاجر، ولم يستطع ان يجمع بمكة؛ فكتب الى مصعب بن عمير: أما بعد، فانظر اليوم الذي تجهر فيه اليهود بالزبور، فاجمعوا نساءكم وابناءكم، فإذا مال النهار عن شطره عند الزوال من يوم الجمعة، فتقربوا الى الله بركعتين. قال: فهو أول من جمع، حتى قدم النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» المدينة، فجمع بعد الزوال من الظهر، وأظهر ذلك(٢).

وثمة روايات تفيد: أن أول من جمع بهم هو أسعد بن زرارة(٣) وسيأتي بعض الكلام أيضاً حول صلاة الجمعة في آخر هذا الجزء إن شاء الله تعالى.

بيعة العقبة الثانية:

وعادمصب بن عمير من المدينة الى مكة، فعرض على النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» نتائج عمله؛ فسر بذلك نبي الاسلام سروراً

---

(١) الجمعة/١١.

(٢) الدر المنثور ج ٦ ص ٢١٨ عن الدار قطني. والسيرة الحلبية: ج ٢ ص ١٢.

(٣) الدر المنثور ج ٦ ص ٢١٨ عن أبي داود، وابن ماجة وابن حبان، والبيهقي، وعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر ووفاء الوفاء ج ١ ص ٢٢٦. والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٥٩ وص ٩ وسنن الدار قطني ج ٢ ص ٦/٥ وفي التعليق المغني على الدار قطني (مطبوع بهامش السنن) ص ٥ قال: الحديث اخرجه ابو داود، وابن ماجة وابن حبان والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم والبيهقي في سننه.

عظيماً[١].

وفي موسم حج السنة الثالثة عشرة من البعثة أتى من أهل المدينة جماعة كبيرة بقصد الحج، ربما تقدر عدتهم بخمس مئة[٢]، فيهم المشركون، وفيهم المسلمون المستخفون من حجاج المشركين من قومهم، تقية منهم.

والتقى بعض مسلميهم بالرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» ووعدهم اللقاء في العقبة في أواسط أيام التشريق ليلاً، إذا هدأت الرجل. وأمرهم ان لا ينبهوا نائماً، ولا ينتظروا غايباً.

ويلاحظ هنا: ما لهذا التوقيت من أهمية، فلو انكشف أمرهم، فسيكون ذلك بعد تمام حجهم، ومفارقتهم للبلد، ولا يبقى من ثم مجال للضغط عليهم بشكل فعال

ويلاحظ كذلك: أمره «صلى الله عليه وآله وسلم» لهم بأن لا ينبهوا نائماً، ولا ينتظروا غائباً. وذلك كي لا ينكشف امرهم إذا لاحظ غيرهم عدم طبيعية تصرفاتهم.

وفي تلك الليلة بالذات ناموا مع قومهم في رحالهم، حتى إذا مضى ثلث الليل بدؤايتسللون إلى مكان الموعد، واحداً بعد الآخر، ولا يشعر بهم أحد حتى اجتمعوا في الشعب عند العقبة، وهم سبعون او ثلاثة وسبعون رجلاً، وامرأتان.

والتقوا بالرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» هناك في الدار التي كان «صلى الله عليه وآله وسلم» نازلاً فيها، وهي دار عبد المطلب، وكان

---

(١) وفي البحار ج ١٩ ص ١٢: أن مصعباً قد كتب إلى النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» بذلك وكذا في اعلام الورى ص ٥٩.

(٢) طبقات ابن سعد ج ١ قسم ١ ص ١٤٩.

معه حمزة وعلي، والعباس[١].

وبايعوه على أن يمنعوه وأهله مما يمنعون منه أنفسهم، وأهليهم وأولادهم، وأن يؤووهم، وينصروهم، وعلى السمع والطاعة في النشاط والكسل، والنفقة في العسر واليسر، وعلى الامر بالمعروف، والنهي عن المنكر وان يقولوا في الله، ولا يخافوا لومة لائم، وتدين لهم العجم، ويكونون ملوكاً.

وعند آخرين ـ والنص لمالك ـ، عن عبادة بن الصامت: «بايعنا رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» على السمع والطاعة، في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وأن لا ننازع الأمر أهله وأن نقول(او نقوم) بالحق حيثما كنا، لانخاف في الله لومة لائم [٢]» قال السيوطي: «يريد الملك والإمارة[٣]».

وقد أدرك العباس بن نضلة خطورة الموقف، ولا سيما من قوله «صلى الله عليه وآله وسلم»: «وتدين لكم العجم، وتكونون ملوكاً»، وأنهم مقدمون على مواجهة ومقاومة، ليس فقط مشركي مكة او الجزيرة العربية، وإنما العالم بأسره. فأحب ان يستوثق من الامر، ويفتح عيون المبايعين ليكونوا على بصيرة من أمرهم، حتى لا يقولوا في يوم ما: لو كنا

---

(١) اعلام الورى ص٥٩، وتفسير القمي ج ١ ص٢٧٣، والبحار ج ١٩ ص١٢ ـ ١٣ و٤٧ عنها، وعن قصص الانبياء، وراجع: السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٦، والسيرة النبوية لدحلان ج ١ ص١٥٢.

(٢) الموطأ المطبوع مع تنوير الحوالك ج ٢ ص ٤ وراجع سير اعلام النبلاء ج ٢ ص ٧ ومسند احمد ج ٥ ص ٣١٤ و ٣١٦ وسنن النسائي ج ٧ ص ١٣٨ ـ ١٣٩ وصحيح البخاري ج ٤ ص ١٥٦ والبداية والنهاية ج ٣ ص ١٦٤ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٩٧ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٢ ص ٤٥٢ ط دار الكتب العلمية والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٢٠٤ وصحيح مسلم ج ٦ ص ١٦ و ١٧

(٣) تنوير الحوالك: ج ٢ ص ٤.

نعلم ان الامر ينتهي الى هذا لم نقدم.

فقال لهم: يا معشر الاوس والخزرج، تعلمون على ما تقدمون عليه؟ إنما تقدمون على حرب الاحمر والابيض، وعلى حرب ملوك الدنيا؛ فان علمتم انه إذا أصابتكم المصيبة في انفسكم خذلتموه وتركتموه، فلا تغروه فان رسول الله، وان كان قومه خالفوه، فهو في عز ومنعة.

فقال عبد الله بن حزام، والد جابر، وأسعد بن زرارة، وأبو الهيثم بن التيهان: مالك وللكلام؟! يا رسول الله، بل دمنا بدمك، وأنفسنا بنفسك، فاشترط لنفسك، ولربك ما شئت[1].

ويذكر أيضاً: أن أسعد بن زرارة قد قال في بيعة العقبة: يا رسول الله، إن لكل دعوة سبيلاً، إن لين، وإن شدة، وقد دعوت اليوم الى دعوة متجهمة للناس، متوعرة عليهم:

دعوتنا الى ترك ديننا وإتباعك على دينك، وتلك رتبة صعبة، فأجبناك الى ذلك.

ودعوتنا الى قطع ما بيننا وبينه الناس من الجوار والارحام، القريب والبعيد، وتلك رتبة صعبة؛ فأجبناك الى ذلك.

ودعوتنا، ونحن جماعة في دار عز ومنعة، لا يطمع فيها أحد: ان يرأس علينا رجل من غيرنا، افرده قومه، وأسلمه أعمامه، وتلك رتبة صعبة، فأجبناك الى ذلك الخ[2].

---

(١) راجع ما تقدم في البحار ج ١٩ ص ١٢/١٣ عن اعلام الورى، وراجع: دلائل النبوة للبيهقي ج ٢ ص ٤٥٠ ط دار الكتب العلمية وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣١٨ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٨٨ والبداية والنهاية ج ٣ ص ١٦٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٢٠١ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٧.

(٢) حياة الصحابة: ج ١ ص ٨٨ ودلائل النبوة لأبي نعيم: ص ١٠٥.

ويذكر المؤرخون هنا أيضاً: أن العباس بن عبد المطلب قد حضر بيعة العقبة وأنه أراد ان يستوثق لابن أخيه فبدأ هو الكلام، فقال: يا معشر الخزرج، إن محمداً منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا، ممن هو على مثل رأينا، فهو في عز من قومه، ومنعة في بلده، وقد أبى إلا الانحياز اليكم، واللحوق بكم، فان كنتم ترون انكم وافون بما دعوتموه إليه، ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به اليكم فمن الآن تدعوه فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده.

وفي رواية، أنه قال لهم: قد أبى محمد الناس كلهم غيركم، فان كنتم أهل قوة وجلد، وبصر في الحرب، واستقلال بعدواة العرب قاطبة، ترميكم عن قوس واحدة فروا رأيكم. وائتمروا بينكم الخ..

وبعد أن استمع الى اجابتهم، طلب «صلى الله عليه وآله وسلم» منهم: أن يخرجوا له اثني عشر نقيباً، أي كفيلا يكفل قومه، فأخرجوا له تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس؛ فكانوا نقباء وكفلاء قومهم.

وعرفت قريش بالاجتماع؛ فهاجت، وأقبلوابالسلاح.

وسمع الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» النداء؛ فأمر الانصار بالتفرق، فقالوا: يا رسول الله، إن أمرتنا ان نميل عليهم بأسيافنا. فعلنا. فقال: لم أؤمر بذلك، ولم يأذن الله لي في محاربتهم، فقالوا: يا رسول الله، فتخرج معنا؟ قال: أنتظر أمر الله ...

فجاءت قريش على بكرة ابيها، قد حملوا السلاح. وخرج حمزة، ومعه السيف، هو وعلي بن ابي طالب«عليه السلام». فلما نظروا الى حمزة قالوا: ما هذا الذي اجتمعتم له؟.

فعمل حمزة بالتقية من أجل الحفاظ على النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» والمسلمين والاسلام، فقال: ما اجتمعنا، وما ها هنا أحد، والله لا

يجوز أحد هذه العقبة إلا ضربته بسيفي.

فرجعوا، وغدوا الى عبدالله بن أبي، فقالوا له: قد بلغنا أن قومك بايعوا محمداً على حربنا. والله، ما من حي أبغض من أن ينشب الحرب بيننا وبينه منكم. فحلف لهم عبدالله: أنهم لم يفعلوا، ولا علم له بذلك، وانهم لم يطلعوه على أمرهم؛ وتفرقت الانصار، ورجع رسول الله الى مكة.

ولكن قريشاً قد تأكدت بعد ذلك من صحة الخبر؛ فخرجت في طلب الأنصار؛ فأدركوا سعد بن عبادة، والمنذر بن عمير. فأما المنذر فأعجزهم. وأما سعد فأخذوه، وعذبوه. فبلغ خبره جبير بن مطعم، والحارث بن حرب بن أمية، فأتياه وخلصاه؛ لأنه كان يجير لهما تجارتهما، ويمنع الناس من التعدي عليها[1].

ولنا قبل المضي في الحديث ها هنا وقفات. فنشير اولاً الى:

دور العباس في بيعة العقبة:

تذكر بعض الروايات: أن العباس كان في بيعة العقبة مع النبي، ولم يكن أحد غيره معه. ويقولون: إنه وإن كان حينئذ مشركاً، ألا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه، ويتوثق له. وقد قدمنا ما ينسب اليه من قول في هذه المناسبة.

---

(١) راجع في ما تقدم أي كتاب تاريخي أو حديثي شئت مثل: البحار ج ١٩ ص ١٢/١٣ واعلام الورى ص ٥٧ وتفسير القمي ج ١ ص ٢٧٢/٢٧٣ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣١٨/٣١٩ ودلائل النبوة للبيهقي ط دار الكتب العلمية ج ٢ ص ٤٥٠ والبداية والنهاية ج ٣ ص ١٥٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ١٩٣/ ٢١٠ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٧ وما قبلها وما بعدها والسيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٨٨ وقبلها وبعدها. وغير ذلك كثير.

ولكننا نشك في صحة ذلك.

فأولاً: إن في الكلام المنسوب الى العباس تخذيلاً واضحاً عن النبي «صلى الله عليه وآله وسلم»، وليس توثيقاً لأمره كما يقولون، ولا سيما قوله: «واستقلال بعداوة العرب قاطبة، ترميكم عن قوس واحدة الخ»..

إلا أن يقال: إن هذا الكلام من العباس، إنما هو لبيان الحقيقة، ليكون الأنصار على بصيرة من أمرهم، حتى لا يكون منهم أي تعلل في المستقبل.

وثانياً: إن في كلامه ما يخالف الحقيقة، ولا سيما قوله: «قد أبى محمد الناس كلهم غيركم»؛ فإن معناه: أن الناس كلهم غير الانصار قد وافقوا النبي «صلى الله عليه وآله وسلم»، وقبلوا مناصرته، ولكنه هو رفضهم. مع أن الامر على عكس ذلك تماماً، باستثناء قبيلة شيبان بن ثعلبة التي رضيت بحمايته مما يلي مياه العرب، دون ما يلي مياه كسرى[1] وقبيلة شيبان ليست هي «الناس كلهم».

واحتمال إرادة خصوص عشيرته لا يتلاءم مع التعبير بـ «الناس كلهم». واحتمال أن تكون العبارة: «أبى محمداً الناس» ليس له ما يؤيده، لأن النص الموجود بين أيدينا خلافه.

وثالثاً: إن موضوع الهجرة الى المدينة لم يكن قد طرح بعد، ولم يكن النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» قد أري دار هجرتهم ولا أخبرهم برؤياه تلك، فمن أين علم العباس أن النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» سوف يهاجر الى المدينة؟ فهل نزل عليه الوحي في ذلك؟! لست أدري!! ولكننا نقرا في كلامه قوله: «وقد أبى إلا الانحياز لكم، واللحوق بكم.

---

(١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٥ و ١٦ وراجع السيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ١٦٨.

الى أن قال: وإن كنتم ترون انكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به اليكم فمن الآن تدعوه الخ.».

إلا ان يكونوا قد طلبوا منه «صلى الله عليه وآله وسلم» أن يخرج اليهم، فظهر منه «صلى الله عليه وآله وسلم» الميل الى إجابة طلبهم، وان كان قد جاء ذلك بصيغة: لم أؤمر بذلك، أي بالهجرة، ولكنه احتمال بعيد ولا شاهد له.

رابعاً: إن ما ينسب الى العباس لا يصدر إلا عن مسلم مؤمن تام الإيمان. ولم يكن العباس قد أسلم بعد بل بقي على شركه الى وقعة بدر. وخرج لحرب النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» فيها مكرها، وأسلم ثمة، كما سيأتي. بل سوف يأتي انه لم يسلم الى فتح مكة.

إلا ان يكون قد قال ذلك محاماةً عن رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» بدافع الحمية والعصبية، ولكننا لم نر لهذه الحمية كبير أثر في مواقف العباس قبل وبعد ذلك. وهذا أمر يثير العجب حقاً.

والذي نرجحه: هو أن الذي كان حاضراً وتكلم بكلام يهدف منه الى شدّ العقدة له «صلى الله عليه وآله وسلم» هو العباس بن نضلة الانصاري[1] وليس العباس بن عبد المطلب. ولذا يلاحظ مدى التشابه بين كلاميهما المنقول والمنسوب إليهما.

فلعل الأمر قد اشتبه على الراوي بين العباسين؛ لتشابه الإسمين، أو لعل العباسيين أرادوا اثبات فضيلة جليلة لجدهم، بهدف الحصول على مكاسب من نوع معين، ولعل، ولعل.

---

(١) الإصابة: ج ٢ ص ٢٧١، والبحار: ج ١٩، والسيرة الحلبية: ج ٢ ص ١٧، والسيرة النبوية لدحلان: ج ١ ص ١٥٣.

أبو بكر في العقبة:

وتذكر بعض الروايات الشاذة: أن أبا بكر قد حضر العقبة، وقد جعله العباس على فم الشعب.

ونحن لا نطيل في بيان بطلان هذا، بعد ان كانت سائر الروايات تنص على أنه لم يكن إلا حمزة، وعلي «رحمه الله»، والعباس. مع الشك في هذا الاخير ايضاً، وان حمزة وعلياً قد خرجا الى فم الشعب حينما علمت قريش بالامر، وهاجت بالسلاح وذلك في أواخر لحظات الاجتماع، حسبما تقدم.

حمزة وعلي «عليه السلام»في العقبة:

ان كون الاجتماع في دار عبد المطلب ليقرب صحة ما ورد من ان حمزة وعلياً قد حضرا بيعة العقبة، خصوصا وأنه كان ثمة حاجة إليهما، ليقفا ذلك الموقف البطولي الرائع في وجه قريش وخيلائها وجبروتها؛ ليمنعاها من دخول الشعب. ويعطيا الفرصة للمجتمعين للتفرق[١]. حتى إذا دخلت قريش الشعب لم تجد أحداً؛ فترفع الأمر الى ابن أبي؛ فينكر ذلك. ولولاموقفهما ذاك لكانت قد جرت الامور على غير ذلك النهج، ولوقع المسلمون في مأزق حرج وخطير جداً.

والغريب في الامر: أننا نجد عدداً من الروايات لا تذكر حضور أمير المؤمنين «عليه السلام»، وأسدالله وأسد رسوله. مع أنها هي نفسها تذكر قضية تجمهر وهياج قريش، وغضبها من الإجتماع!! وان كانت تسكت عن هجومها على الشعب، ودفع حمزة وعلي لها، بل تكتفي بذكر لقائها

---

(١) ويحتمل البعض: أن بعض سفهاء قريش وليس كل قريش ـ قد حاولوا دخول الشعب فصدّهم علي وحمزة ولكننا نقول لا مانع من تجمهر قريش.. ولكن علياً وحمزة أعاقا وصولها إلى مكان الاجتماع إلى حين تفرُّقِ المجتمعين.

مع إبن أبي، ثم تتبعها للمسلمين، وظفرها بابن عبادة الى آخر ما تقدم.

وقد فات هؤلاء: أنْ قريشاً التي عرفت بالإجتماع بعد انفضاضه فغضبت، وهاجت، ثم اتصلت بابن أبي، فأنكر ذلك، ثم بعد انصراف الحاج لحقت بالمسلمين، وآذت سعد بن عبادة الخ، لا يمكن أن تسكت عن الهجوم على محل الإجتماع، وأخذ الأنصار والنبي «صلى الله عليه وآله وسلم» بالجرم المشهود، وتكون حينئذٍ معذورة أمام من تريد الاعتذار منهم. فلماذا سكتت هنا. وغضبت وتصرفت بعنف هناك.

وعلى كل حال، فقد عودنا هؤلاء أن نرى منهم كثيراً من أمثال هذه الخيانات للحق وللدين؛ لأهداف دنيوية رخيصة، وصدق المثل الذي يقول:

«لأمر ما جدع قصير أنفه».

ولعلك تقول: كيف يمكن لرجلين: ان يقفا في وجه قريش ويرداها على أعقابها؟! وهي في إبان غضبها، وأعلى درجات تحمسها.

والجواب: أن الرجل الواحد أيضاً كان يكفي لرد كيد قريش، وذلك لأن هذا الرجل والرجلين يقف او يقفان على فم الشعب، حيث لا يمكن أن يعبر إلا أفراد او جماعات صغيرة يمكن ردها على أعقابها برد الفئة الأولى منها. وقد كان يقال: إن عمرو بن عبدود(الذي قتله امير المؤمنين «عليه السلام» يعد بألف فارس، وذلك لانه وقف على فم الوادي، ومنع الف فارس من ورودها، ولم يمكن دخول الألف إلا متفرقين بسبب ضيق المكان.

سرّية الإجتماع، والتقيّة.

إن المحافظة على سرية الإجتماع، التي بلغت الحد الذي لم يستطع حتى من كانوا ينامون مع المسلمين: أن يشعروا بشيء، ولا عرفوا

بغيبة رفقائهم، وكذلك الحال في موعد الاجتماع ومكانه، والطريقة التي تم بها، رغم ضخامته، واتساع نطاقه ـ ان كل ذلك ـ ليعتبر مثلاً رائعاً، ودليلاً قوياً على مدى وعي اولئك المسلمين ويقظتهم، وحسن تدبيرهم.

كما أنه برهان آخر على أن اللجوء الى عنصر السرية لا يعتبر تخاذلاً، إذا كان المسلمون لا يملكون مقومات الدفاع عن أنفسهم في مقابل قوى الظلم والطغيان. وهو دليل آخر على أن التقية التي يقول بها الشيعة وأهل البيت، ونزل بها القرآن وتحكم بها الفطرة والعقل السليم هي الاسلوب الصحيح في التعامل مع الواقع بمرونة، ووعي، حينما يكون الباطل هو القوي مادياً ولا يملك أهل الحق ما يدفع عنهم او يمنع.

شروط البيعة:

ونجد هنا: أن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، قد أخبرهم بما سوف يعترض طريقهم من مشاكل وصعوبات، في سبيل نشر الدعوة، والدفاع عنها. ليكونوا على علم مسبق بذلك، وعلى بصيرة من أمرهم، ومن دون أي إبهام أو غموض. حتى لا يترك لهم في المستقبل مجالاً للإعتذار بأنهم ما كانوا يعرفون: أن الأمر سوف ينتهي بهم إلى ما انتهى إليه من مصاعب ومتاعب. بل هو لا يريد أن يشعروا في أنفسهم بالغبن، أو حتى أن يمر ذلك في وهمهم وخيالهم على الإطلاق.

وهو بذلك يدلل لكل أحد على أنه لا يريد أن يخدع أحداً بالوعود الخلابة، ولا أن يجعلهم يعيشون الآمال والأحلام الفارغة لأن الوسيلة عنده جزء من الهدف، رغم أنه في أمسّ الحاجة إلى نصرتهم، بل هو لم يجد طيلة فترة دعوته غيرهم.

لماذا النقباء:

وإن من طبيعة العربي الالتزام بالعهد، والوفاء بالذمار وتعتبر كل

قبيلة: أنها مسؤولة عن الوفاء بما يلتزم به أحد أفرادها، أو حلفائها عليها.

وعندما بايع الأنصار النبي على الإيمان والنصرة حسبما تقدم ـ أراد أن يلزمهم ذلك بشكل محدد، بحيث يستطيع أن يجد في المستقبل من يطالبه بالوفاء بالالتزامات والعهود، وكان أولئك النقباء هم الذين يتحملون مسؤولية الوفاء بتلك الالتزامات. وهم الذين يمكن مطالبتهم بذلك، لأنهم هم الكفلاء لقومهم، برضى منهم ومن قومهم على حد سواء.

أما إذا ترك الأمور في مجاريها العامة، فلربما يمكن لكل فرد أن يتملص ويتخلص من التزاماته، ويلقي التبعة على غيره، ويعتبر أن ذلك غير مطلوب منه، ولا يمكن بحسب تصوره أن يكون هو كفردٍ مسؤولاً عنه.

وأما بعد أن التزم ذلك أفراد معينون، كل واحد منهم من قبيلة. فإن المسؤولية قد أصبحت محدودة، ويمكن مطالبتهم بالوفاء بالتزاماتهم، كلما دعت الحاجة إلى ذلك. لا سيما في مواقف الحرب والدفاع.

وبذلك تبتعد القضية عن الأهواء الشخصية، والأهم من ذلك عن الفوضى في المواقف العامة، وتدخل مراحل التنظيم والبناء الاجتماعي على مستوى الفرد والجماعة.

المشركون في مواجهة الأمر:

يلاحظ: أن المشركين قد اهتموا لأمر هذه البيعة جداً، حتى إنهم تهددوا أهل المدينة بالحرب، مستغلين بذلك ضعف المجتمع المدني، وتفككه بسبب الحروب الداخلية بين الأوس والخزرج.

نعم، إنهم يهددونهم بالحرب، رغم أن حرباً كهذه لسوف تجر عليهم أخطاراً جسيمة من وجهة نظر إقتصادية، لأن قوافلهم إلى الشام، محل تجارتهم المفضل كان طريقها على المدينة. مما يعني: أن المشركين كانوا يرون في هذه البيعة خطورة قصوى، تجعلهم يضطرون

إلى التضحية بعلاقاتهم الحسنة مع كل من يتقبل هذه الدعوة ويناصرها، حتى ولو كانوا أهل المدينة، الذين كانوا يكرهون جداً أن تنشب الحرب فيما بينهم وبينهم، كما تقدم قولهم ذلك لابن أبي. كما أن ذلك يدلنا على مدى ما كان يتعرض له المسلمون في مكة من ظلم واضطهاد.

منازعة الأمر أهله:

قد تقدم أن من جملة ما اشترطه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم على أهل المدينة في ضمن نص البيعة، هو أن لا ينازعوا الأمر أهله.

وإن اشتراط ذلك في نص بيعةٍ حساسة جداً في تاريخ الإسلام، ويتقرر مصير الإسلام على نجاحها وعدمه. وتعريض هذه البيعة لخطر الرفض والانفصام، فيما لو رفضوا الالتزام بذلك ـ كما كان الحال بالنسبة لبني عامر، حسبما تقدم ـ ان ذلك لمما يدل على أن هذا الأمر كان له أهمية قصوى بالنسبة للرسول صلى الله عليه وآله الذي كان رأيه يمثل رأي الإسلام الواقعي. ويوضح أنه لن يتنازل عنه ولو تعرّض لأعظم الأخطار. مما يعني: أن هذا الأمر ليس له، وإنما هو لله يضعه حيث يشاء. وأن هذا هو الأمر الذي إذا لم يبلّغه فما بلّغ رسالة ربه سبحانه وتعالى.

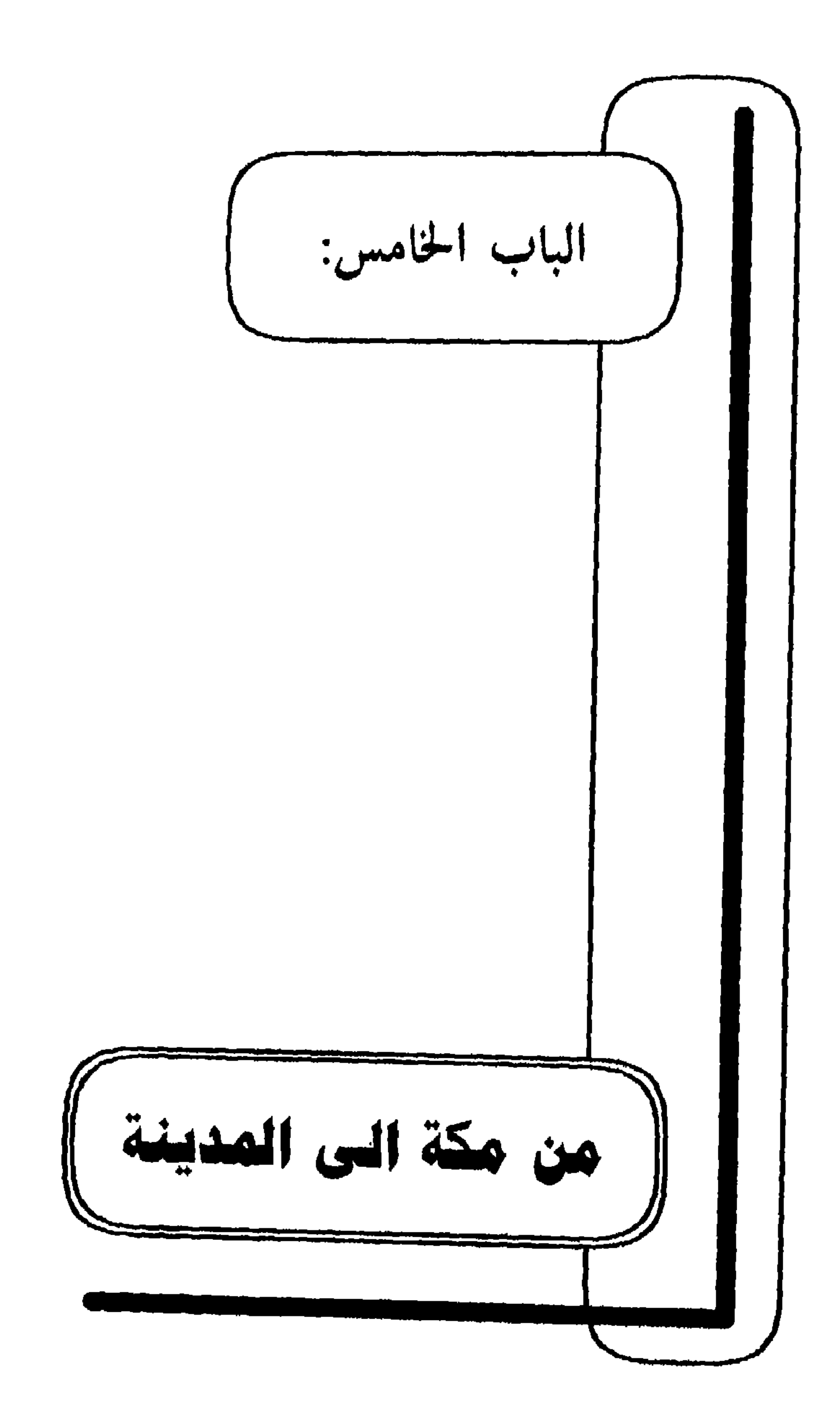
ويمكن أن نفهم من ذلك أيضاً: أن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم كان من أول الأمر يمهّد السبيل لجهة معينة وإلا، فكيف ينهى الناس عن منازعة الأمر أولئك الأهل المخصوصين والمؤهلين للملك والخلافة، ثم ينسى أن يعيّن شخص ذلك الخليفة منهم؟!.

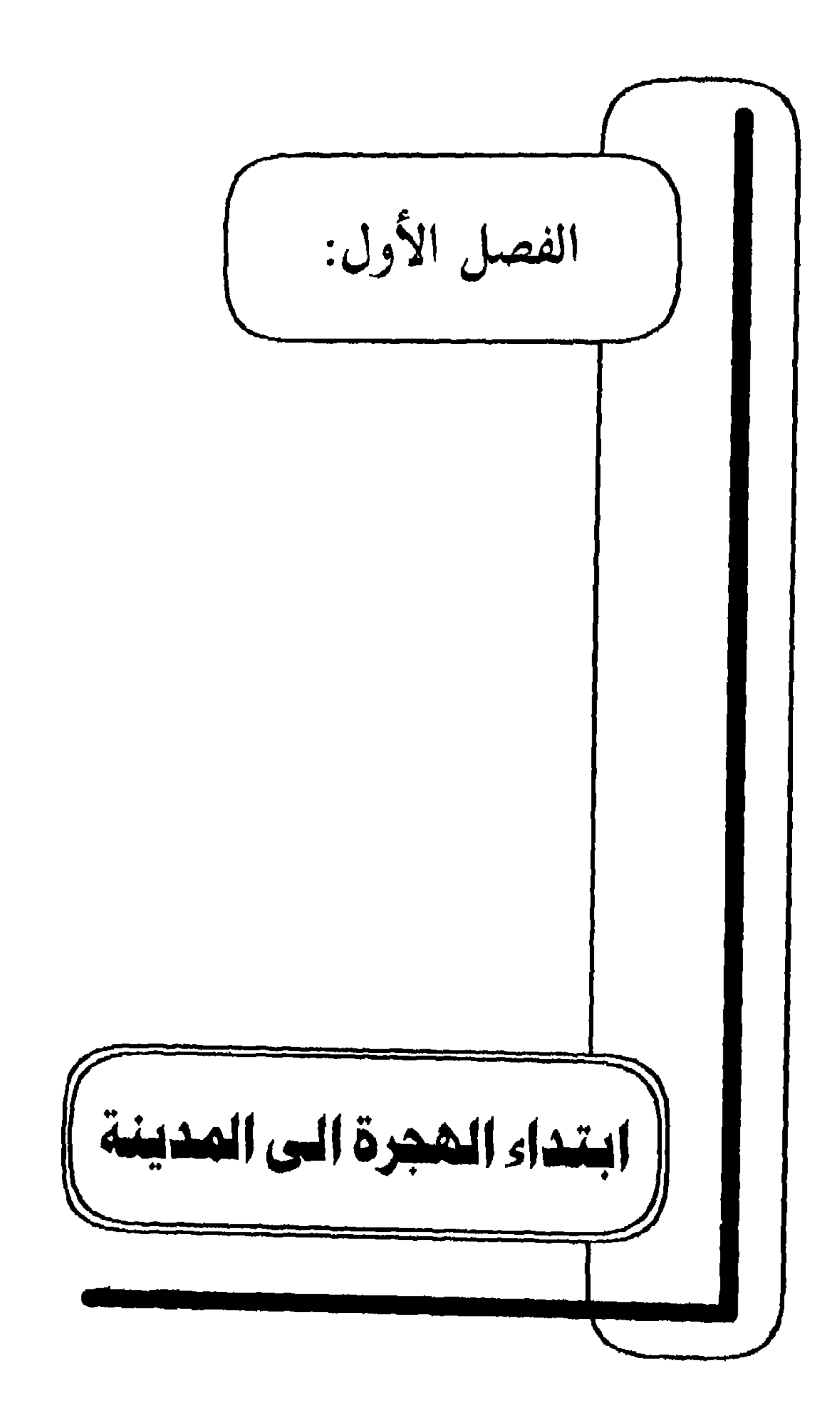
وليعطف ذلك على ما تقدم من تعيينه ذلك الشخص حين إنذار عشيرته الأقربين. ثم على ما يأتي بعد من مواقف وتصريحات وكنايات له (ص)، ولا سيما في قضية الغدير.

النبي لم يؤمر بالحرب بعد:

كما أننا نجده «صلى الله عليه وآله وسلم» لا يأذن للمجتمعين في العقبة بأن يميلوا على قريش بأسيافهم؛ لأن معنى ذلك هو القضاء على هذا الدين، وعلى حماته الأبرار، ولا سيما مع قلّتهم، وكونهم في الموسم، الذي تجتمع فيه الناس من كل حدب وصوب، وكلهم على نهج وطريقة، ومذاق قريش، ويدورون في فلكها دينياً وعقائدياً وفكرياً، وحتى مصلحياً أيضاً. ولن يكون هناك أية فرصة لانتصار الأنصار على عدوهم في بلاده.

وقريش التي ترى في المدينة أهمية خاصة لأنها على طريق قوافلها إلى الشام ولأجل ذلك أطلقت سعد بن عبادة. لن تسكت على موقف الأنصار هذا. ويكون لها كل الحق أمام أهل الموسم، وحتى أمام المدنيين المشركين في أن تضربهم الضربة القاصمة والقاضية، لأنهم في موقف المعتدي، وعلى قريش أن ترد هذا الاعتداء بالكيفية وبالحجم الذي تراه مناسباً.


الباب الخامس:
من مكة الى المدينة



الفصل الأول:

ابتداء الهجرة الى المدينة

حب الوطن من الإيمان:

لقد ورد عنهم عليهم السلام أن «حب الـوطن من الإيمان»[1] وإننـا بغض النـظر عن سند هـذا الحـديث. لـربمـا يصعب علينـا ـ لأول وهلة ـ تصـور معنى سليم ومقبول لهـذه الكلمة؛ إذ لمـاذا يكـون حب الـوطن من الإيمان؟! وهل يمكن أن يكـون لهذا التـراب بما هـو تراب، ولـد الإنسان عليه، وعاش في أجوائه، مهما كان وضعه الجغرافي سيئـاً، قيمة واحتـرام إلى حد أن يعتبر حبه من الإيمان؟ وبسوى هذا الحب، فإن الإيمان يكـون ناقصاً، وليس فيه تلك الفاعلية المتوخاة؟.

وإننا في مقام الإجابة على هذا السؤال، نقول:

إن هــذا الحب الـذي يهتم بــه الإسـلام لا يمكن أن يكــون حبـاً عشوائياً، لا هدف له، ولا فائدة منه. ولا في خط مخالف للإسلام. وإنمـا هـو حب منسجم مع أهـداف الإسلام العليـا، ومن منـطلق إيمـاني واقعي إلهي، فإنه «من الإيمان».

كما أن الوطن الذي يعتبر الإسلام حبه من الإيمـان، ليس هو محـل ولادة الإنسان، وإنما هو الوطن الإسلامي الكبير، الذي يعتبر الحفاظ عليه

---

(١) سفينة البحار ج ٢ ص ٦٦٨.

حفاظاً على الدين والإنسانية، لأن به يعز الدين، وتعلو كلمة الله، وهو قوة للإسلام، لأنه محل استقرار وهدوء، وموضع بناء القوة فكرياً وروحياً ومادياً، ثم الحركة على صعيد التنفيذ للانتقال إلى الوضع الأفضل والأمثل. أما حيث الغربة وعدم الاستقرار، فهناك الضياع، وهدر الطاقات، وحيث لا يجد الإنسان الفرصة للتأمل والتفكير في واقعه، ولا في مستقبله، ولو أنه استطاع ذلك، فلسوف لا يستطيع تنفيذ قراراته، لعدم المركزية التي تمنحه الحركة المنظمة، والثابتة. ثم التركيز والإستمرار.

نعم، إن الوطن ليس إلا وسيلة للدفاع عن الدين والحق، وللوصول إلى الأهداف الخيرة والنبيلة، فالدين والإنسان هو الأصل، والوطن وغيره لا بد وأن يكون في خدمة هذا الدين، ومن أجل ذلك الإنسان.

فمن يحافظ على وطنه، ويحبه بدافع الحفاظ على الإسلام؛ وحبه، فإن حفاظه وحبه هذا يكون من الإيمان.

وأما إذا كان الوطن وطن الشرك والكفر والانحراف، والانحطاط بإنسانية الإنسان؛ فإن الحفاظ على وطن كهذا وحبه يكون حفاظاً على الشرك وتقوية له، كما أن حبه هذا يكون من الكفر والشرك، لا من الإيمان والإسلام.

ومن أجل ذلك فقد حكم الإسلام والقرآن على من كان في بلاد الشرك، وكان بقاؤه فيها موجباً لضعف دينه وإيمانه: أن يهاجر منها إلى بلاد الإيمان والإسلام، إلى حيث يستطيع أن يحتفظ بدينه قوياً فاعلاً، وبإنسانية خلاقة نبيلة قال تعالى: ﴿**إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا: فيم كنتم؟ قالوا: كنا مستضعفين في الأرض قالوا: ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها؟ فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا**﴾[1].

---

(١) النساء/٩٧.

بل إن محل ولادة الإنسان إذا كان يحارب الدين الحق، ويسعى في اطفاء نور الله، فإنه يجب تدميره على كل أحد حتى على نفس هذا الذي ولد وعاش فيه(١).

ومن هنا نعرف أن هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه من مكة إلى المدينة كانت هجرة طبيعية ومنسجمة مع مقتضيات الفطرة والعقل السليم والفكر الصحيح، الذي يلاحظ سمو الهدف ونبل الغاية، ويقيّم كل شيء انطلاقاً من ذلك الهدف، وعلى طريق الوصول والحصول على تلك الغاية.

وليكن هذا تمهيداً للحديث عن ظروف الهجرة وعواملها وأحداثها، في حدود ما يتناسب مع هذا الكتاب، فنقول:

دوافع الهجرة من مكة إلى المدينة:

إننا بالنسبة لدوافع الهجرة من مكة إلى المدينة يمكننا الإشارة إلى ما يلي:

أولاً: إن مكة لم تعد أرضاً صالحة للدعوة، فقد حصل النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» منها على أقصى ما يمكن الحصول عليه، ولم يبق بعد أي أمل في دخول فئات جديدة في الدين الجديد، في المستقبل القريب على الأقل.

وقد كان ثمة مبرر لتحمل الأذى والمصاعب، حينما كان يؤمل أن تدخل في الإسلام جماعات تقويه، وتشد من أزره.

---

(١) ويرى العلامة المحقق الشيخ علي الأحمدي: أن معنى حب الوطن من الايمان: أن من يحب وطنه فانه يسعى إلى تنقيته من الانحرافات، وحل مشاكله، وهداية مجتمعه الى طريق الحق والايمان والاسلام، لأن الايمان هو الذي يدفعه إلى ذلك، كما هو معلوم..

أما بعد أن أعطت مكة كل ما لديها فأخرجت جماعات من شبان المؤمنين، ومن المستضعفين، ولم يبق فيها إلا ما يوجب الصد عن سبيل الله، ويضع الحواجز والعراقيل الكثيرة أمام تقدم هذا الدين، ويمنع من انتشاره واتساعه؛ فإن البقاء في مكة ليس فقط لا مبرر له، بل هو خيانة للدعوة الإسلامية، ومساعدة على حربها، والقضاء عليها، ولا سيما بعد أن جندت قريش كل طاقاتها للصد عن سبيل الله، وإطفاء نوره، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون.

نعم، لقد كان لا بد من الانتقال إلى مركز آخر، تضمن الدعوة فيه لنفسها حرية الحركة، في القول والعمل، بهدوء بال، واطمئنان خاطر، بعيداً عن ضغوط المشركين، وفي منأى عن مناطق سيطرتهم ونفوذهم.

وقد رأينا: أنهم كانوا يلاحقون تحركات النبي «صلى الله عليه وآله وسلم»، ويرصدونها بدقة، ويتهددون، بل ويعذبون كل من يدخل في هذا الدين الجديد، ويخيفون كل من يحتمل دخولهم فيه.

ثانياً: إن الإسلام وممثله وداعيته الرسول الأكرم «صلى الله عليه وآله وسلم» لا يمكن له أن يقتنع بهذا النصيب المحدود من التقدم، لأنه دينه دين البشرية جمعاء: ﴿**وما أرسلناك إلا كافة للناس**﴾[1].

وما حصل عليه حتى الآن لا يمكّنه من تطبيق كافة تشريعات الإسلام، وتحقيق كامل أهدافه. ولا سيما بالنسبة إلى ذلك الجانب، الذي يعالج مشاكل الناس الإجتماعية وغيرها، مما يحتاج إلى القوة والمنعة في مجال فرض القانون والنظام.

ومن الناحية الأخرى: إنه إذا كان بنو عبد المطلب والهاشميون قد استطاعوا أن يؤمنوا الحماية لشخص الرسول من اعتداءات الآخرين على شخصه الكريم، فإنهم لم ولن يستطيعوا أن يؤمنوا له القدرة على حماية أصحابه. الذين دخلوا في هذا الدين، وقبلوا رسالة السماء. فضلاً عن أن

يتمكنوا من تأمين الحد الأدنى من الحماية له، فيما لو أراد أن يتوسع في نشر رسالة الإسلام، وفرض هيمنة هذا الدين وسلطانه، إذا احتاج الأمر إلى ذلك.

وأما بعد وفاة أبي طالب رحمه الله فإن الأمور قد تطورت بشكل مخيف، حتى بالنسبة إلى شخص النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله وسلم»، كما رأينا وسنرى.

ثالثاً: ولقد صمد أولئك الذين أسلموا سنوات طويلة في مواجهة التعذيب والظلم والاضطهاد، حتى لقد فر قسم منهم بدينه إلى بلاد الغربة، وبقي الباقون يواجهون محاولات فتنتهم عن دينهم، بمختلف وسائل القهر تارة، وبأساليب متنوعة من الإغراء أخرى.

وإذا استثنينا أشخاصاً معدودين، كحمزة أسد الله وأسد رسوله، وبعض من كانت لهم عشائر تمنعهم[1]، فإن بقية المسلمين كانوا غالباً من ضعفاء الناس، الذين لا يستطيعون حيلة، ولا يجدون سبيلاً إلا الصبر، وتحمل الأذى.

وإذا فرض عليهم أن يستمروا في مواجهة هذه الآلام والمشاق، دونما أمل أو رجاء؛ فمهما كانت قناعتهم بهذا الدين قوية وراسخة؛ فإن من الطبيعي ـ والحالة هذه ـ أن يتطرق اليأس إلى نفوسهم، ثم الهروب والملل من حياة كهذه. وقد تستميلهم بعض الإغراءات العاجلة، فيهلكون ويهلكون؛ فإنه ليس بمقدورهم أن يقضوا حياتهم بالآلام والمتاعب. بل إن بعضهم ـ كما سيأتي ـ يهمّ بالعودة إلى الشرك، ويتطلب السبل لمصالحة مشركي مكة، حينما أشيع في غزوة أحد: أن النبي «صلى الله

---

(١) وحتى هؤلاء فانهم لم يسلموا من الاضطهاد النفسي والمقت الاجتماعي المر. ولربما يكون ذلك بالنسبة لبعضهم أشد من التعذيب الجسدي، تبعاً لنسبة الوعي والشعور المرهف الذي كان يمتاز به بعضهم على غيره.

عليه وآله وسلم» قد قتل. وقد نزل في ذلك قرآن يتلى إلى يوم القيامة:

﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً، وسيجزي الله الشاكرين﴾[1].

رابعاً: لقد رأت قريش أخيراً: أنها قد اهتدت للطريقة التي تستطيع بواسطتها أن تقتل النبي «صلى الله عليه وآله وسلم»، دون أن تكون مسؤولة أمام الهاشميين بشكل محدد. أو بالأحرى دون أن يستطيع الهاشميون أن يطالبوا بدم النبي «صلى الله عليه وآله وسلم». وذلك بأن يقتله عشرة، كل واحد منهم من قبيلة، فيضيع دمه في القبائل، ولا يستطيع الهاشميون مقاومتها جميعاً؛ لأنهم إما أن يقاتلوا القبائل كلها، وتكون الدائرة عليهم، وأما أن يقبلوا بالدية، وهو الأرجح. وإذا قتل النبي «صلى الله عليه وآله وسلم»، فإن القضاء على غيره من اتباعه يكون أسهل وأيسر، ولا يشكّل لقريش مشكلة ذات شأن. بل وحتى لو تركوهم على ما هم عليه، فإن أمرهم لسوف يصير إلى التلاشي والاضمحلال.

هكذا كانت تفكر قريش وتخطط. وهو تفكير محكوم بالعصبية القبلية. ولكنه ذكي جداً. وبالإمكان تحقيق الأهداف الشريرة تجاه الرسول والرسالة من خلاله.

ولكن عناية الله سبحانه وإن كانت تشمل النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» وترعاه، إلا أن من الواضح: أن إقدام قريش على تنفيذ مخططاتها ـ فشلت أو نجحت ـ لسوف يعرض علاقاتها مع الهاشميين لنكسة خطيرة، ولسوف تزيد مضاعفاتها بشكل مخيف ببقاء النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» في مكة. كما أن عادة الله قد جرت على أن لا يحول بين أحد وبين تنفيذ إرادته، بشكل قهري وقسري، إلا بنحو من العنايات والألطاف التي

---

(١) سورة آل عمران ١٤٤.

تشمل ذلك النبي الذي يكون حفظه ضرورياً لحفظ الدين والإنسان. فأرادة الانسان حرة طليقة، ولكن الله يسدد ويلهم ويؤيد من تستهدفه تلك الارادة بالشر والاذى.

وبعد كل ما تقدم يتضح: أنه كان لا بد للنبي الأعظم «صلى الله عليه وآله وسلم»، ولمن معه من المسلمين من الخروج من مكة إلى مكان أمن وسلام لا يشعرون فيه بأي ضغط، يملكون فيه حرية الحركة، وحرية الكلمة، وحرية التخطيط لبناء مجتمع إسلامي يكون فيه النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» قادراً على القيام بنشر دعوته، وإبلاغ رسالته، على النحو الأفضل والأكمل.

سرّ اختيار المدينة:

وأما عن سر اختيار النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» ـ الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى ـ للمدينة بالذات داراً لهجرته، ومنطلقاً لدعوته، دون غيرها كالحبشة مثلاً؛ فذلك يرجع إلى عدة عوامل، نذكر منها ما يلي:

١ ـ إن مكة كانت ـ كما قدمنا ـ تتمتع بمكانة خاصة في نفوس الناس. وبدون السيطرة عليها، والقضاء على نفوذها الوثني، واستبداله بالنفوذ الإسلامي؛ فإن الدعوة تعتبر فاشلة، وكل الجهود تبقى بدون جدوى؛ فإن الدعوة كانت بحاجة إلى مكة، بنفس القدر الذي كانت مكة بحاجة فيه إلى الدعوة.

فلا بد من اختيار مكان قريب منها، يمكن أن يمارس منه عليها رقابة، ونوعاً من الضغط السياسي والاقتصادي، وحتى العسكري إن لزم الأمر في الوقت المناسب، حينما لا بد له من أن يفرض سلطته عليها.

والمدينة، هي ذلك الموقع الذي تتوفر فيه مقومات هذا الضغط،

فهي تستطيع مضايقة مكة اقتصادياً؛ لوقوعها على طريق القوافل التجارية المكية، وقريش تعيش على التجارة بالدرجة الأولى.

وقد تقدم قول المشركين لعبد الله بن أبي، حين بيعة العقبة: «ما من حي أبغض من أن تنشب الحرب بيننا وبينه منكم».

وتقدم أيضاً: أنهم لما أخذوا سعد بن عبادة بعد بيعة العقبة وعذبوه، جاء الحارث بن حرب وجبير بن مطعم وخلصاه، لأنه كان يجير لهما تجارتهما.

وإذا كانت قريش قد لقيت من أبي ذر ما لقيت، حين أخذ عليها طريق تجارتها، فإن ما سوف تلقاه من أهل المدينة سيكون أشد، وأعظم خطراً، وأبعد أثراً، ولا سيما إذا عقد الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» تحالفات مع سائر القبائل المقيمة في المنطقة، كما حصل بالفعل، وكانت المعاهدة بصورة تجعلهم مضطرين لقطع علاقاتهم بالمشركين[1].

٢ ـ لقد عرفنا مما تقدم: أن الهجرة إلى المدينة هي الحل المفروض، الذي لا خيار معه؛ وذلك لأن الهجرة إلى الطائف لم تكن بالتي تجدي نفعاً، بعد أن رأينا: أن أهلها رفضوا الاستجابة إلى النبي «صلى الله عليه وآله وسلم»، حينما هاجر إليهم، لأنهم يرون: أن مكة هي التي تستطيع أن تضايقهم اقتصادياً، وهم إليها أحوج منها إليهم. ولأجل ذلك فإنهم لا يستطيعون في المستقبل المنظور على الأقل إلا أن يدوروا سياسياً في فلكها، وأن يخضعوا لسيطرتها. وأما سائر قبائل العرب؛ فلا يجدون في أنفسهم القدرة على ذلك. وقد جرّب أن يعرف

---

(١) راجع: وثيقة المدينة الآتية في الجزء التالي من هذا الكتاب؛ أو آخر فصل: أعمال تأسيسية في مطلع الهجرة. فقد جاء فيها ما يلي: «وانه لا يجير مشرك مالاً لقريش، ولا نفساً، ولا يحول دونه على مؤمن». وراجع: نشأة الدولة الإسلامية: ص ٢٨٩ ـ ٢٩٥.

مدى استعدادهم لقبول دعوته، والدفاع عنها؛ فوجد ما لا ينقع غلةً، ولا يبل صدى، إن لم نقل أنه وجد ما يزيد الطين بلة، والامر خطورة.

وأما اليمن، وفارس، والروم، وبلاد الشام وغيرها؛ فقد كانت خاضعة لسلطة الدولتين العظميين، اللتين لن يكون نصيب الرسول والرسالة منهما سوى المتاعب والاخطار الجسيمة. وقد تكلمنا عن شيء من ذلك عند الحديث عن عوامل انتصار الاسلام وانتشاره في أواخر الباب الأول من هذا الكتاب. ولسوف نرى أن كسرى قد حاول أن يقوم بعملية خطيرة تجاه الرسول ورسالته حينما أرسل إليه «صلى الله عليه وآله وسلم» يدعوه إلى الإسلام.

وأما الحبشة فهي بحكم موقعها الجغرافي مفصولة عن مكة، كما أنها بحكم واقعها الإجتماعي، والسياسي، والبشري، والعنصري، وبحكم كونها بلداً أفريقياً، فإنها ليست بلداً قادراً على أن يقود عملية التغيير العالمية الشاملة، لا إقتصادياً، ولا سياسياً، ولا عسكرياً، ولا حتى فكرياً، وإجتماعياً.

أضف إلى ذلك أن مهاجمة مكة بجيش من الحبشة لسوف يدفع العرب كافة إلى الوقوف إلى جانب قريش ضده، بخلاف ما لو كانت عملية التغيير منطلقة من الداخل حينما يؤمن بدعوته الفقراء، والمستضعفون، ويواجه هؤلاء الملأ والمستكبرين من قومهم بالذات.

وهكذا يتضح: أنه ليس ثمة إلا المدينة، والمدينة فقط موقعاً مناسباً للهجرة فكانت الهجرة إليها.

٣ ـ ومن الجهة الأخرى، فإن المدينة كانت أغنى من مكة زراعياً. أي أنها لو فرض عليها: أن تتعرض لضغط تجاري من نوع ما ـ مع أنه ليس باستطاعة مكة أن تفعل شيئاً من ذلك ـ فإنها تستطيع أن تقاوم هذا الضغط، وتحتفظ لنفسها بنوع من الحياة، ولو بصعوبة مّا، من دون أن

تستسلم لإرادة الآخرين، وتنساق وراء رغباتهم، كما كان الحال بالنسبة لغيرها.

هذا عدا عن أن الدعوة التي تحتاج إلى نشاط واسع، وجهد شامل، لأنها تريد أن تقود عملية التغيير الشامل على مستوى عالمي - هذه الدعوة - تحتاج إلى استقرار اقتصادي داخلي، يستطيع أن يوفر الفرصة لحملة هذه الرسالة للحركة في سبيل نشر دينهم، وبث رسالتهم.

٤ - وإذا كان الحج من أهم تشريعات الاسلام؛ فما دامت مكة في أيدي الوثنيين؛ فإنه سوف يفقد أثره وفعاليته في مجال التربية السياسية، والإجتماعية، وفي غير غير ذلك من مجالات.

وأيضاً، فما دامت مكة في أيدي الوثنيين، فلسوف يبقى لهم نفوذ واسع في القبائل العربية، وقدسية من نوع مّا في نفوسهم.

فلابُدّ إذن من اخراجها من أيديهم؛ لينتهي مالهم من رصيد معنوي في نفوس الناس، ولتنفتح القلوب بكل ما لديها على الدين الجديد، وليتمكن المسلم من أن يؤدي إحدى أعظم شعائره - الحج - بحرية تامة، دونما رادع أو زاجر.

ويدل على ذلك، ما يرويه الطبراني وغيره: أنه لما عرض النبي الإسلام على ذي الجوشن الضبابي، أبى أن يدخل فيه إلا أن يرى النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» قد غلب على الكعبة. وفي رواية أخرى، أنه قال له: «رأيت قومك قد كذبوك، وأخرجوك، وقاتلوك. فانظر ماذا تصنع؛ فإن ظهرت عليهم آمنت بك، واتبعتك، وإن ظهروا عليك لم أتبعك[1]».

---

(١) مجمع الزوائد ج ٦ ص ٦٨، وقال: «رواه عبد الله بن أحمد، وأبوه، ولم يسق المتن، والطبراني ورجالها رجال الصحيح، وروى أبو داود بعضه» انتهى.

وبعد هذا، فإن أقرب المواقع إلى مكة هو المدينة، وهي التي تملك إلى جانب قوتها الاقتصادية كثافة سكانية جيدة، تستطيع أن تقوم بالمهمة التي توكل إليها تجاه مكة على أكمل وجه، ولا توجد هذه الميزة في أي من المناطق القريبة إلى مكة.

ونلاحظ: أن إيجاب الهجرة على من يسلم، قد جعل المدينة ـ بعد هجرة الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» إليها ـ في حالة نمّوٍ سكاني مستمر، يؤهلها لتحمل مسؤولية بناء دولة، وحماية منجزاتها على المدى المنظور.

٥ ـ إن أهل المدينة كانوا في الاصل من مهاجري اليمن، التي كانت تمتلك شيئاً من الحضارة البدائية في قديم الزمان، فهم ليسوا أعراباً؛ لتكون قلوبهم ممعنة في القسوة. ولا كان ثمة زعامات ومصالح خطيرة لهم في المنطقة، كما كان الحال بالنسبة لقريش، ولا كانوا يعيشون في تلك الأجواء النفسية المعينة، كما كانت تعيش قريش؛ نتيجة لموقعها النسبي في العدنانية، ولموقعها في زعامة مكة، وحجابة البيت.

ثم هناك التنافس الظاهر بين العدنانية والقحطانية. حيث لا يسع القحطانيين، حتى ولو لم تكن ثمة دوافع دينية وعقيدية: أن يسلموا النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» إلى أعدائه.

ويشهد لهذا: أننا نجد بقايا هذا التنافى حتى إلى ما بعد وفاة النبي «صلى الله عليه وآله وسلم»؛ فنجد أن عمر بن الخطاب قد فضل العدنانية على القحطانية في العطاء، الأمر الذي مهد السبيل أمام الأمويين لإستغلال هذه الروح وإشعال الفتن بين اليمانيية والقيسية. إبّان حكمهم البغيض. بينما نجد أمير المؤمنين «عليه السلام» لم يكن يرى لبني إسماعيل على بني إسحاق فضلاً. (ولهذا البحث مجال آخر).

٦ ـ ثم إن أهل المدينة قد ذاقوا مرارة الانحراف كأشد ما يكون،

وقد أنهكتهم الحروب واكلتهم، ويعيشون في رعب دائم وخوف مستمر، حتى إنهم ما كانوا يضعون السلاح لا في الليل ولا بالنهار[1]. وتقدم أن الخزرج ذهبوا إلى مكة يطلبون الحلف من القرشيين فلم تلب قريش طلبهم. وكانوا يتمنون من كل قلوبهم: أن يجدوا مخرجاً من المأزق الذي يرون أنفسهم فيه، حتى إن اسعد بن زرارة لا يخفي لهفته على هذا الأمر؛ حيث قال للنبي «صلى الله عليه وآله وسلم» حينما دعاه إلى الاسلام: «إنا من أهل يثرب من الخزرج، وبيننا وبين اخوتنا من الاوس حبال مقطوعة، فإن وصلها الله بك، ولا أحد أعز منك الخ»[2].

ثم وبعد أن دخل الإسلام إلى المدينة، فقد كان لا بد أيضاً من الحفاظ على المسلمين فيها، وشد أزرهم، حتى يمكن لهم الاستمرار في نصرة هذا الدين، واعلاء كلمة الله.

٧ ـ لقد كانت بشائر اليهود بقرب ظهور نبي في المنطقة قد جعلت الكل مستعدين لقبول هذا الدين. ولكنهم يحتاجون إلى مناسبات دافعة، وإلى ظروف مشجعة؛ فلماذا يهملهم الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم»، ولا يهيىء لهم الفرصة لذلك؟!.

٨ ـ هذا كله، عدا عن أن أهل المدينة أنفسهم قد طلبوا ذلك من النبي الأكرم (ص) وبايعوه بيعة العقبة، ووعدوه النصر، والنبي(ص) إنما يتصرف وفق الإرادة الإلهية التي لا تغيب عنها تلك المصالح وسواها. فالله هو الذي يرعاه ويسدده، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين.

هذا ما رأينا الاشارة إليه في هذا الصدد.

---

(١) البحار: ج ١٩ ص ٨ و ٩ و ١٠، وأعلام الورى: ص ٥٥.

(٢) البحار: ج ١٩، وأعلام الورى: ص ٥٧.

المؤاخاة بين المهاجرين:

وكتمهيد لعملية الهجرة، حيث يفترض أن يواجه المسلمون الكثير من المصاعب، التي تحتاج إلى التعاون والتعاضد بأعلى مراتبه، كانت عملية المؤاخاة التي أريد بها السمو بعلاقات هذا الانسان عن المستوى المصلحي، وجعلها علاقة إلهية تصل إلى درجة الأخوة؛ ليكون أثرها في التعامل بين المسلمين أكثر طبيعية، وانسجاماً، وبعيداً عن النوازع النفسية التي ربما توحي للمعين والمعان بأمور من شأنها أن تعقّد العلاقات بينهما نفسياً على الاقل.

وقد رأينا: أن البعض يتوهم ترتب التوارث على هذه المؤاخاة دون الرحم، وذلك يدل على عمق تأثير هذا الحدث في المسلمين؛ في روحياتهم وفي علاقاتهم على حدٍ سواء.

وعلى كل حال، فلقد آخى الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» قبل الهجرة فيما بين المهاجرين، على الحق والمواساة؛ فآخى بين أبي بكر وعمر، وبين حمزة وزيد بن حارثة، وبين عثمان وعبد الرحمان بن عوف، وبين الزبير وابن مسعود وبين عبادة بن الحارث وبلال. وبين مصعب بن عمير وسعد بن أبي وقاص، وأبي عبيدة وسالم مولى أبي حذيفة، وبين سعيد بن زيد وطلحة، وبين علي «عليه السلام» ونفسه «صلى الله عليه وآله وسلم»، وقال: أما ترضى أنّ أكون أخاك؟.

قال: بلى يا رسول الله رضيت.

قال: فأنت أخي في الدنيا والآخرة[1].

---

(١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٠ والسيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ١٥٥ عن الاستيعاب. وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٥٣ ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٤ وتلخيصه للذهبي.

وسيأتي إن شاء الله في الجزء الرابع من هذا الكتاب: أن النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» قد آخى بين المهاجرين والأنصار بعد الهجرة. ولسوف نذكر طائفة من مصادر حديث المؤاخاة هناك إن شاء الله ونذكر انكار ابن تيمية وغيره لحديث مؤاخاة مهاجري لمهاجري، وجوابه، ثم نعلق على حديث المؤاخاة بما نراه مناسباً؛ فإلى هناك.

ابتدأ هجرة المسلمين إلى المدينة:

ويقول المؤرخون إن بيعة العقبة الثانية قد كانت قبل هجرة الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» إلى المدينة بثلاثة أشهر ويقولون أيضاً: إنه بعد أن عقد النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» بيعة العقبة الاولى ـ على الظاهر ـ مع أهل المدينة ولم يقدر أصحابه أن يقيموا بمكة بسبب إيذاء المشركين، ولم يصبروا على جفوتهم، رخص لهم «صلى الله عليه وآله وسلم» بالهجرة إلى المدينة. وبقي «صلى الله عليه وآله وسلم» بمكة ينتظر أن يؤذن له. فخرجوا أرسالاً، حتى أذن الله سبحانه لنبيه الاكرم «صلى الله عليه وآله وسلم» بالهجرة، كما سيأتي.

المثل الاعلى:

وجدير بالتسجيل هنا: أن نرى المسلم الحقيقي يضحي بوطنه الذي نشأ وعاش فيه، وبكل ما يملك من متاع الحياة الدنيا، وبعلاقاته الاجتماعية، وروابطه النسبية ويقدم على معاداة الناس كلهم، حتى آبائه، واخوانه وابنائه. ويخرج من بلده ومسقط رأسه ليواجه مستقبلاً يعرف أنه مليىء بالأحداث والأخطار، كل ذلك في سبيل هدفه ودينه وعقيدته. وهو أروع مثل نستفيده من عملية الهجرة. سواء في ذلك الهجرة إلى المدينة، أو الهجرة إلى الحبشة.

هجرة عمر بن الخطاب:

ومما يلفت النظر هنا ما يقال عن كيفية هجرة عمر بن الخطاب، حيث يروون عن علي «عليه السلام» أنه قال:

ما علمت أحداً من المهاجرين هاجر إلا مختفياً، إلا عمر بن الخطاب، فإنه لما همّ بالهجرة تقلد بسيفه، وتنكب قوسه، وانتضى في يديه أسهماً، واختصر عنزته، ومضى قبل الكعبة، والملأ من قريش بفنائها، فطاف بالبيت سبعاً، ثم أتى المقام فصلى ركعتين، ثم وقف على الحلق واحدة واحدة؛ فقال: شاهت الوجوه، لا يرغم الله إلا هذه المعاطس، فمن أراد أن تثكله أمه، أو يؤتم ولده، أو ترمل زوجته، فليلقني وراء هذا الوادي.

قال علي رضي الله عنه: فما تبعه أحد، ثم مضى لوجهه[1].

ونحن نقطع بعدم صحة هذا الكلام. لأن عمر لم يكن يملك مثل هذه الشجاعة، وذلك:

أولاً: لما تقدم في حديث اسلامه عن البخاري وغيره، من أنه حين اسلم اختبأ في داره خائفاً، حتى جاءه العاص بن وائل، فأجاره، فخرج حينئذٍ.

وفي بدر تكلم واساء الكلام، حيث كان يجّبن النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» والمسلمين.

ثانياً: إن مواقفه الحربية كانت عموماً غير مشجعة لنا على تصديق مثل هذا الكلام فلقد فر في أحد، وفر في حنين، رغم أنه يرى الخطر يتهدد

---

(١) منتخب كنز العمال هامش مسند أحمد ج ٤ ص ٣٨٧ عن ابن عساكر، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢١/٢٢، وأشار إلى ذلك في نور الابصار ص ١٥. وكنز العمال ج ١٤ ص ٢٢١/٢٢٢ عن ابن عساكر.

الرسول الاعظم «صلى الله عليه وآلـه وسلم» فلا يلتفت إليـه، ولا يفكر إلا في الحفاظ على نفسه.

وأما فراره في خيبر فهو أعجب وأعجب حيث إنه كان معه من يدافـع ويحامي عنه.

أما في واقعـة الخنـدق ففـر فيهـا أيضـاً كمـا أنـه لم يجـرؤ على الخروج إلى عمرو بن عبدود.

وحينما أخذ النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» سيفاً في أحد، وقال: من يأخذ هذا السيف بحقه طلبه أبو بكر، وعمر فلم يعـطهما إيـاه. واعطاه أبا دجانة. إلى غير ذلك مما لا مجال له هنا. ولسوف نشير اليه فيما يأتي إن شاء الله تعالىٰ. حين الكلام على الغزوات المشار إليها.

والغـريب في الأمر: أننـا لم نر ولم نسمـع: أن عمـر، وأبـا بكـر، وعثمان قد قتل واحد منهم أحداً، أو بارز انساناً، وما ذكر من ذلك قد ثبت عدم صحته.

كما أنه لم يجرح أي من هؤلاء ولا دميت له يد ولا رجل في سبيـل الله. مع أن أعاظم صحابته «صلى الله عليه وآله وسلم» قـد أصيبوا في الله وضحـوا في سبيله، الامـر الـذي يشيـر إلى أن هؤلاء كـانـوا شجعـانـاً في الرخاء، غير شجعان عند اللقاء.

ثالثاً: لقـد أشرنـا فيما سبق إلى أنـه لم يجرؤ على أن يـأخذ رسـالة النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» للمكيين في عـام الحديبيـة، بحجة: أن بني عدي لا ينصرونه إن أوذي!! فمن كانت هـذه فعالـه في تلك المواقـع الصعبة هل يحتاج إلى بني عدي، أو إلى غيرهم؟!.

رابعاً: قال أبو سفيان في فتح مكة للعباس، حينما كانا يستعرضان الألوية، فمر عمر، وله زجل: «يا أبا الفضل، من هذا المتكلم؟!

قال: عمر بن الخطاب.

قال: لقد أَمِرَ أَمْرُ بني عدي بعد ـ والله ـ قلةٍ وذلةٍ.

فقال العباس: يا أبا سفيان إن الله يرفع من يشاء بما يشاء، وإن عمر ممن رفعه الاسلام[١]».

وخامساً: إنهم متفقون على أن الرسول الاعظم «صلى الله عليه وآله وسلم» كان أشجع البشردون استثناء، بل سيأتي أن بعضهم يحاول ادّعاء أشجعية أبي بكر على سائر الصحابة ـ وان كان سيأتي أن العكس هو الصحيح ـ ونحن نرى في حديث الهجرة أن النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» يختفي في الغار، حذراً من المشركين، كما أن أبا بكر يخاف ويبكي، رغم كونه مع النبي الاعظم، الذي يتولى الله رعايته وحمايته، و ظهرت له آنئذٍ الكثير من المعجزات الدالة على ذلك. وقد ذكر الله خوف وحزن أبي بكر في القرآن. فكيف يخاف أبو بكر ويحزن مع أنه إلىٰ جانب رسول الله الذي يتولى الله حمايته ورعايته، مع ادّعاء محبي أبي بكر أنه أشجع الصحابة بعد الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله وسلم» ـ نعم كيف يخاف أبو بكر ولا يخاف عمر؟!

ولماذا يعمل الرسول بالحزم، ويراعي جانب الحذر من قريش، ولا يفعل ذلك عمر بن الخطاب؟!

ولماذا لم يحم عمر رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم»، حتى يخرجه من مكة إلى المدينة؟!.

ولماذا يرضى عمر للنبي «صلى الله عليه وآله وسلم» أن يتحمل كل هذه الصعاب والمشاق، حتى يتمكن من التخلص من الورطة التي هو فيها؟!

---

(١) مغازي الواقدي ج ٢ ص ٨٢١ وعن كنز العمال ج ٥ ص ٢٩٥ عن ابن عساكر من طريق الواقدي.

بل إذا كان لعمر هذه الشجاعة والشدة؛ فلماذا يضطر النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» إلى الهجرة،؟ فليحمه هذا البطل الشجاع، وليردّ عنه بعض ما كانت قريش تؤذيه به؟!.

ثم إننا لا ندري لماذا لم يحدثنا التاريخ عن موقف مماثل لحمزة بن عبد المطلب، أسد الله وأسد رسوله، الذي شجّ رأس أبي جهل شجّة منكرة، وعز المسلمون باسلامه؟!.

ولماذا يترك النبي والهاشميين محصورين في الشعب، يكادون يهلكون جوعاً، ولا يجرؤ أحد على أن يوصل لهم شيئاً من طعام؟!. لأن عمر عند هؤلاء قد اسلم قبل الحصر في الشعب، وان كنا اثبتنا في ما تقدم بشكل قاطع: أنه قد اسلم قبل الهجرة بقليل.

إلى غير ذلك من الأسئلة الكثيرة التي لن تجد لها عند هؤلاء الجواب المقنع والمفيد.

ما هي الحقيقة إذن؟!

ولكن الحقيقة هي: أن هذا التهديد والوعيد إنما كان من أمير المؤمنين علي «عليه السلام»، حينما هاجر، ولحقه سبعة من المشركين في ضجنان وسيأتي تفصيل القضية حين الكلام على هجرة أمير المؤمنين علي «عليه السلام» بعد هجرة النبي «صلى الله عليه وآله وسلم».

ولكن أعداء علي «عليه السلام» لم يستطيعوا أن يتحملوا أن يروا هذه الكرامة له، ولا سيما بعد ما أثبت صحتها بمبيته على فراش النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» ليلة الهجرة. وكما كان يبيت على فراش رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» مدة ثلاث سنين، يقيه بنفسه حينما كانوا محاصرين في شعب أبي طالب «رحمه الله».

فلمّا لم يكن إلى إنكارهم مبيته على الفراش سبيل أغاروا على

فضيلته الاخرى ـ كعادتهم ـ فاستولوا عليها، ونسبوها إلى غيره، ـ وعظموا من شأن أبي بكر في الغار ـ كما سيأتي حين الكلام على الهجرة إن شاء الله تعالىٰ. بل انهم لم يرضوا إلا أن تكون فضيلة عمر على لسان علي نفسه، كما عودونا في مناسبات كهذه، فإن ذلك أوقع في النفس، وأبعد عن الشبهة، وأدعى إلى القبول.

ولكن الله تعالى يقول: ﴿**بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق**﴾[1]. وهكذا كان.

ماذا عن الهجرة إلى المدينة؟

لقد أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» أصحابه بالهجرة إلى المدينة، تمهيداً لخروجه هو «صلى الله عليه وآله وسلم» إليها أيضاً، وقال لهم: إن الله عز وجل قد جعل لكم إخواناً وداراً تأمنون بها، فهاجر إليها المسلمون، بعضهم سراً، وبعضهم علانية، مضحين بوطنهم، وبعلاقاتهم، وكثير منهم بثرواتهم، ومكانتهم الاجتماعية وكل شيء، في سبيل دينهم، وعقيدتهم.

وهذا معناه: أن الدين والعقيدة فوق وأغلى من كل شيء؛ فالوطن، والمال، والجاه، وكل شيء لا قيمة له، إذا كان الدين مهدداً بالخطر؛ لأن الحفاظ على الدين الصحيح، معناه الحفاظ على الوطن والمال وكل شيء، وبدونه يكون كل شيء في معرض الزوال، إن لم يكن عبئاً، أو فقل: خطراً يتهدد هذا الانسان في كثير من الظروف والأحوال.

قريش والهجرة:

وقد قدمنا بعض الكلام حول الهجرة، وموقف قريش منها حين

---

(١) الأنبياء/١٨.

الكلام على هجرة الحبشة فلا نعيد وإذا كانت قريش قد قاومت الهجرة إلى الحبشة بذلك الشكل القوي، حتى لقد حاولت استرجاع المسلمين من أرض الحبشة. فماذا عساها يكون موقفها من الهجرة إلى المدينة، والتي ترى فيها أعظم الخطر على مصالحها، وعلى وجودها ومستقبلها؟!.

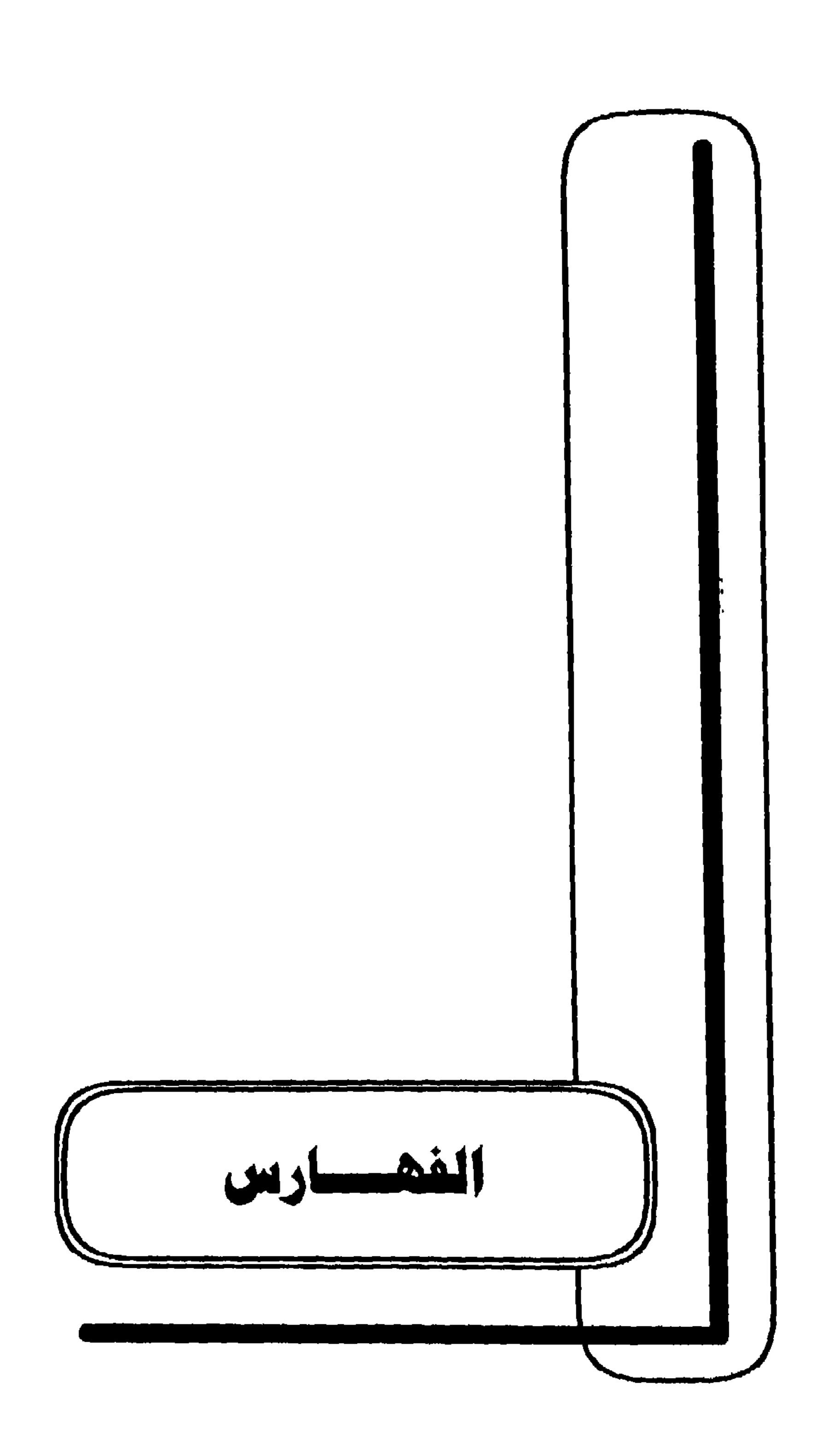
لقد حاولت أن تمنع المسلمين من الهجرة بمختلف الوسائل، فكانت تحبس من تظفر به منهم، وتفتنه عن دينه، وتمارس ضده مختلف أساليب القهر والقسوة، فلم تنجح ولم تفلح وهي من الجهة الأخرى ترى نفسها عاجزة عن التصفية الجسدية لأكثر المسلمين؛ لأن المهاجرين كانوا ـ عموماً ـ من القبائل المكية، وليس قتل أي منهم إلا سبباً في اثارة حرب أهلية بين المشركين أنفسهم. وهذا ولا شك ليس في مصلحة قريش في أي حال.

ويشهد لما ذكرناه ما حصل لأبي سلمة حينما خرج بزوجته وولده، فقام إليه رجال من بني المغيرة فأخذوا زوجته منه؛ لأنها منهم، فثار بنو عبد الاسد، قبيلة الزوج؛ فانتزعوا سلمة من أمه[1].

وأدركت قريش: أن هذه الهجرة الواسعة سوف تعقبها هجرة الرسول الاعظم نفسه؛ ليمارس بحرية تامة عملية الريادة، والقيادة، والهداية بشكل أوسع وأعمق. ولسوف يحميه المدنيون بكل ما لديهم. فلم يكن لديها همّ إلا المنع من تحقق ذلك بأي وسيلة تقدر عليها، أو حيلة تهتدى إليها.

---

(١) البداية ج ٣ ص ١٦٩ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ١١٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٢١٥/٢١٦.



الفهـــارس

١ ـ الدليل الاجمالي للكتاب

الفصل الثالث: الاسراء والمعراج .... ٥ ـ ٥٢

الباب الثاني: حتى وفاة أبي طالب .... ٥٣ ـ ٢٦١

الفصل الأول: حتى الهجرة إلى الحبشة .... ٥٥ ـ ١١٥

الفصل الثاني: هجرة الحبشة .... ١١٧ ـ ١٤٧

الفصل الثالث: حتى الشعب .... ١٤٩ ـ ١٩١

الفصل الرابع: في شعب أبي طالب .... ١٤٣ ـ ١٢٤

الفصل الخامس: أبو طالب مؤمن قريش .... ١٢٥ ـ ٢٥٩

الباب الثالث: من وفاة أبي طالب حتى
الهجرة إلى المدينة ٢٦١ ـ ٣٢٧

الفصل الأول: الهجرة إلى الطائف .... ٢٦٣ ـ ٢٧٤

الفصل الثاني: حتى بيعة العقبة .... ٢٧٥ ـ ٣٠٤

الفصل الثالث: بيعة العقبة .... ٣٠٥ ـ ٣٢٥

الباب الرابع: من مكة إلى المدينة .. ٣٢٩

الفصل الأول: ابتداء الهجرة الى المدينة ٣٣٣

الفهارس ٣٥٥

٢ ـ الدليل التفصيلي للكتاب

الفصل الثالث: الاسراء والمعراج .... ٥ ـ ٥٢
الاسراء والمعراج ٧
متى كان الإسراء والمعراج ٨
الأدلة على المختار ٩
تسمية أبي بكر الصديق ١٤
الإسراء والمعراج في اليقظة أو في المنام ١٥
الإسراء والمعراج في القرآن ١٨
سؤال هام وجوابه ١٩
الداعية الحكيم ٢٠
لا تدركه الأبصار ٢١
الإسراء من المسجد ٢٥
موسى وفرض الصلوات الخمس ٢٦
استبعاد الإسراء والمعراج ٣٠
من أهداف الإسراء والمعراج ٣١
الأذان ٣٤
اليهود والمسجد في القرآن ٣٥
مفاد الآيات إجمالاً ٣٥

ضرب القاعدة وإعطاء الضابطة ٣٦
أقوال الرواة والمفسرين ٤٠
رأي العلامة الطباطبائي ٤١
رأي آخر ٤٤
وثمة رأي آخر أيضاً ٤٦
والروايات ماذا تقول ٤٧
الرأي الأمثل ٤٧
القميون يقاتلون الإسرائيليين ٤٨
الغرب واسرائيل ٤٩
الحروب الطويلة والصعبة ٥٠
الفلسطينيون والأرض ٥١
الباب الثاني: حتى وفاة أبي طالب .... ٥٣ ـ ٢٦١
الفصل الأول: حتى الهجرة إلى الحبشة .... ٥٥ ـ ١١٥
أهداف الإسلام ٥٧
الحاجة إلى الوزير والوصي ٥٨
وأنذر عشيرتك الأقربين ٥٩
التعصب الأعمى ٦٢
ابن تيمية وحديث الدار ٦٣
الرد على ابن تيمية ٦٤
نقاط هامة في حديث الانذار. أ: روايات لا يمكن أن تصح ٦٩
ب: المراد بكونه خليفة في أهله ٧١
ج: لماذا تخصيص العشيرة بالدعوة ٧٢
د: علي(ع) في يوم الإنذار ٧٤
هـ: موقف أبي لهب ٧٥
و: الإنذار أولاً ٧٦

ز: ماذا قال النبي(ص) في يوم الإنذار ٧٧
ح: التبشير والإنذار ٧٨
ط: أخي ووصيي ٨٠
فاصدع بما تؤمر ٨٠
أ: قريش لم تصل إلى نتيجة ٨٤
ب: سر استكبار قريش ٨٥
ماذا بعد فشل المفاوضات ٨٧
المعذبون في مكة ٨٩
مع المعذبين أيضاً ٨٩
المعذبون الذين أعتقهم أبو بكر ٩٠
هل عذب المشركون أبا بكر؟ ٩٦
هل كان أبو بكر رئيساً ٩٨
ملاحظة أخيرة ٩٩
أول شهيد في الإسلام من آل ياسر ١٠٠
عمار بن ياسر ١٠١
التقية في الكتاب والسنة ١٠٢
ملاحظة ١٠٣
وأما من السنة فنذكر ١٠٣
وأما التقية في التاريخ ١٠٥
التقية ضرورة فطرية عقلية دينية إصلاحية ١١١
الفصل الثاني: هجرة الحبشة .... ١١٧ ـ ١٤٧
لا بد من حل ١١٩
سر اختيار الحبشة ١٢٠
الهجرة إلى الحبشة ١٢٢
أمير الهجرة جعفر ١٢٤

من هو أول مهاجر إلى الحبشة ١٢٤
هجرة أبي موسى إلى الحبشة لا تصح ١٢٥
رقة عمر للمهاجرين ١٢٦
هجرة أبي بكر لا تصح ١٢٦
فضيلة عثمان بن مظعون تجعل لغيره ١٣٠
محاولة قريش اليائسة ١٣١
قريش وخططها المستقبلية ١٣٤
الثورة على النجاشي ١٣٦
عودة بعض المهاجرين ١٣٧
قصة الغرانيق ١٣٧
تساؤلات حائرة ١٤٥
حقيقة الأمر ١٤٦

الفصل الثالث: حتى الشعب .... ١٤٩ ـ ١٩١

تناقضات في تاريخ إسلام حمزة ١٥١
إسلام حمزة (رض) ١٥١
إسلام حمزة كان عن وعي لا حمية ١٥٣
سر جبن أبي جهل في مواجهة حمزة ١٥٤
ملاحظة هامة ١٥٥
عبس وتولى ١٥٥
المذنب رجل آخر ١٦١
سؤال وجوابه ١٦٢
الرواية الصحيحة ١٦٢
اتهام عثمان ١٦٣
تاريخ هذه القضية ١٦٤
أعداء الإسلام وهذه القضية ١٦٤

أكاذيب أخرى مشابهة ١٦٥
قضية إسلام عمر بن الخطاب ١٦٧
وثمة أوسمة أخرى ١٧٠
١ ـ متى كان إسلام عمر؟ ١٧١
ونحن نشير هنا إلى: ١٧١
متى أسلم عمر إذن ١٧٢
٢ ـ من سمى عمر بالفاروق ١٧٧
٣ ـ هل كان عمر قارئاً ١٧٧
ملاحظة ١٨٠
ملاحظة أخرى ١٨٠
٤ ـ هل عز الإسلام بعمر حقاً ١٨١
٥ ـ غسل عمر لمس الصحيفة ١٨٧
٦ ـ نزول آية في إسلام عمر ١٨٨
ملاحظات أخيرة ١٨٩
خاتمة المطاف ١٩١

الفصل الرابع: في شعب أبي طالب . . . . ١٩٣ ـ ٢٢٤
المقاطعة ١٩٥
أموال خديجة (رض) وسيف علي(ع) ١٩٨
حكيم بن حزام وعواطفه تجاه المسلمين ٢٠٠
انشقاق القمر ٢٠٢
شبهة وحلها ٢٠٣
انشقاق القمر الحدث الكبير ٢٠٦
إمكان الإنشقاق والالتئام علمياً ٢٠٧
دلالة الآية القرآنية على ذلك ٢٠٩
الأساطير ٢١١

نقض الصحيفة ٢١١
حنكة أبي طالب وإيمانه ٢١٣
القبلية وآثارها ٢١٤
ما بعد نقض الصحيفة ٢١٥
وفد من الحبشة ٢١٥
من مواقف أبي طالب ٢١٦
مع تضحيات أبي طالب رضوان الله عليه ٢١٨
عام الحزن ٢٢١
الحب في الله والبغض في الله ٢٢٢

الفصل الخامس: أبو طالب مؤمن قريش .... ٢٢٥ ـ ٢٥٩
إيمان أبي طالب ٢٢٧
بعض الأدلة على إيمان أبي طالب ٢٢٩
الأدلة الواهية ٢٤٠
١ ـ حديث الضحضاح ٢٤٠
٢ ـ ارث عقيل لأبي طالب ٢٤٢
٣ ـ وهم ينهون عنه وينأون عنه ٢٤٣
آية النهي عن الاستغفار للمشرك ٢٤٦
الوجبة الأخيرة ٢٥٢
خطابيات وأرجاز المديني ٢٥٥
سرية إيمان أبي طالب ٢٥٥
ضرورة سرية إيمان شيخ الأبطح ٢٥٦
لماذا الافتراء على أبي طالب ٢٥٧
أبو لهب ونصرة النبي(ص) ٢٥٨
سر افتعال الرواية ٢٥٩

الباب الثالث: من وفاة أبي طالب حتى الهجرة إلى الحبشة ٢٦١ ـ ٣٢٧

الفصل الأول: الهجرة إلى الطائف .... ٢٦٣ ـ ٢٧٤

لا بد من تحرك جديد ٢٦٥

الهجرة إلى الطائف في كلمات المؤرخين ٢٦٦

هجرات أخرى له (ص) ٢٦٧

١ ـ ما ذكر عن عداس ٢٦٨

٢ ـ دخوله(ص) مكة بجوار ٢٦٩

٣ ـ إسلام نفر من الجن ٢٧٠

٤ ـ الطائف وعلاقاتها بمن حولها ٢٧١

٥ ـ الإسلام دين الفطرة ٢٧٢

٦ ـ هل كانت هذه سفرة فاشلة ٢٧٣

الفصل الثاني: حتى بيعة العقبة .... ٢٧٥ ـ ٣٠٤

المجاعة ٢٧٧

عرض الإسلام على القبائل ٢٧٨

بنو عامر بن صعصعة ونصرة النبي(ص) ٢٨٠

١ ـ الأمر لله ٢٨١

٢ ـ سمو الهدف والنظرة الضيقة ٢٨٢

٣ ـ الدين والسياسة ٢٨٣

٤ ـ نتائج عرضه(ص) دعوته على القبائل ٢٨٣

زواج النبي(ص) بسودة وعائشة ٢٨٤

١ ـ سر عائشة ٢٨٥

من طرائف الروايات الموضوعة ٢٨٧

٢ ـ جمال عائشة وحظوتها ٢٨٩

٣ ـ حسد وغيرة عائشة ٢٩١

وماذا بعد ٢٩٩
دخول الإسلام إلى المدينة ٣٣٠
١ ـ إخبارات أهل الكتاب ٣٠٢
٢ ـ المشاكل بين الأوس والخزرج ٣٠٣
٣ ـ تعاليم الشريعة السمحاء ٣٠٣
٤ ـ المدنيون والمكيون ٣٠٥

الفصل الثالث: بيعة العقبة .... ٣٠٧ ـ ٣٢٧
بيعة العقبة الأولى ٣٠٩
دعوة سعد بن معاذ قومه ٣١١
البيعة ٣١٢
صلاة الجمعة ٣١٣
بيعة العقبة الثانية ٣١٤
دور العباس في بيعة العقبة ٣١٩
أبو بكر في العقبة ٣٢٢
حمزة وعلي(ع) في العقبة ٣٢٢
سرية الاجتماع والتقية ٣٢٣
شروط البيعة ٣٢٤
لماذا النقباء ٣٢٤
المشركون في مواجهة الأمر ٣٢٥
منازعة الأمر أهله ٣٢٦
النبي لم يؤمر بالحرب بعد ٣٢٧

الباب الرابع: من مكة إلى المدينة ٣٢٩

الفصل الأول: ابتداء الهجرة إلى المدينة ٣٣١
حب الوطن من الإيمان ٣٣٣

الفهارس ٣٦٥

دوافع الهجرة من مكة إلى المدينة ٣٣٥
سر اختيار المدينة ٣٣٩
المؤاخاة بين المهاجرين ٣٤٥
ابتداء هجرة المسلمين إلى المدينة ٣٤٦
المثل الأعلى ٣٤٦
هجرة عمر بن الخطاب ٣٤٧
ما هي الحقيقة إذن ٣٥٠
ماذا عن الهجرة إلى المدينة ٣٥١
قريش والهجرة ٣٥١
الفهارس ٣٥٣
الدليل الاجمالي للكتاب ٣٥٥
الدليل التفصيلي للكتاب ٣٥٧

والحمد لله والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين

Thanks to
assayyad@maktoob.com

To: www.al-mostafa.com